



عقيدة السلف أصحاب الحديث

للصابوني رحمه الله

أبو سفيان محمود بن أحمد الشاملي


شبكة الألوكة
www.alukah.net



وقف

لأمي رحمها اللّه
ولأبي أطال اللّه في عمره





بسم الله الرحمن الرحيم

رَبِّ يَسِّرْ وَأَعِنْ بِفَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ.

أَخْبَرَنَا قَاضِي الْقُضَاةِ[1] بِدِمَشْقٍ نِظَامُ الدِّينِ عُمَرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُفْلِحٍ الصَّالِحِيُّ الْحَنْبَلِيُّ إِجَازَةً مُشَافَهَةً، أَخْبَرَنَا الْحَافِظُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ ابنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْمُحِبِّ الْمَقْدِسِيُّ إِجَازَةً، إِنْ لَمْ يَكُنْ سَمَاعًا، أَخْبَرَنَا الشَّيْخَانِ جَمَالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ بْنِ شَكَرٍ، وَأَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُحِبِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ الْمَقْدِسِيَّيْنِ؛

قَالَ الأَوَّلُ: أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعِرَاقِيُّ سَمَاعَاً، أَنَا أَبُو الْفَتْحِ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ الْخِرَقِيُّ إِجَازَةً،

وَقَالَ الثَّانِي: أَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الدَّائِمِ (ح).

وَأَخْبَرَنَا الْمُحَدِّثُ تَاجُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَافِظِ عِمَادِ الدِّينِ إِسْمَاعِيلَ ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ بَرْدَسٍ الْبَعْلِيُّ فِي كِتَابِهِ، أَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْخَبَّازِ شِفَاهًا، أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الدَّائِمِ إِجَازَةً إِنْ لَمْ يَكُنْ سَمَاعًا، أَنَا الْحَافِظُ عَبْدُ الْغَنِي بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ عَلِي بْنِ سُرُورٍ الْمَقْدِسِيُّ، أَنَا الْخِرَقِيُّ سَمَاعَاً، أَنْبَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ

---

(١) هذا اللفظ فيه نهي عن النبي ﷺ لتشبهه بالله عز وجل، قال رسول الله ﷺ: "**أَخْنَعُ الأَسْمَاءِ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَسَمَّى بِمَلِكِ الأَمْلاكِ**" (البخاري/٦٢٠٦).



بْنُ إِسْمَاعِيلَ الصَّابُونِيُّ، ثَنَا وَالِدِي شَيْخُ الإِسْلاَمِ أَبُو عُثْمَانَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَذَكَرَهُ.

وأَخْبَرَنَا قَاضِي الْقُضَاةِ عِزُّ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُرَاتِ الْحَنَفِيُّ إِجَازَةً مُشَافَهَةً، أَنَاَ مُحْمُودُ بْنُ خَلِيفَةَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَلَفٍ الْمَنْبَجِيُّ إِجَازَةً، أَنَا الْجَمَّالُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ بْنِ شُكْرٍ بِسَنَدِهِ ، قَالَ:

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ، أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنِّي لَمَّا وَرَدْتُ آمُد طَبَرِسْتَان وَبِلادَ جَيْلان مُتوجِهًا إِلَى بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ وَزِيَارَةِ قَبْرَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وَعَلى آَلِهِ وَأَصْحَابهِ الكِرَامِ؛ سَأَلَني إِخْوَانِي فِي الدِّين أَنْ أَجْمعَ لَهُمْ فُصُولًا فِي أُصُولِ الدِّينِ[1] التَّي اسْتَمْسَكَ بِهَا الَّذِينَ مَضَوْا

---

(١) قوله: **أُصُولِ الدِّينِ**، هذه كلمة مجملة حادثة، قد تطلق ويراد بها أصول الدين التي هي الإيمان بالله، وبملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر، وغير ذلك من مباحث الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، وقد تطلق ويراد بها أصول الفرق المبتدعة أصحاب الكلام، الذين وضعوا قوانينهم العقلية الضالة في مقابل الكتاب والسنة، وسموا ما أسسوه من عقليات ضحلة قواطع وأصول، وكل ما جاء في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ ظواهر وفروع، ينبغي أن تتبع القواطع والأصول.

وقد نبه على هذه النكتة شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مطلع كتابه النفيس (درء تعارض العقل مع النقل:١/٢٦:٤١) حيث قال: ولما كنت بالديار المصرية سألني من سألني من فضلائها عن هذه المسألة، فقالوا في سؤالهم:

إن قال قائل: هل يجوز الخوض فيما تكلم الناس فيه من مسائل أصول الدين وإن لم ينقل عن النبي ﷺ فيها كلام أم لا؟ فإن قيل بالجواز فما وجهه؟

فأجاب شيخ الإسلام ومن جملة ما قال: وذلك أن أصول الدين إما أن تكون مسائل يجب اعتقادها، ويجب أن تذكر قولا أو تعمل عملا، كمسائل التوحيد والصفات، والقدر، والنبوة، والمعاد، أو دلائل هذه... وإنما الغرض التنبيه علي أن في القرآن والحكمة =



=

النبوية عامة أصول الدين من المسائل والدلائل التي تستحق أن تكون أصول الدين، وأما ما يُدخِله بعض الناس في هذا المسمي من الباطل فليس ذلك من أصول الدين وإن أدخله فيه مثل المسائل والدلائل الفاسدة، مثل: نفي الصفات والقدر ونحو ذلك من المسائل، ومثل الاستدلال علي حدوث العالم بحدوث الأعراض التي هي صفات الأجسام القائمة بها، إما الأكوان وإما غيرها... فهذه الطريقة مما يعلم بالاضطرار أن محمدا ﷺ لم يدع الناس بها إلي الإقرار بالخالق ونبوة أنبيائه، ولهذا قد اعترف حذاق أهل الكلام كالأشعري وغيره: بأنها ليست طريقة الرسل وأتباعهم، ولا سلف الأمة وأئمتها، وذكروا أنها محرمة عندهم، بل المحققون علي أنها طريقة باطلة وأن مقدماتها فيها تفصيل وتقسيم يمنع ثبوت المدعي بها مطلقا.اهـ

فإن مصطلح (أصول الدين) قد يراد به أصول التوحيد، وعلم التوحيد له مسميات عديدة، يمكن أن نقول سلفية المصدر أو سنية المصدر كعلم العقيدة، ومن ذلك كتاب (العقيدة الطحاوية)، وكتابنا هذا، وأيضًا يطلق عليه (الفقه الأكبر)، وهو اسم كتاب منسوب لأبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، (وأصول السنة)، و(السنة)، (كأصول السنة) لأحمد، و(السنة) للخلال.

أما مصطلح أصول الدين كمسمى على علم التوحيد فأغلب الذين ابتدعوه استعملوه هم المتكلمة من الأشاعرة وغيرهم، راغبين أن تكون أصولهم العقلية مميزة وحاكمة للنصوص النقلية، فمن أشهر من صنف بهذا المصطلح في باب الاعتقادات فخر الدين الرازي له مصنف باسم (الأربعين في أصول الدين)، وهي مسائل الكلام.

=

مِنْ أَئِمَّةِ الدِّينِ وَعُلَمَاءِ المُسْلِمِينَ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِينَ، وَهَدَوْا وَدَعَوْا النَّاسَ إلَيْهَا فِي كُلِّ حِينٍ، وَنَهَوْا عَمَّا يُضَادُّهَا وَيُنَافِيهَا جُمْلَةَ المُؤْمِنِينَ المُصَدِّقِينَ المُتَّقِينَ، وَوَالَوْا فِي اتِّبَاعِهَا وَعَادَوْا فِيهَا، وبَدَّعُوا وَكَفَّرُوا مَنْ اعْتَقَدَ غَيْرَهَا، وَأَحْرَزُوا لأَنْفُسِهِم وَلِمَنْ دَعَوْهُمْ إليْهَا بَرَكَتَهَا وَخَيْرَهَا، وَأَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوه مِنْ ثَوَابِ اعْتِقَادِهِم لها، وَاسْتِمْسَاكِهِمْ بها، وَإرشَادِ الْعِبَادِ إليْها، وحَمْلِهِم إيَّاهَم عَلَيْهَا.

فَاستَخَرْتُ اللهَ تَعَالَى، وَأَثْبَتُّ فِي هَذَا الجُزْءِ مَا تَيَسَّرَ مِنْهَا عَلَى سَبِيلِ الاخْتِصَارِ، رَجَاءَ أَنْ يَنْتَفِعَ به أُولُو الأَلْبَابِ والأبْصَارِ، واللهُ سُبْحَانَهُ يُحَقِّقُ الظَّنَ، ويُجْزِلُ عَلَيْنَا المَنَّ بِالتَّوْفِيقِ والاسْتِقَامَةِ عَلَى سَبِيلِ الرُّشْدِ والحَقِّ بِمَنِّهِ وَفَضْلِه.

قُلْتُ وَبِاللهِ التَوْفِيق:

=

ومما سبق فقد تبين أن مصطلح (أصول الدين) مصطلح مجمل، يحتوي على حق وباطل، فلا يثبت بإطلاق ولا ينفى بإطلاق.

يقول شيخ الإسلام: وإذا عُرف أن مسمي أصول الدين في عرف الناطقين بهذا الاسم فيه أجمال وإبهام لما فيه من الاشتراك بحسب الأوضاع والاصطلاحات؛ تبين أن الذي هو عند الله ورسوله وعباده المؤمنين أصول الدين، فهو موروث عن الرسول ﷺ.اهـ

(درء تعارض العقل والنقل:١/٤١).



[الأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ][1]

أَصْحَابُ الْحَدِيثِ حَفِظَ اللهُ أَحيَاءَهَمْ وَرَحِمَ أَمْوَاتَهُم[2] يَشْهَدُونَ للهِ تَعَالَى

---

(١) العناوين ليست من الكتاب.

(٢) نسب الإمام الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عقيدته إلى أصحاب الحديث، وهم أولى الناس بها وأهلُها حقًا، وأصحاب الحديث هم حملة أخبار النبي ﷺ وورثته، وكفاهم شرفًا أنهم في سلسلة من الرواة معه ﷺ، ولذلك صنف في شرفهم الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن على بن الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابًا سماه [**شرف أصحاب الحديث**] قال فيه: وقد جعل الله تعالى أهله أركان الشريعة، وهدم بهم كل بدعة شنيعة، فهم أمناء الله من خليقته، والواسطة بين النبي ﷺ وأمته، والمجتهدون في حفظ ملته، أنوارهم زاهرة، وفضائلهم سائرة، وآياتهم باهرة، ومذاهبهم ظاهرة، وحججهم قاهرة، وكل فئة تتحيز إلى هوى ترجع إليه، أو تستحسن رأيا تعكف عليه، سوى أصحاب الحديث فإن الكتاب عدتهم، والسنة حجتهم، والرسول فئتهم، وإليه نسبتهم، لا يعرجون على الأهواء، ولا يلتفتون إلى الآراء، يقبل منهم ما رووا عن الرسول، وهم المأمونون عليه والعدول، حفظة الدين وخزنته، وأوعية العلم وحملته، إذا اختلف في حديث كان إليهم الرجوع، فما حكموا به فهو المقبول المسموع، ومنهم كل عالم فقيه، وإمام رفيع نبيه، وزاهد في قبيلة، ومخصوص بفضيلة، وقارئ متقن، وخطيب محسن، وهم الجمهور العظيم، وسبيلهم السبيل المستقيم، وكل مبتدع باعتقادهم يتظاهر، وعلى الإفصاح بغير مذاهبهم لا يتجاسر، من كادهم قصمه الله، ومن عاندهم خذلهم الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا =



بالوَحْدَانِيَّةَ(١)..،

=
يفلح من اعتزلهم، المحتاط لدينه إلى إرشادهم فقير، وبصر الناظر بالسوء إليهم حسير ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (الحج/٣٩). اهـ (شرف أصحاب الحديث/٣١).

(١) والدليل على وحدانيته قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص/١)، وقوله ﷺ: "مَنْ تَعَارَّ مِنْ اللَّيْلِ فَقَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَلا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي أَوْ دَعَا اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلاتُهُ". (البخاري/١١٥٤).

ومعنى التوحيد عند أصحاب الحديث: هو إفراد الله تعالى بالعبادة كلها، فلا تصرف لأحدٍ غيره، ولا يشرك معه أحد.

ومن تمام توحيدهم، إفراده بكمال ربوبيته، فهو الذي خلق، وهو الذي رزق، وهو المالك حقًا، قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق/١)، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (الذاريات/٥٨)، وقال: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ (طه/١١٤).

وإفراده بكمال ألوهيته، وصرف كل صنوف الطاعة إليه، قلبية وبدنية وقوليه ومالية، باطنية أو ظاهرية، كل ذلك له، فلا يتوكلون إلا عليه، ولا يستعينون إلا به، ولا يصلون ولا يحجون إلا له، ولا ينذرون ولا يذبحون إلا ابتغاء مرضاته، فهو الإله الحق، وعبوديته هي أشرف الأعمال، وهي الغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب، قال تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة/١٦٣)، وقال تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ
=



=

رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾ (الأنعام/١٠٢)، وقال تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾ (طه:/١٤)، وقال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ (محمد/١٩).

وقوله ﷺ: "أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" (البخاري/٢٥)،

وإفراده بكمال أسمائه وصفاته، فيثبتون له كل اسم وصفة أثبته الكتاب والسنة، وينفون عنه كل اسم وصفة نفاه الكتاب والسنة، فلا يبتدعونها، ولا يلحدون في أسمائه، فسبحانه وتعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلى، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف/١٨٠)، وقال تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الروم/٢٧)، وقال تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ (الأعلى/١)، وسيأتي بيان ذلك بالتفصيل إن شاء الله.

أما أهل البدع من المتفلسفة والجهمية وأفراخهم يقولون: التوحيد هو عدم الانقسام والتركيب، وإنما يعنون بذلك نفي صفات الله تعالى عنه.

فقولهم: إن التوحيد هو نفي التركيب والانقسام، هذا قول غامض في نفسه يحتاج إلى تفسير، وقد بين شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مواضع عديدة من مصنفاته مرادهم بهذا التوحيد، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فصل: فلما قرَّرَ إثباتَ الصانع أخذ يثبت وحدانيته، فقال: والدليل على وحدته أنه لا تركيب فيه بوجه وإلا لما كان واجب الوجود لذاته ضرورة افتقاره إلى ما تركب منه... وهذا الدليل أخذه من كلام أبي عبد الله الرازي، وقد سلك فيه مسلك المتفلسفة كابن

=

=

سينا وأمثاله، فإن هذا هو عمدتهم فيما يدعونه من التوحيد، وهو حجة باطلة، ومقصودهم فيما يدعونه من التوحيد، وقد بين ذلك علماء المسلمين كما بينه أبو حامد الغزالي في تهافت الفلاسفة، وكما قد صرح الرازي وغيره من هذه الطرق في مواضع أخر.

إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فبهذه الحجة نفوا الصفات وكانوا من أشد الناس تجهمًا، لأنهم زعموا أن إثبات الصفات ينافي هذا التوحيد.اهـ (شرح الأصبهانية/٦٢:٦٣)

وزعمهم أن إثبات الصفات ينافي هذا التوحيد، لأنهم يقولون: إن التركيب الذي هو منافٍ للتوحيد له صور عديدة ، منها: ما كان مركبا من ذات وصفة، بل وصلوا إلى أن قالوا ما كان مركبا من الذهن والواقع، وهذا هو العدم بعينه، ولذلك رد الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ على هذه المقالة الخبيثة، لما قال له الجهمي: لا تكونوا موحدين أبدا حتى تقولوا: قد كان الله ولا شيء، فقال الإمام أحمد بفهم عالٍ وهبه الله إياه: نحن نقول قد كان الله ولا شيء، ولكن إذا قلنا: إن الله لم يزل بصفاته كلها، أليس إنما نصف إلها واحدا بجميع صفاته؟ وضربنا لهم في ذلك مثلا، فقلنا: أخبرونا عن هذه النخلة، أليس لها جذع، وكَرَب وليف وسعف وخوص وجمَّار، واسمها اسم شيء واحد ؛ وسُمِّيت نخلةٌ بجميع صفاتها ؟ فكذلك الله وله المثل الأعلى ؛ بجميع صفاته إله واحد، لا نقول: إنه قد كان في وقت من الأوقات، ولا يقدر حتى خلق له قدرة ، والذي ليس له قدرة هو عاجز ، ولا نقول : قد كان في وقت من الأوقات ولا يعلم حتى خلق له علما فعلم، والذي لا يعلم هو جاهل، ولكن نقول: لم يزل الله عالما قادرا، لا متى، ولا كيف، وقد سمى الله رجلا كافرا اسمه الوليد بن المغيرة المخزومي فقال: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾ (المدثر/١١)، =



=

وقد كان هذا الذي سماه الله وحيدا له عينان وأذنان ولسان وشفتان ويدان ورجلان وجوارح كثيرة، فقد سماه الله وحيدا بجميع صفاته، فكذلك الله وله المثل الأعلى هو بجميع صفاته إله واحد.اهـ (قراءة في الرد على الزنادقة والجهمية /١٠٩:١١٠) بشرحي.

وقد ذكر شيخ الإسلام الإجماعَ على بطلان هذه المقولة، ليس فقط عند أهل الملة، بل عند أهل اللغة قاطبة، فقال: ليس في كلام العرب، بل ولا عامة أهل اللغات أن الذات الموصوفة بالصفات لا تسمي واحدا ولا تسمي أحدا في النفي والإثبات، بل المنقول بالتواتر عن العرب تسمية الموصوف بالصفات واحدا وأحدا، حيث أطلقوا ذلك ووحيدا، قال تعالى: ﴿**ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً**﴾، وهو الوليد ابن المغيرة، وقال تعالى: ﴿**فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ**﴾ (النساء/١١)، فسماها واحدة، وهي امرأة واحدة متصفة بالصفات، بل جسم حامل للأعراض.اهـ (درء تعارض العقل والنقل:١/١١٣).

وهناك مسألة أخرى، وهي أن هناك من الفرق والطوائف من غلاة المتصوفة، ومن سار على دربهم يقولون: إن غاية التوحيد هو الإقرار بربوبية الله تعالى، وهذا ظاهر البطلان ببداهة العقول، فإن نصوص الكتاب والسنة متوافرة متواترة على أن الغاية الكبرى من الخلق هي توحيد الله وإفراده بالعبادة، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ (الذاريات/٥٦)، وقال تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ (التوبة/٣١)، وقال تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾ (البينة/٥).

=



ولِلْرَسُولِ ﷺ بالرِّسالَةِ والنُّبُوَّةِ(١)، وَيعرفِوُنَ رَبَّهُم عز وجل بِصِفَاتِه التَّي نَطَقَ

=

وقال رسول الله ﷺ: "**بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ**" (البخاري/٨)، (مسلم/١٦).

فقد دل الكتاب والسنة على أن الغاية من خلق الخلق هي عبادة الله تعالى وتوحيده وتأليهه، وليس الإقرار بوجوده، فقد كان مشركوا العرب يقرون بوجود الله تعالى وربوبيته، ومع ذلك سماهم الله عز وجل كفارًا ، وجعل النار مثواهم خالدين فيها أبدا، قال تعالى عنهم: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾ (العنكبوت/٦١)، بل يعلمون أنه المتصرف القيوم لهذا الكون: ﴿**قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ (٣١) فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (٣٢)**﴾ (يونس/٣١:٣٢)، ولذلك يقول شيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الأصول الأربعة: القاعدة الأولى:

أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مُقِرُّونَ بأن الله تعالى هو الخالق المدبر، وأن ذلك لم يدخلهم الإسلام... ثم ذكر الأدلة.

(١) اعلم رحمك الله أن الإيمان بالرسل ركن من أركان الإيمان، لا يصح إيمان العبد إلا به، وقد دل على ركنيَّتِه الكتاب والسنة.

أما الكتاب: فقد قال الله تعالى: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ**﴾ (البقرة/٢٨٥).

=



=

ومن السنة: حديث جبريل المشهور في الصحيحين، وقد سأل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ محمداً ﷺ عن الإيمان، فقال: "**أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ**".

والكلام عن الأنبياء والرسل سيدور في عدة مسائل:

المسألة الأولى: حكم الإيمان بالأنبياء والرسل، وحكم من كذب بواحد منهم، أو كفر به.

الإيمان بالأنبياء والرسل كما تقدم ركن من أركان الإيمان، ولا يكون العبد مسلمًا أصلًا إلا بعد أن تتحقق فيه أركان الإيمان كاملة، ومنها الإيمان بالأنبياء والرسل، وقد سبق ذكر الدليل عليه، والتكذيب بواحد منهم، أو سلب نبوته وعدم الاعتراف بها، أو تخصيص ما أعمه الله في حقه، كمن يقول إن النبي محمد ﷺ نبي حقًا لكن للعرب وليس لنا ؛ فكل هذا كفرٌ بهم وكفرٌ بالله تعالى، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا**﴾ (النساء/١٥٠) فقد حكم الله عز وجل على من فرق بين رسولٍ وآخر بالكفر، وقال تعالى في قوم نوح: ﴿**كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ**﴾ (الشعراء/١٠٥) مع أنهم كذبوا رسولهم فقط ، ولكن من كذب برسول واحد فقد كذب بكل الرسل، لأن دعوتهم واحدة ومرسلهم واحد، قال تعالى: ﴿**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**﴾ (الشورى/١٣).

=

=

المسألة الثانية: النبوة هبة من الله عز وجل لعبده:

اعلم رحمك الله أن النبوة اصطفاء من الله تعالى واختيار لحكمة قال تعالى: ﴿**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾ (الحج:/٧٥)، وقال في حق موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿**وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى**﴾ (طه/١٣).

وهذا فيه رد على من يقول إن النبوة مكتسبة، كالسهروردي المقتول وابن سبعين وغيرهم من الفلاسفة وغلاة الصوفية، الذين جعلوا الفيلسوف أو الولي أعلى من النبي.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: ولهذا كان من أصلهم؛ أن النبوة مكتسبة، وكان السهروردي المقتول يطلب أن يكون نبيا، وكذلك ابن سبعين وغيره.اهـ (النبوات:٢/٤٧٣).

المسألة الثالثة: الفرق بين النبي والرسول.

يقول القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: واختلف العلماء هل النبي والرسول بمعنى أو بمعنيين؟

فقيل: هما سواء وأصله من الإنباء وهو الإعلام، واستدلوا بقوله تعالى ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ**﴾ (الحج/٥٢)، فقد ثبت لهما الإرسال معا، ولا يكون النبي إلا رسولا ولا الرسول إلا نبيا.

وقيل: هما مفترقان من وجه، إذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الإطلاع على الغيب والإعلام بخواص النبوة أو الرفعة لمعرفة ذلك وحوز درجتها، وافترقا في زيادة الرسالة للرسول، وهو الأمر بالإنذار والإعلام كما قلنا، وحجتهم من الآية نفسها التفريق بين الاسمين ولو كانا شيئا واحدا لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ، قالوا: والمعنى: وما أرسلنا من رسول إلى أمة أو نبي وليس بمرسل إلى أحد.

=



=

وقد ذهب بعضهم إلى: أن الرسول من جاء بشرع مبتدأ، ومن لم يأت به نبي غير رسول، وإن أمر بالإبلاغ والإنذار.

والصحيح والذي عليه الجمع الغفير: أن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولا.اهـ (الشفا:١/١٧٠).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي ولا ينعكس.اهـ (صحيح تفسير ابن كثير:٣/٥٧٣).

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإن النبي: هو المنبأ عن الله، والرسول: هو الذي أرسله الله تعالى، وكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا.اهـ (مجموع الفتاوى:ج١٠/٣٧٤).

المسألة الرابعة: ما يجوز في حقهم، وما لا يجوز.

اعلم أن الأنبياء والرسل بشرٌ كسائر البشر يُوحَى إليهم، قال تعالى حاكيًا مقالتهم: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (إبراهيم/١١)، وقال لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ (الكهف/١١٠)، ولذلك يجوز عليهم ما يجوز على سائر البشر من الأقدار الكونية، والاحتياجات الفطرية، فهم يأكلون ويشربون وينامون ويضحكون ويبكون ويمرضون، بل ويسحرون ويتزوجون ويموتون بل يقتلون، كل ذلك جائز في حقهم، قال تعالى في حق عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ (المائدة/٧٥)، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ (الفرقان/٧)، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ

=

=

الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ﴾ (الفرقان/٢٠)، وقال في مرضهم: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ (الأنبياء/٨٣)، وقال في نسيانهم الذي هو خارج عن الرسالة: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ (الكهف/٦١) وغير ذلك من الآيات.

وأما ما لا يجوز في حقهم: فإنهم يستحيل عليهم الكذب والخيانة والسهو والنسيان في أمر التبليغ والرسالة، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (النجم/٣:٤)، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى﴾ (يونس/١٥)، وقال رسول الله ﷺ: "إِنَّهُ لاَ يَنْبَغِى لِنَبِىٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الأَعْيُنِ" (أبو داود/٢٦٨٣).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإنهم متفقون على أن الأنبياء معصومون فيما يبلغونه عن الله تعالى، وهذا هو مقصود الرسالة ، فإن الرسول هو الذي يبلغ عن الله أمره ونهيه وخبره، وهم معصومون في تبليغ الرسالة باتفاق المسلمين.اهـ (منهاج السنة:١/٢٨٦).

وأهل السنة والجماعة أصحاب الحديث مجمعون على عصمة الأنبياء من الوقوع في الكبائر أو الصغائر عمدًا، وأن ما وقعوا فيه من صغائر مغفور لهم، قال الله تعالى فيهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرائيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً﴾ (مريم/٥٨)

المسألة الخامسة: حكم من سبهم أو انتقصهم.

اعلم رحمك الله أن سب الأنبياء كفر بواح، يخلد صاحبه النار، ولم يفرق القاضي عياض

=



=

رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين من سب النبي محمد ﷺ، ومن سب نبيًّا أخر، فقال: وحكم من سب سائر أنبياء الله تعالى وملائكته واستخف بهم أو كذبهم فيما أتوا به، أو أنكرهم وجحدهم حكم نبينا على مساق ما قدمناه، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً**﴾ (النساء/١٥٠).

وقال تعالى: ﴿**وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٣٥) قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦)**﴾ (البقرة/١٣٥:١٣٦).

وقال تعالى : ﴿**كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ**﴾ (البقرة/٢٨٥).اهـ (الشفا:٢/٤٨٨).

وقد ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ قبل هذا الباب أقوال أهل العلم في من سب النبي محمد ﷺ، فقال: اعلم وفقنا الله وإياك، أن جميع من سب النبي ﷺ، أو عابه، أو ألحق به نقصا في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله، أو عرّض به أو شبَّهه بشيء على طريق السب له، أو الإزراء عليه، أو التصغير لشأنه، أو الغض منه والعيب له؛ فهو ساب له، والحكم فيه حكم الساب، يقتل كما نبينه، ولا نستثني فصلا من فصول هذا الباب على هذا المقصد، ولا يمتري فيه تصريحا كان أو تلويحا، وكذلك من لعنه، أو دعا عليه، أو تمنى مضرة له، أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم، أو عبث في جهته العزيزة بسخف من

=

بها وَحيُهُ وتَنزيلُهُ، أَوْ شَهِدَ لَهُ بِهَا رَسُولُه ﷺ عَلَى مَا وَرَدَتِ الأَخْبَارُ الصِّحَاحُ بِهِ، وَنَقَلتِ العُدُولُ الثِّقَاتُ عَنْهُ، وَيُثْبِتُونَ لَهُ جَلَّ جَلاَلُهُ مَا أَثْبَتَهُ لِنفْسِه فِي كِتَابِه

=
الكلام وهجر ومنكر من القول وزور، أو عيره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه، أو غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه، وهذا كله إجماع من العلماء وأئمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم إلى هلم جرا .اهـ (الشفا:٢/٤٢٨).

وقد منّ الله على أن وقفت على كلامٍ لعمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ نقله الإمام حرب الكرماني في (السنة/٣٤٤) قال: عن ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، قال :أُتي عمرُ برجل سب النبي ﷺ فقتله، ثم قال عمر: من سب الله، أو أحدٍ من الأنبياء فاقتلوه.

المسألة السادسة والأخيرة: تفضيل الأنبياء.

اعلم علمني الله وإياك، أن التفاضل بين الأنبياء والرسل أمر قدّره الله العزيز الحكيم، فقال عز وجل في كتابه: ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ**﴾ (البقرة/٢٥٣)، فهم يفضل بعضهم بعضا، وأفضلهم على الإطلاق نبينا وحبيبنا محمد ﷺ، فقد قال ﷺ: "**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ**" (أبو داود/٤٦٧٣)، ثم أُولو العَزْمِ، وهم ذوو الحزم والصبر، وقد ذكرهم الله في قوله: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً**﴾ (الأحزاب/٧)، وقد خص الله عز وجل بعضهم على بعض في أمور، فمنهم من كلمه الله، ومنهم من رفعه إليه حيًّا، ومنهم من جمع له الملك والنبوة، إلى غير ذلك من إنعامه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليهم.



وعَلى لِسَان رَسُولِه ﷺ.[1]

---

(١) ذكر الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ عقيدة أهل السنة والجماعة أصحاب الحديث في توحيد الأسماء والصفات في هذه الفقرة من جهة الإجمال.

ومن جهة التفصيل أقول: إن أهل السنة أصحاب الحديث نظروا في كتاب الله تعالى وعلموا أنه كلامه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وعلموا أيضاً أن الكلام لا يكون إلا خبرًا أو إنشاء:

فالخبر: ما كان على سبيل الحكاية، وجوابه صدَق أو كذَب.

والإنشاء أنواعٌ كثيرة، فمنه الأمر والنهي...الخ.

والمقصود: أن أهل السنة وجدوا الله عز وجل يخبر في كتابه، ووجدوا نبيه ﷺ يخبر في سنته بأخبار شتى؛ إما صفة من صفات بارئنا، أو خبرًا من أخبار من سبقونا، أو خبرًا سيحدث، فصدقوه وأمنوا به.

ووجدوا الله عز وجل أمر في كتابه بأوامر ونهى بنواهي، ووجدوا رسوله ﷺ أمر بأوامر ونهى بنواهي؛ فامتثلوا أمر الله عز وجل وأمر رسوله ﷺ.

فهذه هي حقيقة إيمان السلف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، يصدقون الأخبار ويمتثلون الأوامر.

فمن جملة الأخبار، أسماء الله وصفاته، فهم بها مؤمنون، وبالبحث عن كيفيتها منتهون، يعلمون أن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى/١١)، لا يضربون له الأمثال، ولا يجدون له كفوا، ولا يعلمون له سميا، ويقولون: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ (آل عمران/٧)، أما أهل الأهواء والبدع، الذين أقسم عليهم أبوهم اللعين، فقد اتبعوا أهوائهم، وقدموا عقولهم على وحي ربهم، فأرداهم إلى سواء الجحيم، جاءهم خبر الله =



=
فردوه، ونهاهم فعاندوه، أمرهم بألا يضربوا له الأمثال، فأبوا إلا الضلال، أعملوا عقولهم، وشغلوا أذهانهم، ولم يجعلوا كتاب الله ولا سنة نبيه حصنًا لهم ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ (يونس/٣٢).

أخرجت لهم عقولهم قوانين فاسدة باطلة، استهوتها أنفسهم، ظنوها براهين وهي سراب، جعلوها قواطع وهي ظنون بل أوهام، أقاموها ووالوا عليها، وعادوا فيها، وجعلوا لها دولة، وحبسوا وشرّدوا، بل قتلوا أهل الحق لأجلها.

ولذلك كان لزامًا على طالب العلم أن يعلم أصول دينه من الصحابة والتابعين وتابعيهم، من أهل القرون الثلاثة الأولى، فقد حفظهم الله من كل فتنة وشبهة؛ فكانت عقيدتهم صافية، لا شوب فيها ولا كدر.

وينبغي أيضًا على طالب العلم أن يعلم أصول الخلاف بين أهل الحق والباطل، وما الذي أحوج أهل السنة والجماعة أصحاب الحديث والذي منهم الإمام الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يصنف هذه العقيدة بهذه الطريقة.

فقد يتساءل المرء لماذا قال أئمتنا: نؤمن بما وصف به نفسه من غير تحريف أو تعطيل أو تكييف أو تمثيل، لماذا كل هذه التنبيهات، وهل نحن مضطرون لقول هذه المحاذير، أما ماذا؟

إن الإجابة على مثل هذه الأسئلة تحتاج إلى بحث وتنقير، لأن النبي ﷺ كما جاءت السنن والأحاديث عنه، لم يكن يذكر ذلك للصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ، فقد كان يخبرهم بالحديث عن الله وصفاته، ولم يكن يقول لهم آمنوا بها من غير تشبيه، ولا تمثيل ... الخ،
=



=

وكذلك التابعين، إلى أن نبغت نابغة السوء وأصل البلاء في هذه الأمة شيطان الإنس الجعد بن درهم، هذا الجعد ربيب اليهود والصابئة، أخذ هذا الجعد دينه من الصابئة الذين هم بقايا قوم إبراهيم ﷺ، وهم قومٌ ينفون صفات الأفعال عن الله تعالى، وأخذه من شيخه أبان أو بيان بن سمعان، الذي أخذه من طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم، الذي أخذه من لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي ﷺ، فهذه مدرسته التي تربى فيها، فقد خرج على الأمة بمقالة شنيعة، كذّب بها صريح القرآن، فقال: إن الله لم يكلم موسى تكليمًا، ولم يتخذ إبراهيم خليلا، فقتل على هذه المقالة، قتله خالد بن عبد الله القسري، ثم أخذ منه هذه المقالة الجهم بن درهم، ونسبت إليه فرقة الجهمية، وعرفوا بتعطيل الله عز وجل عن الأسماء والصفات، وقتله سلم بن أحوز بمرو في خلافة هشام بن عبد الملك.

والمقصود؛ أنه ينبغي علينا معرفة مواطن النزاع بين أهل السنة والمبتدعة في كل مسألة من مسائل الدين.

فاعلم رحمك الله أن أصل البلاء عند المعطلة كلهم؛ هو تقديم عقولهم على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ، لكن كلمة تقديم عقولهم كلمة مجملة، لم يتبين منها أصل ومبدأ ضلالهم.

وإن مبدأ ضلال الجهمية عليهم من الله ما يستحقون يبدأ من مخالفتهم لقوله تعالى: ﴿فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل/٧٤)، فإن الله عز وجل نهى في هذه الآية أن يضرب العبد لله مثلًا، فلا يشبهه بأحد، ولا يقيسه بشيء.

=



=

قال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واعلم رحمك الله أنه ليس في السنة قياس ولا تضرب لها الأمثال.اهـ (شرح السنة/٥٣).

وقال: واعلم أنه من قال في دين الله برأيه وقياسه، وتأوله من غير حجة من السنة والجماعة؛ فقد قال على الله ما لا يعلم، ومن قال على الله مالا يعلم؛ فهو من المتكلفين.اهـ (شرح السنة/٢٥٨).

وقال الدارمي عثمان بين سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولا تقاس أسماء الله بأسماء الخلق. اهـ (نقض الدارمي/٨).

وقال: وكما ليس كمثله شيء؛ ليس كسمعه سمع، ولا كبصره بصر، ولا لهما عند الخلق قياس، ولا مثال، ولا شبيه.اهـ (نقض الدارمي/٤٥).

وقال محمد بن إسحاق بن منده رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن أبي يوسف القاضي أنه قال: ليس التوحيد بالقياس... لأن القياس يكون في شيء له شبه، ولا مثل له تبارك الله أحسن الخالقين.اهـ (التوحيد/٥٢٦).

ومع ذكر ما سبق، نرى الله عز وجل يقول في كتابه: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾ (النحل/٦٠)، فأي مثل نهانا الله عنه، وأي مثل أمرنا الله به.

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومما يوضح هذا، أن العلم الإلهي لا يجوز أن يستدل فيه بقياس تمثيلي يستوي فيه الأصل والفرع، ولا بقياس شمولي تستوي فيه أفراده، فإن الله سبحانه ليس كمثله شيء، فلا يجوز أن يمثل بغيره ولا يجوز أن يدخل تحت قضية كلية تستوي أفرادها.اهـ (درء التعارض:١/٢٩).

=



=

فذكر هنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ القياس الذي نهانا الله عز وجل عنه بقوله: ﴿فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ﴾ (النحل/٧٤).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موضع آخر يقرر فيه المثل الجائز في حقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ولكن يستعمل في ذلك قياس الأولي... كما قال تعالي: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾ (النحل/٦٠)، مثل أن يُعلم أن كل كمال ثبت للمخلوق أو المحدث لا نقص فيه بوجه من الوجوه، فإنما استفاده من خالقه وربه ومدبره فهو أحق به منه، وأن كل نقص وعيب في نفسه، وهو ما تضمن سلب هذا الكمال؛ إذًا وجب نفيه عن الرب تبارك وتعالي بطريق الأولي. (درء التعارض:١/٢٩) بتصرف.

فتبين لنا أصل الشبهة عند الجهمية، وهي وضعهم الله عز وجل في قياس مع خلقه، سواءٌ كان قياس تمثيل أو شمول.

وقياس التمثيل: هو إلحاق فرع بأصل في حكم جامع لعلة، وهذا النوع سبب رئيس من أسباب التعطيل، مثاله:

قال رسول الله ﷺ: "**كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ**" فالحديث ذُكرت فيه العلة والحكم، بقي لنا المحكوم عليه، والذي سنجعله أصل لما بعده، فنقول: الخمر مسكر إذا هو حرام، فصار عندنا أصل سنبني عليه ما بعده:

=

=

أصل أو فرع	علة	حكم
الخمر	مسكر	حرام
نبات الحشيش	مسكر	حرام

هكذا هو قياس التمثيل، فقد ألحقنا نبات (الحشيش) وهو فرع في المسألة بالخمر وهو أصل في المسألة بحكم جامع لاشتراك العلة بينهما؛ فكلاهما مسكر.

وهذا القياس صالح لما وضع له ، ولا يجوز في حق الله تعالى، فقد قال الله عز وجل : ﴿فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل/٧٤).

ولننظر كيف أعرضوا عن نهي الله عز وجل مما أوقعهم في التعطيل والتنقيص من قدر الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قالوا: نحن لا نعلم الفرق بين الإنسان والجماد إلا بالحركات والأفعال والأعراض (الصفات)، فقالوا: الموجودات إما إنسان، أو حيوان، أو نبات، أو جمادات، والسبيل في التفريق بين أشرف الأجناس وغيره، هي الأفعال: فالإنسان يفعل: ينام، يقوم، يستوي، يجلس يضحك، يبكي، يغضب، يحب، ينزل، يجيء، يتكلم...الخ ، أما الجماد فلا حركة له إلا السكون، فنظروا في كتاب الله فوجدوا الله عز وجل يقول عن نفسه: ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾ ، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ﴾...الخ من الأفعال التي وصف الله تعالى به نفسه في كتابه، وفي سنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

=



=

فقالوا: الله موجود، ثم قاسوه بالموجود الأول عندهم وهو الإنسان، ثم وجدوا الله عز وجل يفعل، فقالوا: موجود ألحقناه بموجود في علة واحدة! فالحكم سيكون واحدًا، إذا الله إنسان مخلوق محدث، وهذا ما فعلته الممثلة المشبهة.

أصل أو فرع	علة	حكم
موجود	يفعل	مخلوق أو إنسان
الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ	يفعل	مخلوق أو إنسان!

أما المعطلة فقالوا: كيف ذلك والله يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى/١١) إما أن نقول هو إنسان مخلوق وهذا كفر، أو نقول لا يفعل، ونؤول كلامه إما بالتفويض الكُلِّيّ، أو بالتحريف ونسميه تأويلًا مغالطة، أو نحكم عليه بطاغوت المجاز! وقد فعلوا!

وأما قياس الشمول: فهو قضية كُلية يشترك فيها أفرادها، أي هو قانون عام يُطبق على طائفة ما، أو جنس ما؛ بحيث يكونون مشتركون في أصل النوع، أو الجنس، أو الطائفة، كقولنا: كل أكلٍ لابد أن يكون باليد، فهذه قاعدة عامة، لا يدخل فيها إلا جنسها فقط، فالثعبان لا يأكل باليد، والأسد والسباع كلهم لا يأكلون باليد، حتى الأقطع من جنس البشر قد يأكل بالقدم، وقد رأينا من يفعل ذلك!

فمن شمولياتهم أن قالوا: كل كلام لا يكون إلا بفم وشفتين ولهوات ولسان، فهذا حق لمن هم كذلك وهم جنس الإنس، أما جنس الحيوانات والنباتات، الله أعلم بكيفية كلامهم، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ

=

=
﴿تَسْبِيحَهُمْ﴾ (الإسراء/٤٤)، فإذا كان هناك كلامٌ من المخلوقات لا نفقه ولا نعلم كيفية تسبيحهم، والتسبيح كلام، فكيف لنا بمعرفة كيفية كلام الرب سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، وسيأتي الكلام على هذه المسألة إن شاء الله تعالى.

فمثل هذه الأقيسة هي التي حرمتهم الهداية والتوفيق، جعلوها مسلمات، وهي كبيت العنكبوت، وكم من حاذقٍ متكلمٍ ندم في آخر عمره، وود أن يموت على عقيدة عجائز المسلمين، فانظر إلى فخر الدين الرازي الذي وضع قانون العقل والنقل، يندم ويتوب في آخر زمانه، وقد كان في قمة النظار المتكلمين، وها هو الشهرستاني، والأشعري، والغزالي أبو حامد، وأبو محمد الجويني، وابنه...الخ.

وبناءً على هذين القياسين ألفوا قوانين عقيلة باطلة ، قالوا : إن ما يوصف بالأعراض أي الصفات لابد أن يكون جسم ، والأجسام مركبه ، والتركيب عجز وافتقار، والله عز وجل واحد لا تركيب فيه، إذا لا يوصف بالأعراض أي الصفات، وبنوا على هذه المقدمة وغيرها عقيدتهم، فهي سراب لا قيمة لها شرعًا، ولا قيمة لها عقلًا، ويكفي ببداهة العقول أن نقول: ليس هناك موجود حي إلا وله صفات، بل قولنا موجود حي صفتان لازمتان وهما الوجود والحياة.

ومن غريب ما ألفوه، قالوا: إن تسميتنا لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى بأسماء ووصفه بأوصاف تقتضى عدم كونه واحد، كيف ذلك؟

يقولون: إن الله الذي نعبده هو الله، فلو قلنا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس الذي يسمع ويبصر ويتكلم صار عندنا أكثر من إله، فيكون عندنا الله والملك والقدوس
=



=

والذي يسمع والذي يبصر والذي يتكلم، وهذا باطل في دين الله لأنه واحد وليس كثير.

وهذه شبهة صلعاء، فإنه نفسه يتكلم ويبصر وقد يلقب بغير اسمه، أفصار أربعة حينئذ، أم هو واحد، ولذلك رد أحمد بن حنبل على هذا القول بأن الوليد بن المغيرة قال الله تعالى فيه أنه وحيد، وهذا الوحيد يسمع ويبصر وغير ذلك من الصفات والألقاب.

والمراد معرفة أصل ضلالهم.

ولذلك ينبغي أن يعلم أن نفيهم للرؤية والكلام، وما حصل من فتنة خلق القرآن إنما هو فرع على أصل، نعم فإن قضية خلق القرآن عند الجهمية، وعدم نزول الرب، وعدم كلامه، وعدم جواز رؤيته كل ذلك فرع على أصل، وهو نفيهم لصفات الأفعال، ظنًا منهم أن إثباتها لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يقتضي تشبيهه بمخلوقه لأن قياسهم أنتج ذلك، وبهذا يتضح لنا جليًّا قول الفضل بن عياض رَحِمَهُٱللَّهُ الذي ذكره البخاري في (خلق أفعال العباد): إذا قال لك الجهمي: أنا أكفر برب يزول عن مكانه، فقل: أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء.اهـ

وهذا فهم عالٍ جدًا من الفضيل رَحِمَهُٱللَّهُ، فهو يقول لك إن الجهمي في جداله لأهل السنة ينفي جزء جزء، ويريدك أن تجادله في كل جزئية، ولكي تقطع عليه الطريق، قل له: أنا أثبت لله فعلًا، فسواءٌ كان هذا الفعل نزول، مجيء، ضحك، غضب، رحمة، خلق، كلام، رضى...الخ من الأفعال الواردة في الكتاب والسنة، فأنا أثبتها ولا أنفيها عن الله عز وجل.

وقد أفرد شيخ الإسلام رَحِمَهُٱللَّهُ بابًا كبيرًا في موسوعته (درء التعارض:١١٥:١٨/٢) قال فيه:
=



وَلا يَعتَقِدُونَ تَشْبِيهًا لِصِفَاتِه بِصِفَاتِ خَلْقِه، فَيَقُولُونَ: إنَّه خَلَقَ آدمَ بِيَدِهِ، كَمَا نَصَّ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ عَزَّ مَنْ قَائِل: ﴿**قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾ (ص/٧٥)، وَلاَ يُحَرِّفُونَ الكَّلِمَ عَن مَوَاضِعِه بِحَمْلِ اليَدَّيْنِ عَلى النِّعْمَتَيْنِ أَوْ القُوَّتَيْنِ، تَحْرِيفَ الْمُعتَزِلَةِ الجَهْمِيَّة ، أَهْلَكَهُمُ اللهُ ، وَلاَ يُكَيِّفُونهَا بِكَيْفٍ أو شبهها بأَيْدِي الْمَخْلُوقِينَ تَشْبيهَ المشَّبِهَةِ، خَذَلهمُ اللهُ.

وَقدْ أَعَاذَ اللهُ تَعَالَى أَهْلَ السُنَّةِ مِنْ التَّحْرِيفِ والتَّشْبيهِ والتَّكيِيفِ، وَمَنَّ عَليِّهِم بالتَّعْرِيفِ والتَّفْهِيمِ حَتَّى سَلَكُوا سَبِيلَ التَّوحِيدِ والتَّنزِيهِ، وتَركُوا القَوْلَ بالتَّعْطِيلِ والتَّشْبيهِ، واتَّبَعُوا قَولَ اللهِ عز وجل: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾.(١)

=

وأما مسألة قيام الأفعال الاختيارية به، فإن ابن كُلَّاب، والأشعري وغيرهما ينفونها، وعلى ذلك بنوا قولهم في مسألة القرآن.اهـ

وذكر أقوال الأئمة في إثبات أفعال الله تعالى الاختيارية.

أما القياس الجائز في حقه تعالى، فهو الأولى أو المثل الأعلى، وهو كل كمال في حق المخلوق يجوز في حق الخالق فالله أولى به، قال تعالى: ﴿**لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى**﴾ (النحل/٦٠)، وإنما وُضع قيد (يجوز في حق الخالق) لأن النوم، والولد، والنكاح كمال في حق المخلوق ونقص في حق الله عز وجل، والله أعلم.

(١) ذكر هنا الإمام الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ طريقة أهل السنة أصحاب الحديث في صفات

=



=

الله تعالى؛ وهي إثباتها كما وردت في الكتاب والسنة، من غير تمثيل، ولا تكييف، ولا تحريف، ولا تعطيل.

والتمثيل: هو أن تجعل لله مثل، فتقول: وجه الله مثل وجهي، يد الله مثل يدي، سمعه مثل سمعي، وهكذا في سائر الصفات، وهؤلاء هم المشبهة الممثلة، حتى قال أحدهم: عافوني من الفرج واللحية، له يد كيدي...الخ من السخافات، والتي اتفق أهل السنة والمعطلة على بطلان مقالتهم تلك، وهذا التمثيل نهى الله عز وجل عنه في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى/١١).

وقد يطلق التشبيه ويراد به التمثيل، وهذا كثير في كلام السلف، ذكر اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن محمد بن الحسن يقول: اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلي المغرب علي الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله في صفه الرب عز وجل من غير تغيير ولا وصف ولا تشبيه.اهـ (شرح أصول الاعتقاد:٣/٩٢).

فقد يُذكر التشبيه ويُراد به التمثيل، والصواب في هذا أن لفظ التمثيل أدق من لفظ التشبيه، ولذلك جاء النفي به في القرآن الكريم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ولم يقل ليس كشبيهه شيء، وذلك لأن العبد بينه وبين الرب تعالى شبهٌ؛ وهو جواز إطلاق بعض الأسماء والصفات التي هي لله تعالى على العبد، فالله اسمه الرحيم، وعبده أيضًا يسمى رحيمًا، واسمه العزيز، والملك، والكريم، وكذلك العبد أيضًا، والله سميع بصير متكلم، وكذلك المخلوق، لكن سمع الله وكلامه، وبصره، وعزته، وملكه، ورحمته بما تليق بذاته، وسمع العبد وكلامه، وبصره، وعزته، وملكه ورحمته بما يليق بذاته، وهذه قاعدة

=



=

جليلة أقام عليها إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأدلة، وأكثر في بيانها واستيفائها، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يشبهه عبده في القدر المشترك، ويختلف في القدر الفارق، فما من شيئين إلا وبينهما قدر مشترك، مثل الرب والعبد، فالرب حي والعبد حي، فالقدر المشترك هنا لفظ (الحي)، وبينهما قدر فارق، فالقدر الفارق هنا نسبة الحياة للرب ونسبة الحياة للعبد، فمن نفي القدر المشترك، وهو لفظ (الحي) فما نسبه للرب ولا نسبة للعبد؛ فقد عطل الصفة عن الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وعن العبد، ومن نفي القدر الفارق، وهو نسبة الحياة للرب ونسبتها للعبد؛ فقد مثل بين الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وبين العبد، فلا فرق بينهما، فالمشابهة في الاسم لا تقتضي المشابهة في المسمى.

أما التكييف: وهو أن تجعل لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كيفية ما في ذهنك وخاطرك ليس لها نموذج في الواقع، كأن يقول يد الله كذا، ووجه الله كذا...الخ من التكييف للصفة، أو يقول: يفعل كذا بطريقة وطريقة معينه.

أما التحريف: هو التبديل أو التغيير أو الميل، وهو أنواع:

تحريف معنى، كقول المعطلة في قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح/١٠) يقولون المراد هنا: قدرة الله فوق قدرته، وسيأتي الكلام عنه إن شاء الله تعالى.

وتحريف بالحركة: كقولهم في قوله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾ (النساء/١٦٤)، هكذا برفع اسم الجلالة (اللهُ) على أنه فاعل مرفوع بالضمة، ونصب (موسىَ) بالفتحة المقدرة على أنه مفعول به، فيصير المعنى أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو المتكلم، وموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو المستمع، قالوا على زعمهم بنفي الكلام عن الله تعالى: الصواب في هذه الآية هكذا:

=



=

(وَكَلَّمَ اللهَ مُوْسَى تَكْلِيمًا)، بنصب اسم الجلالة (اللهَ) ليكون مفعول به مقدم، ورفع (موسى) بالضمة المقدرة كفاعل مؤخر، فيكون الكلام من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لا من الرب، فما أقبحه من تحريف وتبديل.

والتحريف باللفظ: كقولهم في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾ (الفجر/٢٢)، قالوا: (وجاء أمر ربك) فأضافوا لفظ في الآية.

وكذلك تحريف بالحرف: كإضافة حرف (اللام) في قوله: ﴿اسْتَوَى﴾، قالوا: استوى أي استولى.

أما التعطيل: فهو النفي والإخلاء، قال تعالى: ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾ (الحج/٤٥)، وهو جحد ما وصف الله به نفسه من الصفات، وإنكار قيامها بذاته، وتجريده من صفات الكمال، وقد يراد بالتعطيل: نفي حقيقة ما وصف الله به نفسه كمن يؤول صفاته الخبرية، فقد نفى حقيقتها إلى معنى آخر.

وقد ذكر الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ هنا صفة اليد واعتقاد أهل السنة فيها، فإن أهل السنة أصحاب الحديث يعتقدون أن لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يدًا كما تليق بذاته، على ما جاء به الخبر، والدليل على ثبوت صفة اليد، قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح/١٠)، وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ (المائدة/٦٤) وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ (يس/٧١)، وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الزمر/٦٧)،

=

=

وقال تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يس/٨٣)، وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران/٢٦).

ومن السنة قوله ﷺ : "**يُجْمَعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَيُرِيحُنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: لَهُ أَنْتَ آدَمُ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ...**" (البخاري/٧٥١٦)، وفي حديث المحاجة بين موسى وآدم عليهما السلام: "**قَالَ لَهُ آدَمُ يَا مُوسَى اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ...**" (البخاري/٦٦١٤)، (مسلم/٢٦٥٢).

فالأدلة على ثبوت صفة اليد كثيرة ومتنوعة، وقد ذكر الإمام ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه [التوحيد] ثلاثة عشر دليلًا متنوعًا في ثبوت صفة اليد لله تعالى على ما تليق به، فاليد معلومة المعنى مجهولة الكيفية.

ثم قال الإمام الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلاَ يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَن مَوَاضِعِه بِحَمْلِ اليَدَّيْنِ عَلى النِّعْمَتَيْنِ أَوْ القُوَّتَيْنِ**)، وهذا هو مسلك أهل البدع، الذين يحملون المحكم على المتشابهة، وكما ذكرت من قبل أن أهل التعطيل، نفوا عن الله كل صفة بحجة التشبيه، فقالوا: لو أثبتنا لله صفة لكان محلًّا للصفات، والصفات أعراض، والأعراض حوادث، والله منزهٌ عن حلول الحوادث، فلا يجوز أن نصف الله بالأعراض وهي بالصفات، وهذا من تمام تعطيلهم للصفات عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لأن الجهمية ينفون عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الأسماء والصفات، ثم تبعهم المعتزلة وخالفوهم، فأثبتوا الأسماء دون الصفات، ثم جاءت الكُلَّابية ومن تبعهم من الأشاعرة والماتُريدية، قالوا: نحن نثبت الأسماء وبعض

=

=

الصفات، فقد أثبتنا بعقولنا أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قدير، مريد، عليم، حي، سميع، بصير متكلم فقط، وما سوى ذلك من الأفعال التي وردت في الكتاب والسنة فمردها إلى الإرادة، فمثلًا هل الله يحب؟ نعم الله يريد أن يحب، وليس الله يحب، هكذا جعلوا مرد صفات الأفعال إلى الإرادة، فنفوا الاستواء، والنزول...الخ من الأفعال الاختيارية بنفس حجة الجهمية.

وكذلك قولهم في الصفات الخبرية، كاليد، والساق، والوجه، والنفس، والقدم والأصابع، وغير ذلك من الصفات، فلهم فيها تأويلات في غاية العجب، فيقولون في صفة اليد: إن العرب تعلم أن اليد قد تأتي وتكون بمعنى القدرة، مثل قولهم: أعينوني بأيديكم: أي بقدرتكم أو بقوتكم، وقد تأتي ويراد بها النعمة، مثل قولهم: له عليّ يدٌ: أي نعمة، إذًا كل يد في القرآن الكريم أو السنة النبوية تكون على هذين المعنيين،؛ حتى لا نشبه الله بالمخلوقين، فلما وجدوا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يذكر اليد في القرآن مثناه، ووجدوا نبيه يذكرها باليمين والشمال، قالوا: تكون اليدين هنا بمعنى النعمتين أو القدرتين، فقوله تعالى: ﴿**قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾ (ص/٧٥) أي: بنعمتي أو قدرتي!

وقال آخر: إن ذكر اليد هنا في حالة الإفراد أو المثنى إنما هو من باب المجاز لا الحقيقة، والقرآن يعارض بعضه بعضا، لأنه يذكر مرة لله يد واحدة، كقوله: ﴿**يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾ (الفتح/١٠)، ومرة مثناه كقوله: ﴿**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**﴾ (المائدة/٦٤)، ومرة بصيغة الجمع كقوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً**﴾ (يس/٧١)، فكم يد لله

=



=

إذًا! ولذلك وجب حمل اليد وغيرها من الصفات على المجاز!

أما الجواب عن الأول، وهو أن العرب إنما تطلق اليد ويقصدون النعمة أو القدرة صحيح، ولكن هذا معنى من معاني لفظ اليد، فكما قالوا: قد يراد بها النعمة وهذا معنى وقد يراد بها القدرة وهذا معنى آخر، وأيضًا باتفاق أهل اللغة تطلق اليد ويراد بها اليد التي هي اليد الجارحة بالنسبة للمخلوق، ولنا أن نسألهم عن قول الله تعالى: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ (المائدة/٣٨)، وعن قوله: ﴿**لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ (الأعراف/١٢٤)، وقوله: ﴿**فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ**﴾ (المائدة/٦)، ما معنى اليد هنا؟

سيقولون اليد في الأولى: هي يد السارق التي هي جارحته التي سرق بها.

والثانية: هي اليد التي هي جارحته.

والثالثة: هي اليد ولكن إلى المرفقين، وهذا باتفاق أهل الأرض جميعًا، أن المراد باليد هنا هي اليد الجارحة وليس غير، فلو سألناهم لماذا لم تقولوا: اليد هنا النعمة أو القدرة؟

سيقولون: إن السياق يحتم ذلك، فلا يمكن للنعمة وهي عَرَض، أو القوة وهي عرض؛ أن تُقطع، أو تُغسل.

قلنا لهم: فعين جوابكم هو عين جوابنا، فهل للنعمة أن تَخلُق، وأنَّى للنعمة أن تكتب؟!

أليس الله تعالى قد قال: ﴿**قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾ (ص/٧٥)، وقال ﷺ: "**قَالَ لَهُ آدَمُ يَا مُوسَى اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلامِهِ وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ...**" هذا وجه.

وجه آخر: ما معنى تخصيص الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالخلق بيديه، فإن كانت

=



=

اليد هنا القدرة، فمعلومٌ أن الله عز وجل خلق كل الخلق ومنهم إبليس بالقدرة، فلِما قال الله عز وجل له ذلك في حق آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ثم ما معنى تخصيص موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في حديث المحاجة "**خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ**"، وما معنى تخصيص آدم موسى عليهما السلام أيضًا في حديث المحاجة: "**خَطَّ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ**".

ووجه آخر، هل من أفعال النعمة والقدرة وهي أعراض -أي صفات لابد لها من محلٍ ما-؛ هل لها أن تفعل فعلًا مستقلًا، كأن نقول القدرة أو النعمة كتبت، وخلقت، وقبضت، وبسطت، وغير ذلك مما ورد في صفات يد الله تعالى؟!

وهل يجوز أن نقول القدرة اليمنى، والنعمة اليمنى، كما جاء في وصف اليد اليمنى لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال تعالى: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ (الزمر/٦٧)؟ حقًا ما قدروا الله حق قدره، فنفوا صفاته، وشبهوه بالعدم، هربوا من التشبيه للتشبيه، وهربوا من التعطيل إلى التعطيل.

أما الجواب عن الثاني، فالقول بالمجاز قول باطلٌ قطعًا، لأن المجاز لم يكن موجودًا قبل عند العرب، ولم يُعلم أن العرب قسَّمت الكلامَ إلى حقيقة ومجاز، بل الكلامُ كلُّه عند العرب حقيقة، لأن الحقيقة: هي ما تبادرت إلى الذهن من معنى، سواءٌ كان هذا المعنى مفهوم من مفردات الخطاب، أو من تركيبه، كمن يقول لصاحبه: خذ معك باب الدار وأنت خارج، فإن مفردات الخطاب اللفظية يفهم منها حمل الباب ونزعه من مكانه، لكن المراد غلقه وليس نزعه، وهذا المفهوم إنما هو مفهوم تركيبي.

=

=

ومثاله من الكتاب قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ (الأنعام/٥٤)، ظاهر الآية اللفظي، يفهم منه أنه تعالى كتب على نفسه أي كما يكتب الشخص على ثيابه، وجسمه، ولذلك جنح المعطلة إلى باب التأويل والمجاز لصرف هذا التوهم، والصحيح أن هذه الآية وغيرها من الآيات إنما تفهم بدلالة التركيب كقوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (طه/٣٩)، فلا يفهم منها أنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يصنع فوق عين الرب، فالله عالٍ ولا يعلوه أحد، ولكن المعنى في الأولى: أنه قضى وكتب في كتاب عنده فوق العرش على نفسه أن رحمته تسبق غضبه، وفي الأخرى: أن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مصنوعٌ برعاية الله، وأنه في معيته ومراقبته معية ومراقبة خاصة، وذلك لحبه تعالى له، فهذا هو المفهوم من الخطاب، وهذه هي الحقيقة.

أما القول بأن هذا هو المجاز لأنه وضع ثانٍ للكلام، وغير ذلك من التُرَّهاتِ التي لا قيمة لها، فلا يُعلم عند العرب أنهم قالوا ذلك، يقول الإمام القيم ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأهل اللغة لم يصرح أحدٌ منهم بأن العرب قسمت لغاتها إلى حقيقة ومجاز ولا قال أحد من العرب قط: هذا اللفظ حقيقة وهذا مجاز، ولا وجد في كلام من نقل لغتهم عنهم مشافهة ولا بواسطة ذلك، ولهذا لا يوجد في كلام الخليل وسيبويه، والفراء، وأبي عمرو بن العلاء، والأصمعي وأمثالهم ، كما لم يوجد ذلك في كلام رجل واحد من الصحابة، ولا من التابعين، ولا من تابعي التابعين، ولا في كلام أحد من الأئمة الأربعة.اهـ (مختصر الصواعق المرسلة/٢٦٧:٢٦٨).

أما الكلام في كم يد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟ حيث أنه ذكر آية بالإفراد، وآية بالمثنى، وآية

=

=

بالجمع؟ فإنه لا إشكال فيه.

معلومٌ عند أهل اللغة أن اللفظ المفرد والجمع يسوغ تأويله، فقول الله تعالى: ﴿**يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾ (الفتح/١٠) يجوز أن نقول فيه: اليد هنا بمعنى القدرة، مع ثبوت صفة اليد لله، وكذلك يجوز أن نفسر اليد بمعنى النعمة، كقولهم: له عندي يد، ولكن ثبوت هذا المعنى لا يقتضي نفي المعنى الأخر الصحيح، فإن ثبوت اللازم لا يستلزم نفي الأصل، وتفسير اليد هنا بمعنى اليد وبمعنى القدرة لا يتعارضان، وكلاهما صحيح في موضعه، وكذلك قوله تعالى: ﴿**مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً**﴾ (يس/١٠) فلفظ اليد هنا جمع ويجوز تفسيره بمعنى القدرة أيضا، فتصير مما عملت أيدينا بقدرتنا وقوتنا، مع ثبوت اليد لله تعالى أيضًا، فالمفرد والجمع يجوز تأويلها بمعنى صحيح.

ولذلك قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير آية: ﴿**وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ (البقرة/١١٥) الوجه هنا: القبلة وليس الوجه الذي هو صفة خبرية لله تعالى، وهو مع ذلك يثبت لله تعالى وجهًا يليق بذاته، وهذا متواتر عنه، فهل صار شيخ الإسلام مؤولًا أو مخالفًا لقاعدة السلف: إجراء النصوص على ظاهرها؟

لا، بل شيخ الإسلام إمام الأمة، وكل من جاء بعده عيالٌ عليه، وهو زينة العلماء، وطاووس الأئمة في عصره، فشيخ الإسلام نظر إلى تركيب الآية وأنها تناولت الصلاة والجهات من المشرق والمغرب، وأنه يجوز أن يقال في القبلة الوجه، - وإن كنت أميل إلى قول ابن القيم أن هذا غير جائز وأن هذه الآية من آيات الصفات، لكنى أناقش وجهة معينه من كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ - فشيخ الإسلام فهم من تركيب الآية أن المعنى

=

=

الآخر للفظ (وجه) أولى من كونه صفة خبريه، ولذلك يقول إن هذه الآية ليست من آيات الصفات.

أما الجمع بين صيغة الإفراد والتثنية والجمع، فالصواب أن لله يدين لا أكثر، فإن الآية التي وردت في صيغة الإفراد: هي من باب اللفظ المفرد، ومعلومٌ أن اللفظ المفرد المضاف يعم، كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الضحى/١١)، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾ (النحل/١٨)، فلفظ ﴿نِعْمَةَ﴾ هنا مفرد وهي عامة، فنعم الله أكثر من أن تحصى، فصارت آية ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ دالة على جنس اليد فتساوت في المعنى مع آية: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً﴾.

وكذلك الكلام في الجمع، فإن العرب تستعمل صيغة الجمع للدلالة على التكثير أو التعظيم، فيقولون: قمنا وفعلنا وأنشأنا، وقد جاء في القرآن ما يصدق هذا، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر/٩)، وقال تعالى: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (القصص/٧)، فهو وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذي أنزل الذكر، وهو وحده الذي يحفظه، كما هو وحده الذي رد نبيه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وجعله من المرسلين، فصيغة الجمع تأتي ويراد بها التعظيم، كما يراد بها الكثرة فصار المفرد المضاف والجمع غير معلومين العدد، فلما أن قال: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ (ص/٧٥) ذكر هنا لفظ التثنية وهو اسم عدد مخصوص لا يراد إلا هو، فهو من أسماء الأعداد التي تُقصد، فدلت الآية على أن لله تعالى يدان، ثم إن الجمع قد يراد به ذكر الجنس أي جنس اليد، ولا يعلم منه العدد كما ذكرت، وبهذا نعلم أن ما ورد في وصف اليد بصيغة الجمع لا يعارض

=

وَكَذَلِكَ يَقُولُونَ فِيَ جَمِيعِ الصِّفَاتِ الَّتِي نَزَلَ بِذِكْرِهَا القُرْآنُ، وَوَرَدَتْ بِهَا الأَخْبَارُ الصِّحَاحُ مِنْ السَّمْعِ، والبَصرِ، والعَيْنِ، والوَجهِ، والعِلمِ والقُوَّةِ، والقُدرةِ، والعِزَّةِ، والعَظَمَةِ، والإِرَادَةِ، والمَشِيئَةِ، والقَولِ، والكلاَمِ، والرِّضَا، والسَخَطِ، والحُبِّ، والبُغْضِ، والفَرَحِ، والضَحِكِ[1]، وغيرِهَا مِنْ غَيْر تَشْبيهٍ

=

التثنية والإفراد؛ لأن المقصود به التعظيم، والله أعلم.

(١) الكلام في هذه الصفات كالكلام في غيرها، ونحن نؤمن بكل صفة جاءت في الكتاب والسنة الصحيحة، فليس الإشكال عندنا وصف الله تعالى بصفة ما، ولكن الأمر عندنا متوقف على ثبوت الخبر، فنحن نؤمن بأن لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وصفاته كيفية وقدر ما؛ لا نعلمها لأنه سبحانه لم نره ولم نر له مثيل، فكل ما ذكره الإمام الصابوني رَحِمَهُٱللَّهُ وغيره من الصفات نؤمن به ونصدقه، وسأذكر بعض من أدلة الصفات التي أوردها الإمام رَحِمَهُٱللَّهُ:

دليل صفة السمع والبصر قوله تعالى: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ (الإسراء/١)، وقوله تعالى: ﴿**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾ (المجادلة:/١).

ومن السنة: عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا زوج النبي ﷺ قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: "**لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ**

=



=

مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ" (البخاري/٣٢٣١).

ودليل صفة العين: قوله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ (هود/٣٧)، وقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (طه/٣٩).

ومن السنة عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: "أَلا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا عَنْ الدَّجَّالِ مَا حَدَّثَ بِهِ نَبِيٌّ قَوْمَهُ، إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ بِمِثَالِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَالَّتِي يَقُولُ إِنَّهَا الْجَنَّةُ هِيَ النَّارُ، وَإِنِّي أُنْذِرُكُمْ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ نُوحٌ قَوْمَهُ" (البخاري/٣٣٣٨).

ودليل صفة الوجه: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ (الرعد/٢٢)، وقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (الكهف/٢٨)، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (القصص/٨٨).

ومن السنة عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما نزلت هذه الآية ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ قال رسول الله ﷺ: "أَعُوذُ بِوَجْهِك"، قال: ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: "أَعُوذُ بِوَجْهِك"، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ (الأنعام/٦٥)، قال رسول الله ﷺ: "هَذَا أَهْوَنُ أَوْ هَذَا أَيْسَرُ". (البخاري/٤٦٢٨).

ودليل صفة العلم: قال الله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة/٣٢)، وقال تعالى: ﴿أَوَلا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا

=



=

يُعْلِنُونَ﴾ (البقرة/٧٧)، وقال تعالى: **﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾** (الأنعام/٢٨).

ومن السنة قول رسول الله ﷺ في دعاء الاستخارة: "**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ**" (البخاري/٦٣٨٢).

ودليل صفة القوة: قوله تعالى: **﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾** (الشورى/١٩)، وقوله تعالى: **﴿إِنَّ الله هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾** (الذاريات/٥٨).

ودليل صفة القدرة: قال الله تعالى: **﴿إِنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** (البقرة/٢٠)، وقوله تعالى: **﴿قُلْ هُوَ الْقادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عذَاباً﴾** (الأنعام/٦٥)، وقوله: **﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾** (القمر/٥٤:٥٥).

ودليل صفة العزة: قوله: **﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** (البقرة/١٢٩)، وقوله: **﴿وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾** (آل عمران/٢٦).

ومن السنة: عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان النبي ﷺ يقول: "**أَعُوذُ بِعِزَّتِك**"، وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: "**لاَ تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ وَعِزَّتِكَ**" (البخاري/٦٦٦١).

ودليل صفة العظمة: قوله **﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾** (البقرة/٢٥٥)، وقوله تعالى: **﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾** (الواقعة/٧٤).

ومن السنة كما ورد في حديث الشفاعة، أن الله عز وجل يقول: "**وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي، لأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ: لاَ إِلَه إِلاَ الله**" (البخاري/٧٥١٠).

=

=

ودليل صفة الإرادة والمشيئة: اعلم أولًا؛ أن بين الإرادة والمشيئة عموم وخصوص، فكل مشيئة إرادة، وليس كل إرادة مشيئة، فالإرادة قد تكون بمعنى المحبة وهي الإرادة الشرعية، وقد تكون بمعنى المشيئة وهي الإرادة الكونية، قال عز وجل: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾ (الأنعام/١٢٥)، وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (الحج/١٤)، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة/٢١٣)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (الإنسان/٣٠).

ومن السنة عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: "وَكَّلَ اللهُ بِالرَّحِمِ مَلَكاً، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ نُطْفَةٌ؟ أَيْ رَبِّ عَلَقَةٌ؟ أَيْ رَبِّ مُضْغَةٌ؟ فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَ خلقَهَا قَالَ: أَيْ رَبِّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فَمَا الرِّزْقُ؟ فَمَا الأَجَلُ؟ فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ" (البخاري/٦٥٩٥).

وعن يحيى بن يعمر أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أخبرته، أنها سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون، فقال: "كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ" (البخاري/٦٦١٩).

ودليل صفة القول والكلام: فإن القرآن كله دليلٌ على كلام الله تعالى، قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة/٧٥)، وقال: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ﴾ (التوبة/٦)، وقال: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (آل عمران/٥٥).

ومن السنة ذكر الأحاديث القدسية، والتي يقول فيها الرسول ﷺ: قال الله.

=

=

ودليل صفة الرضا والسخط: قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (البينة/٨)، وقوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ (المائدة/٨٠).

ومن السنة عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: "**اللهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ**" (مسلم/٤٨٦).

ودليل صفة الحب: قوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران/٧٦)، وقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ (المائدة/٥٤)، وقال رسول الله ﷺ يوم خيبر: "**لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلا يُفْتَحُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**" (البخاري/٣٠٠٩).

ودليل صفة البغض: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "**إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلانًا فَأَبْغِضْهُ**" (مسلم/٢٦٣٧).

ودليل صفة الفرح: حديث النبي ﷺ: "**لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ**" (البخاري/٦٣٠٨).

ودليل صفة الضحك: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: "**يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ يَدْخُلانِ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُسْتَشْهَدُ**" (البخاري/٢٨٢٦).

فكل ما سبق وغير ذلك من الصفات نؤمن بها، ونثبتها على ما هي عليها، ونعلم أن لها

=



لِشَيٍّء مِنْ ذَلِكَ بِصِفَاتِ الْمَرْبُوبِينَ الْمَخْلُوقِينَ؛ بَلْ يَنْتَهُونَ فِيهَا إِلَى مَا قَالَهُ اللهُ تَعَالَى وَقالَهُ رَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَليْهِ وَآلِه وَسَلَّم مِنْ غَيْر زِيَادَةٍ عَلَيْه وَلا إِضَافَةٍ إِلَيْه، وِلاَ تَكْيِيفٍ لَهُ وَلاَ تَشْبيهٍ، وَلاَ تَحْرِيفٍ وَلاَ تِبْدِيلٍ وَلاَ تَغْيِيرٍ، وَلا إِزَالَةٍ لِلَفْظِ الخَبَرِ عَمَّا تَعْرِفُهُ العَرَبُ، وَتَضَعُهُ عَلَيْهِ بِتَأْوِيلٍ مُنْكَرٍ يُسْتَنْكَر، وَيُجْرُونَ عَلَى الظَّاهِرِ، وَيَكِلُونَ عِلَمَ عِلْمِهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَيُقِرُّونَ بِأَنَّ تَأْوِيلَهُ لاَ يَعْلَمُهُ إِلاَ اللهُ، كَمَا أَخبَرَ اللهُ عَنْ الرَّاسِخِينَ فِي العِلْمِ أَنَّهُم يَقُولُونَهُ فِي قَوْلَهِ تَعَالَى: ﴿**وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ (آل عمران/٧).[١]

=
كيفية، الله وحده سُبْحَانَهُوَتَعَالَى يعلمها.

(١) التأويل لفظ يطلق ويراد به حق تارة وباطل تارة، وقد كان لفظ (التأويل) محكم بيّنٌ لا لبس فيه عند السلف، حتى استعمله أهل البدع، ليردوا به الحق الذي هو عند أهل السنة، واصطلحوا على تعريف له لا أصل له في الحقيقة، وسيأتي بيانه لاحقًا إن شاء الله تعالى، فلنتعرف على حقيقة التأويل في اللغة والشرع.

التأويل لغة: تفسير ما يئول إليه الشيء. اهـ (مختار الصحاح/باب الألف/أول/٢٥).

وقال ابن الأثير: هو مِن آلَ الشيءُ يَؤُول إِلى كذا، أَي رَجَع وصار إِليه. اهـ (لسان العرب/اللام/أول).

وقد يسمى التأويل بمعنى العاقبة، لأن الأمر يصير إليها، قال الله تعالى: ﴿**فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ**
=



=

فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ (النساء/٥٩).

وتسمى حقيقة الشيء المُخبر به تأويلًا، لأن الأمر ينتهي إليه، ومنه قوله تعالى: **﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾** (الأعراف/٥٣)، فمجيء تأويله مجيء نفس ما أخبرت به الرسل من اليوم الآخر، والمعاد وتفاصيله، والجنة والنار، ويسمى تعبير الرؤيا تأويلا بالاعتبارين، فإنه تفسير لها وهو عاقبتها وما تؤول إليه، قال يوسف لأبيه: **﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾** (يوسف/١٠٠) أي حقيقتها ومصيرها إلى هٰهنا.

والتأويل في كتاب الله تعالى المراد به: حقيقة المعنى الذي يؤول اللفظ إليه، وهي الحقيقة الموجودة في الخارج، فإن الكلام نوعان:

١- خبر. ٢- إنشاء (طلب).

فتأويل الخبر -الكلام عن ذات الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وعن الغيبيات، وعن أحوال الأمم السابقة-: هو الحقيقة، أي تأويل **﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾** (هود/٤٠) أن التنور قد فار حقاً، وتأويل الوعد والوعيد هو نفس الموعود والمتوعد به، وتأويل دخول أهل الإيمان الجنة؛ أن أهل الإيمان سيدخلون الجنة، وتأويل ما أخبر الله به من أسمائه الحسنى وصفاته العُلى؛ هو نفس ما أخبر به سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فتأويل قوله تعالى: **﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾** (طه/٥) أن الرحمن على العرش استوى حقيقة.

وتأويل الأمر: هو نفس الأفعال المأمور بها، قالت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: كان رسول الله

=

=
ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: "**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ**" يتأول القرآن، فهذا التأويل هو نفس فعل المأمور به.

فتأويل الأخبار وقوعها كما أُخبرت، وتأويل الأوامر والنواهي تنفيذها.

ثم اعلم رحمك الله أن التأويل أيضًا قد يأتي بمعنى التفسير، وهذا في اصطلاح السلف، منه قول النبي ﷺ لعبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "**اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**"، ومنه قول ابن جرير وغيره: (القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا) يريد تفسيره، ومنه قول الإمام أحمد في كتابه في (الرد على الزنادقة والجهمية فيما تأولته من القرآن على غير تأويله)، فأبطل تلك التأويلات التي ذكروها، وهي تفسيرها المراد بها وهو تأويلها عنده، ومنه قول ابن منده في التوحيد: (ومن أسماء الله عز وجل: السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، قال أهل التأويل: كذا وكذا) أي قال أهل التفسير.

ولنا أن نسأل: ما الذي أحوج أهل السنة إلى تعريف (التأويل) وتقسيمه، وتوضيحه بتلك الإيضاحات، والتقسيمات؟

والجواب على هذا السؤال يتضح من ضرب هذا المثال، وكما يقال: التعريف بالمثال أوضح من التعريف بالمقال.

أنزل الله تعالى القرآن على نبيه محمد ﷺ بواسطة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكان مما أوحى الله عز وجل به إلى محمد ﷺ قوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾، فلننظر كيف فهم الناس هذه الآية.

أولًا: النبي ﷺ وصحابته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

=



=

مما لا شك فيه، أن النبي ﷺ لا يقول لأمته كلامًا لا يفهمه، وإلا فأدنى عقل يستقبح ذلك أشد القبح، فضلًا عن كونه نقصًا، ولذلك يجب على كل مؤمن موحد أن يقطع بأن أعقل وأفهم الخلق لكتاب الله عز وجل هو رسوله ﷺ، فهو المُبَلِّغُ عن الله تعالى.

ومعلوم قطعًا أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية على مسامع الصحابة الكرام، ولم نعلم لها تأويلًا عنه إلا قراءتها، وهذا يدل على أنه ﷺ يعلم أن الملك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على العرش استوى استواءً يليق بذاته، وكذلك سائر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ثانيًا: التابعون ومن جاء بعدهم من أهل السنة:

آمنوا بمعناها، وفوضوا كيفيتها، وهذا ما وصلنا عنهم، وهم الأثبات الثقات، ولا يجتمعون على ضلالة أبدًا، قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ، وسبقه ربيعة الرأي رَحِمَهُ اللَّهُ: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب، وقد نقل اللالكائي رَحِمَهُ اللَّهُ الإجماع على ذلك.

ثالثًا: أهل التعطيل والتأويل والمجاز:

نصبوا ألوية العقل، ونشروها في بقاع الأرض، وسموها قواطع عقليه، وضربوا لله الأمثال، وخالفوا أمر الله عز وجل في القرآن، فلما سمعوا الله يقول: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ قالوا: كيف استوى والاستواء فعل البشر، هذا قول مؤتفك، هذا كلامٌ غير منضبط، ولكنهم ما استطاعوا أن يصرحوا بتكذيبه، فذهبوا يحتالون حيلة بعد حيله، فخرج منهم من يقول: استوى بمعنى استولى، واستدل بشاعر نصراني، وخرج آخر يقول: هذا من باب المجاز، وجعل كلام الأول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وضع ثانٍ! وخرج ثالث،

=

=

ورابع، وخامس، ثم سموا ما فعلوه تأويلًا.

وهذا هو سبب تقسيم مسائل الاعتقاد إلى هذه التقسيمات، مثل تقسيم مراتب القضاء والقدر، وأنواع الإضافة إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وغير ذلك.

فقول الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَتَضَعُهُ عَلَيْهِ بِتَأْوِيلٍ مُنكَرٍ يُسْتَنْكَر**)، هذا من صنيع أهل الضلال، وهذا أسلوب يستخدمه من يريد أن يمرر تأويله.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أسباب قبول التأويل عند العامة، منها: أن يُخرجَ المعنى الذي يريد إبطاله بالتأويل في صورة مستهجنة، تنفر عنها القلوب، وتنبو عنها الأسماع، فيتخير له من الألفاظ أكرهها وأبعدها وصولا إلى القلوب، وأشدها نفرة عنها، فيتوهم السامع أن معناها هو الذي دلت عليه تلك الألفاظ، فيسمى التدين؛ ثقالة، وعدم الانبساط إلى السفهاء والفساق والبطالين؛ سوء خلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والغضب لله والحمية لدينه؛ فتنة وشرا وفضولا، فكذلك أهل البدع والضلال من جميع الطوائف، هذا معظم ما ينفرون به عن الحق ويدعون به إلى الباطل، فيسمون إثبات صفات الكمال لله تجسيما وتشبيها وتمثيلا، ويسمون إثبات الوجه واليدين له تركيبا، ويسمون إثبات استوائه على عرشه وعلوه على خلقه فوق سمواته تحيزا وتجسيما، ويسمون العرش حيزا وجهة، ويسمون الصفات أعراضا، والأفعال حوادث، والوجه واليدين أبعاضا، والحكم والغايات التي يفعل لأجلها أغراضا، فلما وضعوا لهذه المعاني الصحيحة الثابتة تلك الألفاظ المستنكرة الشنيعة، تم لهم من نفيها وتعطيلها ما أرادوه، فقالوا للأغمار والأغفال: اعلموا أن ربكم منزه عن الأعراض، والأغراض، والأبعاض، والجهات،

=

=

والتركيب، والتجسيم، والتشبيه، فلم يشك أحدٌ لله في قلبه وقار وعظمة في تنزيه الرب تعالى عن ذلك، وقد اصطلحوا على تسمية سمعه وبصره وعلمه وقدرته وإرادته وحياته أعراضا، وعلى تسمية وجهه الكريم ويديه المبسوطتين أبعاضا، وعلى تسمية استوائه على عرشه وعلوه على خلقه وأنه فوق عباده تحيزا، وعلى تسمية نزوله إلى سماء الدنيا، وتكلمه بقدرته ومشيئته إذا شاء، وغضبه بعد رضاه ورضاه بعد غضبه حوادث، وعلى تسمية الغاية التي يفعل ويتكلم لأجلها غرضا، واستقر ذلك في قلوب المتلقين عنهم، فلما صرحوا لهم بنفي ذلك، بقي السامع متحيرا أعظم حيرة بين نفي هذه الحقائق التي أثبتها الله لنفسه وأثبتها له جميع رسله وسلف الأمة بعدهم وبين إثباتها. اهـ (مختصر الصواعق المرسلة/٧٦).

وقول الإمام الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَيُجْرُونَ عَلَى الظَّاهِرِ، وَيَكِلُونَ عِلَمَ عِلْمِهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَيُقِرُّونَ بِأَنَّ تَأْوِيلَهُ لاَ يَعْلَمُهُ إِلاَ اللهُ**)...قال تعالى: ﴿**وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الأَلْبَابِ**﴾ (آل عمران/٧).

هذا هو مذهب ومنهج السلف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، أنهم يجرون آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها، وكما ذكرت قبل أن كلمة الظاهر يراد بها المفهوم من الخطاب، وليس ظاهر اللفظ.

أما قول الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَيَكِلُونَ عِلَمَ عِلْمِهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى**) فهذا قول مشكل، لأن أهل السنة يثبتون للصفات معانٍ ولا يعلمون لها كيفية، بل يقولون إن لصفات ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كيفية حقيقية لا يعلمها إلى هو.

=



=

وسبب إشكال هذه اللفظة، أن أهل الإثبات ينقسمون إلى ثلاثة فرق في الظاهر، فأهل السنة يثبتون لله الأسماء والصفات على ما جاءت في الكتاب والسنة، ويثبتون معانيها، ويفوضون كيفيتها، ويقولون: ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

والفرقة الثانية: هم المفوضة الكليون، الذين يقولون: نحن نؤمن بأسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة، ولكن لا نعلم معنىً لها فضلًا عن كيفيتها، فجعلوا أهل الإتباع كالأميين الذين لا يقرءون ولا يفهمون، فصار الكتاب والسنة ملغز في ألفاظه، وجعلوهما ألفاظ مجردة عن المعاني، وهؤلاء قوم منتسبون لأصحاب المذاهب الأربعة، ولذلك يخطئ من يقول إن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يقول بالتفويض الكلي، بل السلف كلهم مجمعون على أن صفات الله تعالى لها معنى من المعاني لا ندري كيفيتها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هؤلاء القوم: ولهذا لما ظن طائفة من المتأخرين أن لفظ التأويل في القرآن والحديث في مثل قوله تعالي ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ (آل عمران/٧) أُرِيدَ به هذا المعني الاصطلاحي الخاص، واعتقدوا أن الوقف في الآية عند قوله : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ لزم من ذلك أن يعتقدوا أن لهذه الآيات والأحاديث معاني تخالف مدلولها المفهوم منها، وأن ذلك المعني المراد بها لا يعلمه إلا الله، لا يعلمه المَلَكُ الذي نزل بالقرآن وهو جبريل، ولا يعلمه محمدا ﷺ، ولا غيره من الأنبياء، ولا تعلمه الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وأن محمدا كان يقرأ قوله تعالي: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (طه/٥)، وقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ (فاطر/١٠)، وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ (المائدة/٦٤)، وغير

=



=

ذلك من آيات الصفات، بل ويقول: "**يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا**" ونحو ذلك وهو لا يعرف معاني هذه الأقوال، بل معناها الذي دلت عليه لا يعلمه إلا الله، ويظنون أن هذه طريقة السلف. اهـ (درء تعارض العقل مع النقل: ١/١٤: ١٥).

والسبب الرئيس لمقالة المفوضة هؤلاء هو أحد أمرين إن لم يكن كلاهما:

- أن هذه النصوص من المتشابهات.

- وأن المتشابهات لها تأويلًا ما، وهذا التأويل لا يعمله مطلقًا إلا الله عز وجل، وقصدوا تأويل المعنى والكيف.

فنتج عن هذين الأمرين، كما قال شيخ الإسلام استجهال كل من نقل هذه النصوص من أول جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى آخر محتج أو راوٍ بهذه النصوص.

أما ظنهم أن ظواهر النصوص تقتضي التشبيه، فقد أشرنا إلى بطلان ذلك المعنى، وذلك لأنه ما من شيئين إلا وبينهما قدر مشترك، وهو اللفظ المضاف إليهما، وقد فارق، وهو مفهوم الإضافة وكنهها في كل منهما، فمن زال هذا اللفظ عنهما فقد عطلهما منه، ومن زال الفرق بينهما لاتفاق اللفظ المضاف إليهما، فقد ساوى بينهما، وهذا معلوم ببطلانه لمن له حظ من النظر.

أما قولهم: أن هذه المتشابهات لا يعلمها إلا الله، وأن الوقف الصحيح في قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ (آل

=

=

عمران/٧) هو عند قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ فللعلماء نظر وتبيين، فإن أهل السنة يقولون: إن ما كان متشابهًا يرد إلى محكمه، وآيات الصفات عندنا من المتشابهات لأنها مجهولة الكيف، فنردها إلى المحكمات، وهو قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، وقوله: ﴿فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل/٧٤)، وقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾ (طه/١١٠)، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾، وقد ذكر ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره اختلاف العلماء في الوقف على قولين:

القول الأول: أن الله وحده هو الذي يعلم تأويل هذا المتشابه، وأن الراسخون يؤمنون بما جاء به الرب عز وجل محكمه ومتشابهه.

والفريق الآخر يقولون: بل معنى الآية: وما يعلم تأويل ذلك إلا الله، والراسخون في العلم وهم مع علمهم بذلك ورسوخهم في العلم يقولون: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾.

ويقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينًا عدم تعارض القولين: فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد، فإن قيل: أنتم تعلمون أن كثيرا من السلف رأوا أن الوقف عند قوله ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾، بل كثير من الناس يقول: هذا هو قول السلف، ونقلوا هذا القول عن أُبي بن كعب وابن مسعود وعائشة وابن عباس وعروة بن الزبير وغير واحد من السلف والخلف، وإن كان القول الآخر: وهو أن السلف يعلمون تأويله منقولا عن ابن عباس أيضا، وهو قول مجاهد، ومحمد بن جعفر، وابن إسحاق، وابن قتيبة، وغيرهم، وما ذكرتموه قدح في

=



=

أولئك السلف وأتباعهم.

قيل: ليس الأمر كذلك، فإن أولئك السلف الذين قالوا: لا يعلم تأويله إلا الله كانوا يتكلمون بلغتهم المعروفة بينهم، ولم يكن لفظ التأويل عندهم يراد به معني التأويل الاصطلاحي الخاص، وهو صرف اللفظ عن المعني المدلول عليه المفهوم منه إلي معني يخالف ذلك، فإن تسمية هذا المعني وحده تأويلا إنما هو اصطلاح طائفة من المتأخرين من الفقهاء والمتكلمين وغيرهم، ليس هو عرف السلف من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم، لاسيما ومن يقول إن لفظ التأويل هذا معناه يقول: إنه يحمل اللفظ علي المعني المرجوح لدليل يقترن به، وهؤلاء يقولون: هذا المعني المرجوح لا يعلمه أحد من الخلق والمعني الراجح لم يرده الله.

وإنما كان لفظ التأويل في عرف السلف يراد به ما أراده الله بلفظ التأويل في مثل قوله تعالي: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ (الأعراف/٥٣)، وقال تعالي: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ (النساء/٥٩)، وقال يوسف: ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيايَ مِنْ قَبْلُ﴾ (يوسف/١٠٠)، وقال يعقوب له: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ (يوسف/٦)، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ﴾ (يوسف/٤٥)، وقال يوسف: ﴿لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ (يوسف/٣٧)

فتأويل الكلام الطَّلَبي: الأمر والنهي وهو نفس فعل المأمور به وترك المنهي عنه، كما قال سفيان بن عيينة: السنة تأويل الأمر والنهي، وقالت عائشة: كان رسول الله ﷺ

=



=

يقول في ركوعه وسجوده: "**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**" يتأول القرآن، وقيل لعروة بن الزبير: فما بال عائشة كانت تصلي في السفر أربعا؟ قال: تأولت كما تأول عثمان، ونظائره متعددة.

وأما تأويل ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر فهو نفس الحقيقة التي أخبر عنها، وذلك في حق الله: هو كنه ذاته وصفاته التي لا يعلمها غيره، ولهذا قال مالك وربيعة وغيرهما: الاستواء معلوم والكيف مجهول، وكذلك قال ابن الماجشُّون وأحمد بن حنبل وغيرهما من السلف يقولون: إنا لا نعلم كيفية ما أخبر الله به عن نفسه وإن علمنا تفسيره ومعناه.

ولهذا رد أحمد بن حنبل علي الجهمية والزنادقة فيما طعنوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه علي غير تأويله، فرد علي من حمله علي غير ما أريد به، وفسر هو جميع الآيات المتشابهة، وبين المراد بها.

وكذلك الصحابة والتابعون فسروا جميع القرآن، وكانوا يقولون: إن العلماء يعلمون تفسيره وما أريد به، وإن لم يعلموا كيفية ما أخبر الله به عن نفسه، وكذلك لا يعلمون كيفية الغيب، فإن ما أعده الله لأوليائه من النعيم لا عين رأته ولا أذن سمعته ولا خطر علي قلب بشر، فذاك الذي أخبر به لا يعلمه إلا الله، فمن قال من السلف: إن تأويل المتشابه لا يعلمه إلا الله بهذا المعني فهذا حق، وأما من قال: إن التأويل الذي هو تفسيره وبيان المراد به لا يعلمه إلا الله، فهذا ينازعه فيه عامة الصحابة والتابعين الذين فسروا القرآن كله وقالوا: إنهم يعلمون معناه كما قال مجاهد: عرضت المصحف علي ابن عباس

=



[الكَلامُ، والقُرآنُ]

وَيَشْهَدُ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ وَيَعتَقِدُونَ: أَنَّ القُرْآنَ كَلاَمُ اللهِ وَكِتَابُه وَوَحْيُهُ وَتَنْزِيلُهُ غَيْرَ مَخْلُوقٍ، وَمَنْ قَالَ بِخَلْقِهِ وَاعْتَقَدَهُ فَهُو كَافِرٌ عِنْدَهُم.

وَالقُرْآنُ الَّذِي هُو كَلاَمُ اللهِ وَوَحْيُهُ؛ هُو الذَّي نَزَلَ بِهِ جَبْرَئِيلُ عَلى الرَّسُولِ

=

من فاتحته إلي خاتمته أقفه عند كل آية وأسأله عنها، وقال ابن مسعود: ما في كتاب الله آية إلا وأنا أعلم فيم أنزلت، وقال الحسن البصري: ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن يعلم ما أراد بها.

ولهذا كانوا يجعلون القرآن يحيط بكل ما يطلب من علم الدين، كما قال مسروق: ما نسأل أصحاب محمد عن شيء إلا وعلمه في القرآن ولكن علمنا قصر عنه، وقال الشعبي: ما ابتدع قوم بدعة إلا في كتاب الله بيانها، وأمثال ذلك من الآثار الكثيرة المذكورة بالأسانيد الثابتة مما ليس هذا موضع بسطه. (الدرء:١/٢٠٦:٢٠٨).

أما الفرقة الثالثة من المثبتة: فهم الممثلة، يقولون: نحن نثبت ظواهر النصوص على ما جاءت به، ولا نعلم لظاهرها إلا ما نراه بأعيننا، فلو قال له وجه، فلا أعلم وجهاً إلا وجهي، فنقول وجهه كوجهي، وهكذا في سائر الصفات، والجواب عليهم قولنا لهم: إذًا وجوهكم كوجوه الخنازير، لأننا نقول وجه الخنزير، فصار وجهك كوجه بل مثل وجه الخنزير، وهذا معلوم البطلان، ولذلك لم يأبه العلماء في إفراد التصانيف كما أفردوها في الرد على المؤولة والمعطلة.



ﷺ قرآناً عَربِيّاً لِقَومٍ يعلَمُونَ، بَشيراً وَنَذيراً، كَمَا قالَ عز وجل: ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**﴾ (الشعراء/١٩٢:١٩٥).

وَهو الَّذِي بَلَّغَهُ الرَّسُولُ ﷺ أُمَّتَهُ، كَمَا أُمِرَ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ**﴾ (المائدة/٦٧)، فَكَانَ الَّذِي بَلَغَهُمْ بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى كَلامُه عز وجل، وَفِيهِ قَالَ ﷺ: "**أَتَمْنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلامَ رَبِّي**".(١)

وَهو الَّذِي تَحْفَظُهُ الصُّدُورُ وَتَتْلُوهُ الأَلْسِنَةُ وَيُكتَبُ فِي المَصَاحِفِ كَيْفَ مَا تَصَرَّفَ بِقِرَاءَةِ قَارِئٍ، لَفْظِ لافِظٍ، وَحِفْظِ حَافِظٍ، وَحَيْثُ تُلِيَ، وَفِي أَيِّ مَوْضِعٍ قُرِئَ وَكُتِبَ فِي مَصَاحِفِ أَهْلِ الإِسْلامِ، وَأَلْوَاحِ صِبْيَانِهِم وَغَيْرِها؛ كُلُّهُ كَلاَمُ اللهِ جل جلاله غَيْرُ مَخْلُوقٍ(٢)، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّه مَخْلُوقٌ فَهُو كَافِرٌ باللهِ العَظِيمِ.(١)

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد في مسنده (٢٣/٣٧٠)، وأبو داود (٤٧٣٦) والترمذي (٢٩٢٥)، وابن ماجه (٤٧٣٤) بلفظ: "**فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي**".

(٢) قال أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن القرآن يتصرف على خمسة أوجه:

نراه بأبصارنا، والأبصار مخلوقة، والذي نبصر فيها غير مخلوق.

ونقرأه بألسنتنا، والألسنة مخلوقة، والمقروء بها غير مخلوق.

ونسمعه بآذاننا، والآذان مخلوقة، والمسموع بها غير مخلوق.

ونكتبه بأيدينا، والأيدي مخلوقة، والمكتوب بها غير مخلوق.



=

ونحفظه بقلوبنا، والقلوب مخلوقة، والمحفوظ بها غير مخلوق. (الحجة في بيان المحجة:٢/٥١٨).

(١) ذكر الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ مسألة الكلام والقرآن كمسألة مستقلة، وهما كما ذكرت، لا ينفكان عن باقي الأسماء والصفات، فالكلام فعل من أفعال الله عز وجل، والقرآن شاهد على ذلك، فكان نفي القرآن عن كونه كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الشغل الشاغل عند أهل البدع والإلحاد، وذلك لما مُكِّنَ لهم وصارت لهم دولة؛ امتحنوا الناس وفتنوهم في القرآن هل هو كلام الله؟ أم مخلوق من المخلوقات؟ وكانت فتنة كبيرة جدًا، قُتل فيها أُناس كثيرون، وقطعت مؤنة آخرون، وضُرب فيها الإمامُ أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولذلك أفرد الإمام الصابوني وغيره مسألة الكلام والقرآن في باب مستقل؛ لعظم المسألة ولما حدث فيها من أحداث، وهي من باب إفراد الخاص عن العام.

والكلام في مسألة القرآن سينقسم إلى قسمين:

الأول منهج أهل السنة والجماعة في مسألة الكلام والقرآن.

والثاني مذهب أهل الزيغ والضلال.

أما الأول: فاعلم رحمك الله أن أهل السنة والجماعة أصحاب الحديث مجمعون على أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يفعل ما يشاء، ومن تمام فعله أنه يأمر وينهى، والأمر والنهي كلامه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقد أخبرنا الله تعالى ونبيه ﷺ بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يتكلم بكلام هو صوت وحرف متى شاء بما شاء كيف شاء.

ومجمعون على أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يسكت عن الكلام متى شاء كيف شاء، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾ (البقرة/٣٠)، وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا**

=



=

﴿الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة/١٥٣)، وقال تعالى ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً﴾ (مريم/٥٢).

ومن السنة حديث المحاجة والذي قال آدم فيه لموسى عليهما السلام: "**أَنْتَ الَّذِي كَلَّمَكَ اللهُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ...**" (التوحيد لابن خزيمة/١٩٢)، وحديث النبي ﷺ: "**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَ وَسَيُكَلِّمَهُ رَبَّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبِيْنَهُ حَاجِبٌ**" (التوحيد/٢٠٧).

والدليل على أن كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بصوت: ما روى عن عبد الله بن أنيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "**يَحْشُرُ اللهُ الْعِبَادَ عُرَاةً غُرْلاً بُهْماً لَيْسَ مَعَهُمْ شَيءٌ، فَيُنَادِيهِم بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا الْمَلِكُ...**" الحديث. (صحيح الأدب المفرد:٧٤٦/٩٧٠).

وأما دليل الحرف، فقوله ﷺ: "**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لاَ أَقُوْلُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ**" رواه الترمذي وصححه الألباني.

وأما الدليل على أن القرآن كلام الله قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة/٧٥)، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ﴾ (التوبة/٦)، وقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ﴾ (الفتح/١٥)، وقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾ (النساء/١٦٤).

فقد دل الكتاب والسنة على أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يتكلم، وأن القرآن كلامه

=



=

سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، ولنذكر بعضًا من أقوال السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ في مسألة الكلام والقرآن:

قال الحميدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والقرآن كلام الله، سمعت سفيان يقول: القرآن كلام الله. اهـ (أصول السنة/٤٠).

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فأول ما نبدأ بالقول فيه من ذلك عندنا: القرآنُ كلام الله وتَنزيلُه. اهـ (صريح السنة/١٨).

قال أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والقرآن كلام الله وليس بمخلوق. اهـ (أصول السنة/٥٨).

قال المزني إسماعيل بن يحيي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والقرآن كلام الله عز وجل ومن لدنه، وليس بمخلوق فيبيد. اهـ (شرح السنة/٨١).

قال الإسماعيلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ويقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق، وإنه كيفما تصرف بقراءة القارئ له، وبلفظه، ومحفوظًا في الصدور، متلواً بالألسن، مكتوبًا في المصاحف غير مخلوق. اهـ (اعتقاد أهل السنة/٤٠).

وعلى هذا أجمعوا رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ. (شرح أصول الاعتقاد:٢/٣٦٦:٤٧٢)

فهذه جملة من أقاويل السلف في ثبوت الكلام لله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، وأن القرآن كلامه، وكذلك التوراة والإنجيل والزبور والصحف، كل ذلك كلامٌ لله تعالى، ولكن لأهل البدع شأن آخر في هذه الصفة، وهي كما قلت منفية عندهم نتيجة لنفيهم لصفات الأفعال، فإن الجهمية نفوا عن الله الأسماء والصفات، وتبعتهم المعتزلة فأثبتوا الاسم دون الصفة، والكلام صفة، فنفوا عنه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ الكلام، وأسسوا على هذا النفي أسسًا وقواعد فتنتهم التي ابتلوا بها العباد، وضرب فيها أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ،

=

=

ولنتعرف سويًّا على أهم شبهاتهم، وكيف رد عليهم أهل العلم عليها.

أولًا: أقول الفرق المبتدعة في القرآن:

قال القيم ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اختلف أهل الأرض في كلام الله تعالى:

[الأول] **فذهب الاتحادية القائلون بوحدة الوجود**: أن كل كلام في الوجود كلام الله، نظمه ونثره وحقه وباطله، سحره وكفره، والسب والشتم والهجر والفحش، وأضداده كله عين كلام الله تعالى القائم به كما قال عارفهم:

وكلُ كلامٍ في الوجُودِ كلَامُه سَوَاءٌ عَلَيْنَا نَثْرَهُ وَنظامُه

وهذا المذهب مبني على أصلهم الذي أصلوه، وهو أن الله سبحانه هو عين هذا الوجود، فصفاته هي صفات الله، وكلامه هو كلام الله.

المذهب الثاني: مذهب الفلاسفة المتأخرين أتباع أرسطو، وهم الذين يحكي ابن سينا والفارابي والطوسي قولهم: إن كلام الله فيض فاض من العقل الفعال على النفوس الفاضلة الزكية بحسب استعدادها، فأوجب لها ذلك الفيض تصورات وتصديقات بحسب ما قبلته منه.

المذهب الثالث: مذهب الجهمية، النُّفاة لصفات الرب تعالى، القائلين إن كلامه مخلوق ومن بعض مخلوقاته، فلم يقم بذاته سبحانه، فاتفقوا على هذا الأصل، واختلفوا في فروعه.

قال الأشعري في كتاب المقالات: اختلفت المعتزلة في كلام الله تعالى هل هو جسم أو ليس بجسم، وفي خلقه على ستة أقاويل.

=

=

المذهب الرابع: مذهب الكُلابية أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب: أن القرآن معنى قائم بالنفس لا يتعلق بالقدرة والمشيئة، وأنه لازم لذات الرب كلزوم الحياة و العلم، وأنه لا يسمع على الحقيقة، والحروف والأصوات حكاية له دالة عليه وهي مخلوقة، وهي أربعة معاني في نفسه؛ الأمر والنهي والخبر والاستفهام، فهي أنواع لذلك المعنى القديم الذي لا يسمع، وذلك المعنى هو المتلو المقروء وهو غير مخلوق، والأصوات والحروف هي تلاوة العباد وهي مخلوقة، وهذا المذهب أول من يُعرف أنه قال به ابن كلاب، وبناه على أن الكلام لا بد أن يقوم بالمتكلم، والحروف والأصوات حادثة، فلا يمكن أن تقوم بذات الرب تعالى لأنه ليس محلا للحوادث، فهي مخلوقة منفصلة عن الرب، والقرآن اسم لذلك المعنى وهو غير مخلوق.

المذهب الخامس: مذهب الأشعري ومن وافقه: أنه معنى واحد قائم بذات الرب تعالى، لأنه ليس بحرف ولا صوت ولا ينقسم ولا له أبعاض ولا له أجزاء، وهو عين الأمر وعين النهي وعين الخبر وعين الاستخبار، الكل واحد، وهو عين التوراة وعين الإنجيل والقرآن والزبور، وكونه أمرا ونهيا وخبرا واستخبارا صفات لذلك المعنى الواحد، لا أنواع له، فإنه لا ينقسم بنوع ولا جزء، وكونه قرآنا وتوراة وإنجيلا تقسيم للعبارات عنه، لا لذاته، بل إذا عبر عن ذلك المعنى بالعربية كان قرآنا، و إذا عبر عنه بالعبرانية كان توراة، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلا، والمعنى واحد، وهذه الألفاظ عبارة عنه ولا يسميها حكاية، وهي خلق من المخلوقات، وعنده لم يتكلم الله بهذا الكلام العربي ولا سمع من الله، وعنده ذلك المعنى سمع من الله حقيقة.

=

=

المذهب السادس: مذهب الكَرّامية: وهو أنه متعلق بالمشيئة والقدرة، قائم بذات الرب تعالى، وهو حروف وأصوات مسموعة، وهو حادث بعد أن لم يكن، فهو عندهم متكلم بقدرته ومشيئته بعد أن لم يكن فاعلا.

المذهب السابع: مذهب السالمية: ومن وافقهم من أتباع الأئمة الأربعة وأهل الحديث؛ أنه صفة قديمة قائمة بذات الرب تعالى لم يزل ولا يزال، لا يتعلق بقدرته ومشيئته، ومع ذلك هو حروف وأصوات، وسور وآيات، سمعه جبريل منه، وسمعه موسى بلا واسطة، ويُسمعه سبحانه من يشاء، وإسماعه نوعان: بواسطة، وبلا واسطة، ومع ذلك فحروفه وكلماته لا يسبق بعضها بعضا، بل هي مقترنة الباء مع السين مع الميم في آن واحد، ثم لم تكن معدومة في وقت من الأوقات، ولا تعدم، بل لم تزل قائمة بذاته سبحانه قيام صفة الحياة والسمع والبصر. اهـ (مختصر الصواعق المرسلة/ ٤٦٦:٤٧١).

ثانيًا: شبهات الجهمية في القرآن، والرد عليها.

تنقسم شبهات الجهمية وأفراخها إلى قسمين:

أولاً: شبهات عقلية.

ثانياً: شبهات نقلية.

وإنما قدمت الشبهات العقلية، لأن من أصولهم تقديم العقل على النقل، كما قالوا: إذا تعارضت الأدلة السمعية والعقلية، أو السمع والعقل، أو النقل والعقل، أو الظواهر النقلية والقواطع العقلية، أو نحو ذلك من العبارات، فإما أن يجمع بينهما وهو محال لأنه جمع بين النقيضين، وإما أن يُرَدّا جميعا، وإما أن يُقدم السمع وهو محال؛ لأن العقل أصل

=



=

النقل، فلو قدمناه عليه كان ذلك قدحا في العقل الذي هو أصل النقل، والقدح في أصل الشيء قدح فيه، فكان تقديم النقل قدحا في النقل والعقل جميعا، فوجب تقديم العقل، ثم النقل إما أن يتأول وإما أن يفوض. (درء تعارض العقل والنقل:١/١٠٧).

أولاً: الشبهات العقلية:

زعموا أن إثبات صفة الكلام لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يقتضي التشبيه، وذلك من وجوه:

الوجه الأول: قالوا لا نعلم كلاماً يقال إلا بواسطة فك، وأسنان، ولسان، ولو أثبتنا الكلام لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لأثبتنا له فك، وأسنان، ولسان، وهذه حوادث، والله تعالى منزّه عن حلول الحوادث فيه، فلزم نفي صفة الكلام عنه.

والجواب على هذا التهافت يعلمه كل من صفت فطرته، بل يعلمه الصغير والكبير، فإن الجهمية وأفراخها من أسباب ضلالهم؛ أنهم قاسوا الرب عز وجل بالمخلوق، ووضعوه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ تحت قياس التمثيل، وقياس الشمول، فقولهم لا نعلم كلاماً يقال إلا بواسطة فك، وأسنان، ولسان، هذا يسمى قياس شمولي؛ وهو قضية كُليّة تتساوى فيها أفرداها، أي لو قلنا لا نعلم كلاماً إلا بفك ولسان وأسنان، فهذا صحيح إذا كان أفراد هذه القضية من جنس واحد، كأن يكونوا بشر، فلا نعلم إنسي يتكلم إلا بما وصفنا، لكن لو أردنا أن نطبق هذا القانون الكُلي على النمل مثلًا، وقد علمنا من كتاب ربنا أن النمل يتكلم، كما قال تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ (النمل/١٨)، فمن أين لنا بفك النملة، ولسانها، وأسنانها؟ إذًا بقانونهم ننفي عن النملة الكلام، ونكون بذلك كذّبنا الله عز وجل، تعالى الله عن ذلك ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً﴾ (النساء/٨٧) ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾

=

=

(النساء/١٢٢)، بل من أين لنا بفك الأرض وأسنانها ولسانها؟ ألم يقل الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الإِنْسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ (الزلزلة/١:٤)، إذًا على قولكم الأرض لا تتحدث، وأين لنا بفم ولسان وأسنان الأيدي والأرجل؟ ألم يقل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (يس/٦٥)، وقد ثبت في السنة كلام الرَّحِمِ لله عز وجل، وكلام الجنة والنار، بل قد ثبت أعجب من ذلك، وهو حنين الجزع للنبي ﷺ، فإما أن تؤمن بذلك كله، وإلا تكون مكذباً لله عز وجل ولرسوله ﷺ، والله يقول: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (الأنعام/٢١).

قال أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما قوله: إن الكلام لا يكون إلا من جوف وشفتين ولسان، أليس الله قد قال للسماوات والأرض: ﴿ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (فصلت/١١)، أتراها قالت بجوف وفم وشفتين وأدوات؟ وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ (الأنبياء/٧٩)، أتراها أنها تسبحن بجوف وفم وشفتين ولسان؟ والجوارح إذا شهدت على الكفار فقالوا: ﴿لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (فصلت/٢١)، أتراها نطقت بجوف وفم وشفتين؟ ولكن الله أنطقها كيف شاء.... اهـ

(الدرء:٢/٤٧٤).

قال الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فادعى المعارض أن الثلجي قال في هذا من كتاب لم أسمعه من الثلجي، قال: ذهبت المشبهة في هذا إلى ما يعقلون من الكلام من الجوف، فناقضوا إذ

=



=

صحححوا أنه الصمد، والصمد الذي لا جوف له، فاحتمل أنه خرج منه؛ أي من عنده من غير خروج منه، كما يقال: خرج لنا من فلان كذا وكذا من الخير، وخرج العطاء من قبله لا أنه خرج من جوفه.

فيقال لهذا المعارض ولإمامه الثلجي: قد فهمنا مرادك؛ إنما تريد نفي الكلام عن الله تعالى، مشنعا بذكر الجوف.

فأما خروجه من الله فلا يشك فيه إلا من أنكر كلامه، لأن الكلام يخرج من المتكلم لا محالة، وأما أن نصفه بالجوف كما ادعيت علينا زورا، فإنا نجله عن ذلك وهو المتعالي عنه لأنه الأحد الصمد كما قال، ومن زعم أنه لم يخرج منه إلا كخروج عطاء الرجل من قبله؛ فقد أقر بأنه كلام غيره، وكلام غيره مخلوق لا يجوز أن يضاف إليه صفة، ولو جاز ذلك؛ لجاز أن يقول كل ما تكم به الناس من الغناء والنوح والشعر كله كلام الله، وهذا محال يدعو إلى الضلال. اهـ (نقض الدارمي/١٥٣).

فقول من قال، إننا لا نعلم كلامًا إلا بكذا وكذا، فقد بان بطلانه والحمد لله، لكننا نقول: الإنسان يتكلم بكيفية ما، والنملة تتكلم بكيفية ما، والأرض تتكلم بكيفية ما، و الأيدي والأرجل يتكلمان يوم القيامة بكيفية ما، كل ذلك على الحقيقة لا مجاز فيه، والله أعلم بكيفيتها، فالإنسان لا يتصور كيفية شيء إلا إذا رآه أو رأى مثيله.

الوجه الثاني: قالوا نحن نثبت لله كلامًا مضافًا إليه، لكن هذه الإضافة من باب إضافة التشريف، كقول الله تعالى: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ (الشمس/١٣)، وقوله تعالى: ﴿عَبْدُ اللَّهِ﴾ (الجن/١٩).

والجواب عن هذه الشبهة نقول: إن ما أضافه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لنفسه في القرآن

=



=
الكريم، وما أضافه النبي ﷺ في السنة النبوية، ينقسم إلى قسمين:

١- إضافة ذات.

٢- إضافة تشريف.

قال الإمام ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ألم تسمع قوله عز وجل: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ (لقمان/١١)، فأضاف الله الخلق إلى نفسه، إذ الله تولى خلقه وكذلك قول الله عز وجل: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾ (الأعراف/٣٧)، فأضاف الله الناقة إلى نفسه، وقال: ﴿تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾ (هود/٦٤)، وقال: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ (النساء/٩٧)، وقال: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (الأعراف/١٢٨)، فأضاف الله الأرض إلى نفسه، إذ الله تولى خلقها فبسطها، وقال: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (الروم/٣٠)، فأضاف الله الفطرة إلى نفسه، إذ الله فطر الناس عليها، فما أضاف الله إلى نفسه على معنيين:

١- أحدهما إضافة الذات.

٢- والآخر إضافة الخلق.

فتفهموا هذين المعنيين لا تغالطوا. اهـ (التوحيد/٤٣:٤٤).

فشبهات الجهمية وأفراخها تدور حول أصل واحد، وهو نفي صفات الأفعال عن الله عز وجل، بحجة أنها حادثة، وأن الله منزه عن الحوادث.

وهناك شبهة عقلية أخرى، بلغت من السفاهة ما لم تبلغه مقالة على وجه الأرض، من لدن آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى عصرنا هذا، وهي قولهم: إن كل كلام في الكون كلام لله تعالى،
=



=
وهذا مبني على اعتقادهم بوحدة الوجود، الذين يرون أن الكون هو عين الله، تعالى الله عن قولهم علواً كبيرا.

والجواب عن هذا التهافت، نقول: أجمع كل من في الأرض أن هناك معبودًا وعابداً، وربًا ومخلوقًا، وهذا الرب بائنٌ منفصلٌ عن خلقه، فهو سبحانه عالٍ عليهم، بائن منهم، وأنه سبحانه فوق سمواته، مستوٍ على عرشه، ومثل هذه الشبهات، الأصل فيها عدم الالتفات إليها، لأنها من نفايات الأفكار، وبما أنهم زبروها في كتبهم كان الرد عليهم واجب، فإن قولهم: إن كل كلام في الكون كلام لله تعالى لزم منه أن الكلام القبيح من سب وقذف، وزندقة وكفر، وكلام الحيوانات، كل ذلك كلام لله تعالى، ولكان الصدق هو عين الكذب، والخبر هو عين الإنشاء، ومعلوم أن هذا الكلام باطل لا ساق له، بل لا وجود له، وكما يقول العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: إن مجرد تصور هذا القول فقط؛ داعي لرده وتكفير قائله.

ثانيًا: الشبهات النقلية.

من أشهر شبهات المعطلة في مسألة خلق القرآن، والتي مستندهم فيها القرآن الكريم، قولهم: قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ (الزمر/٦٢)، والقرآن شيء؛ إذاً الله خلق القرآن.

والجواب بحول الله تعالى: قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾، أي كل شيء يُخلق هو سبحانه خلقه، وليس ما لا يخلق داخل في هذه الآية، كذاته وصفاته سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، ألم تسمع قول الله عز وجل: ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ﴾
=

=

(الأنعام/١٩)، فوصف نفسه تعالى بأنه شيء، وقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (القصص/٨٨)، فوصف وجهه بأنه شيء، وقال: ﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ (الأنعام/٩٣)، فوصف الوحي بأنه شيء، أفيكون الله عز وجل خلق نفسه، وخلق وجهه، وخلق وحيه؟

ألم تسمع قول الله عز وجل في مُلك بلقيس وأنها أُوتيت من كل شيء، قال تعالى حكاية عن قول الهدهد: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ (النمل/٢٣)، أترى أنها أُوتيت ملك سليمان؟ أولم تسمع قول الله تعالى في قوم عاد: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (الأحقاف/٢٤:٢٥) ذكر الله عز وجل هنا أن الريح دمرت كل شيء، ثم قال: ﴿فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾، أليست المساكن شيء؟

قال أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قد قال الله عز وجل في قصة موسى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف/١٤٥): فما كتب له القرآن، وقال في قصة سبأ ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾، فما أوتيت القرآن. اهـ (الإبانة لابن بطة:٢/٤٠٠).

المقصود من ذلك أن لفظ شيء في كل هذه الآيات يُراد ما يخصه الله عز وجل، فقوله: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ أراده الله عز وجل أن يُدمر.

- ومن شبهاتهم أيضا أنهم يقولون: كل جَعَلَ في القرآن بمعنى خلق، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ

=



=

يَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام/٩٧) أي خلق لكم النجوم، والله تعالى يقول في القرآن: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً**﴾ (الزخرف/٣) أي خلقناه، إذاً القرآن مخلوق.

قال أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فقد قال الله تعالى: ﴿**فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً**﴾ (الأنبياء:٥٨)؛ أفخلقهم؟ ﴿**فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ**﴾ (الفيل/٥)؛ أفخلقهم؟ كيف يكون مخلوقاً، وقد كان قبل أن يخلق الجعل؟. اهـ (الإبانة لابن بطة:٢/٣٩٩).

قال الكناني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال الله عز وجل: ﴿**لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً**﴾ (الإسراء/٢٢)، وقال في موضع آخر لنبيه ﷺ: ﴿**وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً**﴾ (الإسراء/٢٩)، فزعم بشر أن الله قال لنبيه ﷺ: لا تخلق مع الله إلها آخر، فمن أعظم قولا من هذا ولا أشنع، وقال الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿**وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ**﴾ فزعم بشرٌ؛ أن الله قال لنبيه ﷺ: ولا تخلق يدك، والله خلقه خلقا تاما مستويا، وليس له يد، ثم خاطبه بعد الرسالة بهذا الخطاب، فمن أقبح قولا وأفحش ممن قال هذا؟

وقال الله عز وجل في قصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وفرعون، وقوله لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿**لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ**﴾ (الشعراء/٢٩)، فزعم بشر أن فرعون قال لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقد بعثه الله رسولا (لأخلقنك)، فأي قول أقبح من هذا؟.

ثم قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن جعل في كتاب الله عز وجل يحتمل معنيين عند العرب:

١- معنى خلق ٢- ومعنى صير غير خلق.

فلما كان خلق حرفا محكما لا يحتمل معنى غير الخلق، ولم يكن من صناعة العباد لم يتعبد

=

=

الله به العباد فيقول لهم: اخلقوا أو لا تخلقوا، إذ كان الخلق ليس من صناعة المخلوقين وكان من فعل الخالق سبحانه وتعالى.

ولما كان جعل على معنى صير لا على معنى الخلق؛ خاطب الله به العباد بالأمر والنهي فقال: اجعلوا ولا تجعلوا، ولما كان جعل كلمة تحتمل معنيين معنى خلق ومعنى صير لم يدع الله في ذلك اشتباهًا على خلقه ولُبْسَاً على عباده فيلحد الملحدون في ذلك، ويشبهون على خلقه، كما فعل بشر وأصحابه، حتى جعل على كل كلمة علما ودليلا فرق به بين الجعل الذي يكون على معنى الخلق، وبين الجعل الذي يكون على معنى التصيير، فأما الجعل الذي هو على معنى الخلق فإن الله عز وجل جعله من القول المفصل، أنزل القرآن به مفصلا، وهو بيان لقوم يفقهون، والقول المفصل يستغني به السامع إذا أخبر به قبل أن توصل الكلمة بغيرها من الكلام إذ كانت قائمة بذاتها تدل على معناها، فمن ذلك قول الله عز وجل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ (الأنعام/١)، فسواء عند العرب قال: وجعل، أو قال: وخلق، لأنها قد عَلمت أنه أراد بهذا الجعل الخلق، لأنه أنزل من القول المفصل، وقال عز وجل: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ (النحل/٧٢)، فعقلت العرب عنه أن معنى هذا: وخلق لكم إذ كان قولا مفصلا، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ﴾ (النحل/٧٨)، فعقلت العرب عنه أنه عنى بهذا الجعل الخلق، إذ كان من القول المفصل، وسواء عندها قال جعل أو قال خلق، لأنها قد علمت ما أراده وما عنى. ومثل هذا في القرآن كثيرا جدا، فهذا وما كان على مثاله من القول المفصل الذي يستغني المخاطب به والسامع له بكل

=



=

كلمة عما بعدها، وأما جعل الذي هو بمعنى التصيير الذي هو غير خلق فإن الله عز وجل أنزله من القول الموصل الذي لا يدري المخاطب به حتى تصل الكلمة بالكلمة التي بعدها فيعلم ما أراد بها، وإن تركها مفصلة لم يصلها بغيرها من الكلام لم يعقل السامع لها ما أراد بها ولم يفهمها ولم يقف على معنى ما عنى بها حتى يصلها بغيرها، فمن ذلك قول الله عز وجل: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ﴾، فلو قال: إنا جعلناك، ولم يصلها بما بعدها لم يعقل داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ولا أحد ممن سمع هذا الخطاب ما أراد الله به، ولا ما عنى بقوله لأنه خاطبه بهذا القول وهو مخلوق، فلما وصلها بخليفة في الأرض، عقل داود وكل من سمع هذا الخطاب ما أراد الله بقوله وما عنى به، وكذلك حين قال الله عز وجل لأم موسى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، فلو لم يصل جاعلوه بالمرسلين لم تعقل أم موسى ما خاطبها به ولا ما عنى بقوله، إذ كان خلق موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قد تقدم لرده إليها، فلما وصل الكلمة بالمرسلين عقلت أم موسى ما أراد بخطابها، وكذلك قوله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً﴾ (الأعراف/١٤٣)، وقد كان الجبل قبل أن يتجلى له مخلوقا، فوصل الجعل بدكا، ولو لم يصله لم يعقل السامع له ما أراد الله بقوله، وكذلك قوله عز وجل: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾، فلو لم يصل الكلمة وفصلها لم يعقل أحد كل من سمع ذلك ما أراد بدعوتهما. اهـ (الحيدة/٤٧:٥١).

أما مسألة الكتابة والمكتوب، والقراءة والمقروء، والحفظ والمحفوظ، فإن الكتابة والقراءة والحفظ أفعال العبد فهي مخلوقة، أما المكتوب والمقروء والمحفوظ فهو كلام الله

=

=

سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ليس بمخلوق، وقد بدأت هذه البدعة على يد أبي على الحسين ابن على الكرابيسي.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُٱللَّهُ: ثم ظهرت مسألة اللفظية بسبب حسين الكرابيسي وغيره. اهـ (مجموع الفتاوى:جـ٦/٤٥٤).

ذكر الشيخ نشأت كمال في حاشيته على (شرح أصول الاعتقاد:٢/٥٠١:٥٠٧): كيفية ظهور هذه البدعة (بدعة اللفظ) فقال:

حكى الخطيب البغدادي في التاريخ (٨/٦٥) كيفية ظهور هذه البدعة، فقال: جاء رجل إلى أبي على الحسين بن على الكرابيسي فقال: ما تقول في القرآن، فقال حسين الكرابيسي: كلام الله غير مخلوق، فقال له الرجل: فما تقول في لفظي بالقرآن، فقال له حسين: لفظك بالقرآن مخلوق، فمضى الرجل إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل، فعرفه أن حسيناً قال له: إن لفظه بالقرآن مخلوق، فأنكر ذلك، وقال هي بدعة، فرجع الرجل إلى حسين الكرابيسي فعرفه إنكار أبي عبد الله أحمد بن حنبل لذلك، وقوله هذا بدعة، فقال له حسين الكرابيسي: تلفظك بالقرآن غير مخلوق، فرجع إلى أحمد بن حنبل، فعرفه رجوع الحسين وأنه قال: تلفظك بالقرآن غير مخلوق، فأنكر أحمد بن حنبل ذلك أيضًا، وقال هذا أيضاً بدعة، فرجع الرجل إلى أبي على حسين الكرابيسي، فعرفه إنكار أحمد، وقوله: هذا أيضا بدعة، فقال حسين: إيش نعمل بهذا الصبي، إن قلنا مخلوق، قال بدعة، وإن قلنا غير مخلوق، قال بدعة! فبلغ ذلك أبا عبد الله فغضب له أصحابه، فتكلموا فيه. اهـ

علق الذهبي رَحِمَهُٱللَّهُ على هذه الرواية فقال: ولا ريب أن ما ابتدعه الكرابيسي، وحرره

=

=

في مسألة التلفظ، وأنه مخلوق هو حق.

لكن أباه الإمام أحمد لئلا يتذرع به إلى القول بخلق القرآن، فسد الباب، لأنك لا تقدر أن تفرز التلفظ من الملفوظ الذي هو كلام الله إلا في ذهنك. اهـ (السير:١٢/٨٢).

إن مسألة اللفظ هذه مسألة لُغوية أولًا، لأن القرآن قد يراد بها الفعل، وقد يراد به كلام الله عز وجل، قال تعالى فيما يدل على أنه الفعل: ﴿**أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً**﴾ (الإسراء/٧٨)، قال ابن قتيبة الدينوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فيعتقد من هذه الجهات أن القرآن هي القراءة غير مخلوق، ويفكر آخر في القراءة فيجدها عملاً ، لأن الثواب يقع على عمل لا على أن قرآنا في الأرض، ويجد الناس يقولون قرأت اليوم كذا وكذا سورة، قرأت في تقدير فعلت، كما تقول ضربت، وأكلت، وشربت، وتجدهم يقولون: قراءة فلان وقراءة فلان أصوب من قراءة فلان، وإنما يراد في جميع هذا: العمل، لأنه لا يكون قرآن أحسن من قرآن، فيعتقد من هذه الجهة أن القراءة عمل، وأنها غير القرآن، وإن قال: القراءة غير مخلوقة، فقد قال: أن أعمال العباد غير مخلوقة، فلما وقعت الحيرة، ونزلت البلية فزع الناس إلى علمائهم، وذوي رأيهم، فاختلفوا عليهم:

فقال فريق منهم: القراءة فعل محض وهي مخلوقة كسائر أفعال العباد والقرآن غيرها، وشبهوها والقرآن بالضرب والمضروب والأكل والمأكول، فاتبعهم في ذلك فريق.

وقالت فرقة: هي القرآن بعينه، ومن قال أن القراءة مخلوقة فقد قال بخلق القرآن واتبعهم قوم.

=

=

وقالت فرقة: هذه بدعة لم يتكلم الناس فيها ولم يتكلفوها ولا تعاطوها... إلى أن قال رحمه الله: وعدل القول فيما اختلفوا فيه من القراءة واللفظ بالقرآن: أن القراءة لفظ واحد يشتمل على معنيين:

أحدهما: عمل.

والآخر: قرآن.

إلا أن العمل لا يتميز من القرآن، كما يتميز الأكل من المأكول، فيكون المأكول الممضوغ والمبلوع، ويكون الأكل المضغ والبلع.

والقرآن لا يقوم بنفسه وحده كما يقوم المأكول بنفسه وحده، وإنما يقوم بواحدة من أربع: كتابة أو قراءة أو حفظ أو استماع، فهو بالعمل في الكتابة قائم، والعمل خط وهو مخلوق، والمكتوب قرآن وهو غير مخلوق، وهو بالعمل في القراءة قائم والعمل تحريك اللسان واللهوات بالقرآن وهو مخلوق، والمقروء قرآن وهو غير مخلوق،وهو بالاستماع قائم في السمع، والاستماع عمل وهو مخلوق، والمسموع قرآن غير مخلوق. اهـ (الاختلاف في اللفظ/٥٧:٦٥).

أما مسألة السكوت: فعن أبي ثعلبة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبي ﷺ: "**إِنَّ اللهَ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلاَ تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُوداً فَلاَ تَعْتَدُوهَا، وَحَرَّمَ حُرُمَاتٍ فَلاَ تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءِ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانَ فَلاَ تَبْحَثُوا عَنْهَا**" (الإيمان لابن تيمية/ المكتب الإسلامي) وحسنه الألباني لغيره.

وعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء تقذرا، فبعث الله تعالى نبيه، وأنزل كتابه، وأحل حلاله، وحرّم حرامه، فما أحل فهو حلال، وما

=

=
حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو وتلا: ﴿قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً﴾ (الأنعام/١٤٥) إلى آخر الآية. اهـ (أبو داود/٣٨٠٠) وصححه الألباني.

فالله عز وجل يوصف بالسكوت كما يليق به سبحانه على وفق قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى/١١)، وهذه الصفة من صفات الله الفعلية الاختيارية متعلقة بمشيئته سبحانه، ولا تعارض بين إثبات هذه الصفة لله عز وجل حقيقة على الوجه اللائق به سبحانه وبين إثبات صفة الكلام له عز وجل، لأن كلامه سبحانه وتعالى يتعلق بمشيئته، فإن شاء تكلم، وإن لم يشأ لم يتكلم، وهذا ينقض اعتقاد أهل البدع نقضاً في كلامه تعالى، وقد حكى الإجماع على ذلك شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مجموع فتاواه.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فثبت بالسنة والإجماع أن الله يوصف بالسكوت؛ لكن السكوت يكون تارة عن التكلم، وتارة عن إظهار الكلام وإعلامه، كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، أرأيت سكوتك بين التكبير والقراءة ماذا تقول؟ قال: "أَقُولُ: **اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ...**". اهـ (مجموع الفتاوى:جـ٦/٤٥٥). والله أعلم.

١- سَمِعْتُ الحَاكِمَ أبَا عَبدِ اللهِ الحَافِظَ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا الولِيدِ حَسَّانَ بْنَ مُحَمَّدٍ يَقُولُ: سَمعتُ الإمَامَ أَبَا بَكْرٍ مُحمّدَ بْنَ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ يَقُولُ: الْقُرْآنُ كَلاَمُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فَمَنْ قَالَ: إنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ؛ فَهُو كَافِرٌ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، لاَ تُقْبَلُ شَهَادَتُه، وَلاَ يُعَادُ إِنْ مَرِضَ، وَلاَ يُصَلَّى عَلَيْهِ إِنْ مَاتَ وَلاَ يُدْفَنُ فِي مَقَابِرَ الْمُسْلِمِينَ وَيُسْتَتَابُ؛ فَإِنْ تَابَ وَإِلاَ ضُرِبَتْ عُنُقُهُ.

فَأَمَّا اللَّفْظُ بِالْقُرْآنِ، فَإِنَّ الشَّيْخَ أَبَا بَكْرٍ الإِسْمَاعِيلِيَّ الجِرْجَانِيَّ ذَكَرَ فِي رِسَالَتِهِ الَّتِي صَنَّفَهَا لأَهْلِ جِيْلاَن: مَنْ زَعَمَ أَنَّ لَفْظَهُ بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ يُرِيدُ بِهِ القُرْآنَ فَقَدْ قَالَ بِخَلقِ القُرْآنِ.[1]

وَذَكَرَ ابْنُ مَهْدِيٍّ الطَّبَرِيُّ[2] فِي كِتَابِهِ الاعْتِقَادِ الَّذِي صَنَّفَهُ لأَهْلِ هَذِهِ الْبِلاَدِ

---

(١) وهنا إشارة لما قد بينا، وذلك أن قولنا: لفظي بالقرآن قد يفهم منها الفعل، وقد يفهم منها المفعول، وهو كلام الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، ولذلك بدّع الإمام أحمد من يقول هذا القول دون أن يفصل فيه، لأنه قول مجمل، وأهل السنة لا يتكلمون بالإجمال، وقد بين الإسماعيلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجه الخطأ.

(٢) هو تلميذ أبى الحسن الأشعري صحبه بالبصرة وأخذ عنه، وكان من المُبرَّزين في علم الكلام، وكان حافظاً للفقه والتفاسير والمعاني، له كتاب [تأويل الأحاديث المشكلات الواردات في الصفات]، ولعله هو ما أشار إليه الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والله أعلم توفي سنة (٣٨٠هـ) تقريبًا. (تاريخ الإسلام للذهبي:٨/٤٩٢).



أَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ السُنَّةِ وَالجَماعَةِ: القَولُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلامُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَوَحْيُهُ وَتَنْزِيلُهُ، وَأَمْرُهُ وَنَهْيُهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَمَنْ قَالَ: مَخْلُوقٌ فَهُو كَافِرٌ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَأَنَّ القُرْآنَ فِي صُدُورِنَا مَحْفُوظٌ، بِأَلْسِنَتِنَا مَقْرُوءٌ، فِي مَصَاحِفِنَا مَكْتُوبٌ، وَهُو الكَلامُ الَّذِي تَكَلَّمَ اللهُ عز وجل بِهِ، وَمَنْ قَالَ: إنَّ الْقُرْآنَ بِلَفْظِي غَيْرُ مَخْلُوقٍ، أَوْ لَفْظِي بِهِ مَخْلُوقٌ؛ فَهُوَ جَاهِلٌ ضَالٌّ كَافِرٌ بِاللَّهِ الْعَظِيم.[١]

وَإِنَّمَا ذَكَرْتُ هَذَا الفَصْلَ بِعَيْنِهِ مِنْ كِتَابِ ابْنِ مَهْدِيٍّ لاسْتِحْسَانِي ذَلِكَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ اتَّبَعَ السَّلَفَ مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ فِيمَا ذَكَرَهُ مَعَ تَبَحُّرِهِ فِي عِلْمِ الْكَلامِ، وَتَصَانِيفِهِ الكَبِيرَةِ فِيهِ، وَتَقَدُّمِهِ وَتَبَرُّزِهِ عِنْدَ أَهْلِه.[٢]

---

(١) والصواب أنه لا يكفر ابتداءً على هذه المقولة، بل يستفصل منه، فإن أراد باللفظ القرآن فهو ضال كافر، وإن أراد باللفظ الفعل، فإن أفعال العباد مخلوقة، وهذا مراد الإمام البخاري في كتابه [خلق أفعال العباد].

(٢) علم الكلام علمٌ مذموم، وهو للسفسطة أقرب، وعلم الكلام يستدل به على أمور شرعية بغير طريق الكتاب والسنة، وهو ما يسمى بالمنطق، وقد ذم العلماء هذا العلم، وعابوا أهله، حتى صنف فيه وفي أهله شيخ الإسلام الهروي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابه [ذم الكلام وأهله]، نقل فيه أقول العلماء، كالشافعي، وأحمد، وغيرهم رحمهم الله، وللسيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (القول المشرق في تحريم المنطق).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد ظن طائفة من الناس أن ذم السلف والأئمة =

٢- أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ قَالَ: قَرَأْتُ بِخَطِ أَبِي عَمْرُو الْمُسْتَمْلِي، سَمِعْتُ أَبَا عُثْمَانَ سَعِيدَ بْنَ إِشْكَاب يَقُولُ: سَأَلْتُ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ[١] عَنْ اللَّفْظِ بِالْقُرْآنِ فَقَالَ: لاَ يَنْبَغِي أَنْ يُنَاظَرَ فِي هَذَا، الْقُرْآنُ كَلاَمُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.[٢]

=

للكلام وأهل الكلام كقول أبي يوسف: من طلب العلم بالكلام تزندق، وقول الشافعي: حكمي في أهل الكلام: أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل علي الكلام، وقوله: لقد اطلعت من أهل الكلام علي شيء ما كنت أظنه، ولأن يبتلي العبد بكل ذنب ما خلا الإشراك بالله خير له نظر في الكلام، إلا كان في قلبه غل علي أهل الإسلام، وأمثال هذه الأقوال المعروفة عن الأئمة، ظن بعض الناس أنهم إنما ذموا الكلام لمجرد ما فيه من الاصطلاحات المحدثة، كلفظ الجوهر والجسم والعرض، وقالوا: إن مثل هذا لا يقتضي الذم، كما لو أحدث الناس آنية يحتاجون إليها أو سلاحا يحتاجون إليه لمقاتلة العدو، وقد ذكر هذا صاحب الإحياء وغيره، وليس الأمر كذلك بل ذمهم للكلام؛ لفساد معناه أعظم من ذمهم لحدوث ألفاظه، فذموه لاشتماله علي معان باطلة مخالفة للكتاب والسنة ومخالفته للعقل الصريح، ولكن علامة بطلانها مخالفتها للكتاب والسنة، وكل ما خالف الكتاب والسنة فهو باطل قطعا. اهـ (الدرء:١/٢٣٢:٢٣٣).

(١) ابن راهويه، من طبقة الإمام أحمد رَحِمَهُمَاٱللَّهُ. (٢١/٤٢٥)

(٢) منقطع: أخرجه البيهقي (الأسماء والصفات:٢/٦٨٣) بنفس الطريق، وأبو عثمان

=



وَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي كِتَابِهِ الاِعْتِقَادُ الذِّي صَنَّفَهُ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ، وَقَالَ: أَمَّا الْقَوْلُ فِي أَلْفَاظِ الْعِبَادِ بِالْقُرْآنِ فَلاَ أَثَرَ فِيهِ نَعْلَمُهُ عَنْ صَحَابِيٍّ، وَلاَ تَابِعِيٍّ إِلَّا عَمَّنْ فِي قَوْلِهِ الْغِنَى وَالشِّفَاءُ، وَفِي اتِّبَاعِهِ الرُّشْدُ وَالْهُدَى، وَمَنْ يَقُومُ قَوْلُهُ مَقَامَ الأَئِمَّةِ الأُولَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَد بْنِ حَنبَلٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فَإِنَّ أَبَا إِسْمَاعِيلَ التِّرْمِذِيَّ حَدَّثَنِي قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَقُولُ: اللَّفْظِيَّةُ جَهْمِيَّةٌ، قَالَ اللهُ عز وجل: ﴿**فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ**﴾ (التوبة/٦) مِمَّنْ يَسْمَعُ؟

قَالَ: ثُمَّ سَمِعْتُ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِنَا لاَ أَحْفَظُ أَسْمَاءَهُمْ يَذْكُرُونَ عَنْهُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: مَنْ قَالَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ فَهُوَ جَهْمِيٌّ، وَمَنْ قَالَ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ.

=

هذا لم أجد له ترجمة، ولعله سعيد بن أحمد بن محمد بن نعيم بن إشكاب أبو عثمان بن أبي سعيد المعروف بالعيار من أهل نيسابور، ذكره ابن حجر في (لسان الميزان:٤/ ٤٠) ونقل عنه أنه رَوى عن بشر بن أحمد، وهو بشر بن أحمد الإسفرايني المتوفي سنة (٣٧٠هـ)، وبهذا يستحيل أن يكون قد روى عن الإمام إسحاق بن راهويه رَحِمَهُ ٱللَّهُ المتوفي سنة (٢٣٨هـ).

وقد ذكر صاحب (الوافي بالوفيات:١٥/ ١٢٣) أنه عُمِّر حتى جاوز المائة، وتوفي سنه (٤٥٧هـ). والله أعلم

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ: وَلا قَوْلَ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا يَجُوزُ أَنْ نَقُولَهُ غَيْرَ قَوْلِهِ؛ إِذْ لَمْ يَكُنْ لَنَا فِيهِ إِمَامٌ نَأْتَمُّ بِهِ سِوَاهُ، وَفِيهِ الْكِفَايَةُ وَالْمَقْنَعُ، وَهُوَ الإِمَامُ الْمُتَّبَعُ، رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ وَرِضْوَانِهِ.

هَذِهِ أَلْفَاظُ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرٍ الَّتِي نَقَلْتُهَا نَفْسُهَا إِلَى مَا هَاهُنَا مِنْ كِتَابِ الاِعْتِقَادِ الَّذِي صَنَّفَهُ.

قُلْتُ: وَهُو -أَعْنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ- قَدْ نَفَى عَنْ نَفْسِهِ بِهَذَا الْفَصْلِ الَّذِي ذَكَرَهُ فِي كِتَابِهِ كُلَّ مَا نُسِبَ إِلَيْهِ، وَقُذِفَ بِهِ مِنْ عُدُولٍ عَنْ سَبِيلِ السُّنَّةِ، أَوْ مَيْلٍ إِلَى شَيْءٍ مِنْ الْبِدْعَةِ، وَالَّذِي حَكَاهُ عَنْ أَحْمَدَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وَأَرْضَاهُ أَنَّ اللَّفْظِيَّةَ جَهْمِيَّةٌ فَصَحِيحٌ عَنْهُ.

وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لأَنَّ جَهْمًا[1] وَأَصْحَابَهُ صَرَّحُوْا بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَالَّذِينَ قَالُوا بِاللَّفْظِ تَدَرَّجُوْا بِهِ إِلَى الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَخَافُوا أَهْلَ السُّنَّةِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ مِنْ التَّصْرِيحِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، فَذَكَرُوْا هَذَا اللَّفْظَ وَأَرَادُوا بِهِ: أَنَّ الْقُرْآنَ بِلَفْظِنَا

---

(١) جهم بن صفوان أبو محرز الراسبي مولاهم السمرقندي الكاتب المتكلم أس الضلالة ورأس الجهمية، كان صاحب ذكاء وجدال، وكان ينكر الصفات، وينزه الباري عنها بزعمه، ويقول بخلق القرآن، ويقول: إن الله في الأمكنة كلها، وكان يقول: الإيمان عقد بالقلب، وإن تلفظ بالكفر، وقيل: إن سلم بن أحوز قتل الجهم؛ لإنكاره أن الله كلم موسى. (السير: ١١/٢٦).



مَخْلُوقٌ، فَلِذَلِكَ سَمَّاهُم أَحْمَدُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ جَهْمِيَّةً، وَحَكَي عَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ: اللَّفْظِيَّةُ شَرٌّ مِنْ الْجَهْمِيَّةِ.

وَأَمَّا مَا حَكَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ عَنْ أَحْمَدَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ مَنْ قَالَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ فَهُو مُبْتَدِعٌ، فَإِنَّمَا أَرَادَ أَنَّ السَّلَفَ مِنْ أَهْلِ السُنَّةِ لَمْ يَتَكَلَّمُوْا فِي بَابِ اللَّفْظِ وَلَمْ يُحُوجْهُم الْحَالُ إِلِيْهِ، وَإِنَّمَا حَدَثَ الْكَلاَمُ فِي اللَّفْظِ مِنْ أَهْلِ التَّعَمُّقِ وَذَوِي الْحُمْقِ الَّذِينَ أَتَوْا بِالْمُحْدَثَاتِ، وَبَحَثُوا عَمَّا نُهُوْا عَنْهُ مِنْ الضَّلالَاتِ وَذَمِيمِ الْمَقَالاَتِ، وَخَاضُوْا فِيمَا لَمْ يَخُضْ فِيهِ السَّلَفُ مِنْ عَلَمَاءِ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ الإِمَامُ أَحَمَدُ: هَذَا الْقَوْلُ فِي نَفْسِهِ بِدْعَةٌ، وَمِنْ حَقِّ الْمُتَسَنِنِ أَنْ يَدَعَهُ، وَلاَ يَتَفَوَّهُ بِهِ وَلاَ بِمِثْلِهِ مِنْ الْبِدَعِ الْمُبْتَدَعَةِ، وَيَقْتَصِرُ عَلَى مَا قَالَهُ السَّلَفُ مِنْ الأَئِمَّةِ الْمُتَّبَعَةِ: أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرَ مَخْلُوقٍ، وَلاَ يَزِيدُ عَلَيْه إِلَّا تَكْفِيرَ مَنْ يَقُولُ بِخَلْقِهِ.

٣- أَخْبَرَنَا الحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ، ثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ الخَرَاجِيُّ بِمَرْو، ثَنا يَحْيَى بْنُ سَالوكَيْه، ثَنَا عَبْدُ الْكَرِيمِ السُّدِيُّ قَالَ: قَالَ وَهْبُ بْنُ زَمْعَةِ: أَخْبَرَنِي عَلِيُّ البَاسانِي قَالَ: سَمِعْتُ عَبَدَ اللهِ بْنَ الْمُبَارَكِ يَقُولُ: مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنْ الْقُرْآنِ فَقَدْ كَفَرَ بِالْقُرْآنِ، وَمَنْ قَالَ: لاَ أُؤْمِنُ بِهَذِهِ اللَّامِ فَقَدْ كَفَرَ.



[العُلُو وَالاسْتِوَاءُ]

وَيَعْتَقِدُ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ وَيَشْهَدُونَ: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ سَبْعِ سَمَوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ مُسْتَوٍ كَمَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُهُ فِي قَوْلِهِ عز وجل فِي سُورَةِ الأَعْرَاف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ (الأعراف/٥٤)، وَقَوْلِهِ فِي سُورَةِ يُونُس: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ (يونس/٣)، وَقَوْلِهِ فِي سُورَةِ الرَّعْد: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ (الرعد/٢)، وَقَوْلِهِ فِي سُورَةِ الْفُرْقَان: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً﴾ (الفرقان/٥٩)، وَقَوْلِهِ فِي سُورَةِ السَّجْدَةِ ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ (السجدة/٤)، وَقَوْلِهِ فِي سُورَةِ طَهَ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (طه/٥)، وَقَوْلِهِ فِي سُورَةِ الْحَدِيد: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ (الحديد/٤) يُثْبِتُونَ مِنْ ذَلكَ مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ تَعالَى وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيُصَدِّقُونَ الرَّبَّ جَلَّ جَلَالُهُ فِي خَبَرِهِ، وَيُطْلِقُونَ مَا أَطْلَقَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ اسْتِوَائِهِ عَلَى عَرْشِهِ، وَيُمِرُّونَهُ عَلَى ظَاهِرِهِ وَيَكِلُونَ عِلْمَهُ إِلَى اللَّهِ[1]،

---

(١) كرر الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه المقولة للمرة الثانية، فقد قال في الأولى: (وَيُجْرُوُنَ عَلَى الظَّاهِرِ، وَيَكِلُونَ عِلَمَ عِلْمِهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى)، وهي نفس مقالته هنا، وقد نبهنا أن هذه =



ويَقُولُونَ: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران/٧) كَمَا أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى عَنْ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ ذَلِكَ، وَرَضِيَهُ مِنْهُمْ، فَأَثْنَى عَلَيِّهِم بِهِ.[1]

=

المقالة مشكلة، لأنه قد يُفهم منها التفويض الكلي، وهم الذين يقولون في آيات الصفات: الله أعلم ما ندري ماذا أراد الله بهذه الألفاظ، ويقولون: إذا كنتم لا تعرفون المعنى، فنحن أصحاب المعرفة، وهؤلاء جعلهم شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أشر من المؤولة، لأن المؤول يثبت معنى للكلام، فهو عنده له دلالات لكنه ضل فيها، أما المفوض فيتهم الرسول ﷺ ومن دونه بالجهل وعدم فهم مراد الله، بل يتهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالعيّ وعدم قدرته على تبين مراده، أو على خَلْقٍ خَلْقٍ يفهمون كلامه.

(١) صفة الاستواء من الصفات الفعلية الثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة والإجماع، وقد أثبتها أهل السنة لله حقيقة على الوجه اللائق به، ولم يتكلفوا في تأويلها أو صرفها عن معناها الصحيح، فهم مجمعون على وصف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأنه مستوٍ على عرشه استواءً حقيقياً يليق به سبحانه، لا كاستواء المخلوقين، فليس هو محتاج إلى العرش بل العرش محتاجٌ إليه.

والكلام على صفة الاستواء يدور في عدة مسائل:

أولًا: معنى الاستواء:

كلمة استوى لها عدة معانٍ في اللغة العربية، تختلف حسب السياق التي وقعت فيها.

=

=

قال اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن أبي العباس ثعلب قال: استوى: أقبل عليه وإن لم يكن معوجا ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾: أقبل، و ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾: علا، واستوى وجهه: اتصل، واستوى القمر: امتلأ، واستوى زيد وعمرو: تشابها واستوى فعلاهما وإن لم تتشابه شخوصهما هذا الذي يُعرف من كلام العرب. اهـ (أصول الاعتقاد:٣/٤٦).

قال الإمام قوام السنة أبو القاسم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والاستواء في كلام العرب تأتي لمعان:

تقول العرب: استوى الشيء إذا كان معوجاً فذهب عوجه، تقول: سويته أي: قومته فاستقام، وهذا المعنى لا يجوز على الله تعالى.

ومنه الاستواء بمعنى المماثلة والمشابهة، يقال: استوى فلان وفلان في هذا الأمر أي: تماثلا وتساوياً قال الله تعالى: ﴿لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ (الحشر/٢٠) أي لا يتساوى هذان الفريقان، وهذا أيضاً لا يجوز في حق الله تعالى

ومنه الاستواء بمعنى القصد، ويستعمل مع إلى، يقال: استويت إلى هذا الأمر، أي قصدته، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ أي قصدها، ولا يقال: استوى عليه بمعنى قصده، فمن خالف موضوع اللغة فقد خالف طريقة العرب، والقرآن عربي، ولو كان الاستواء على العرش بمعنى الاستواء إلى العرش لقال تعالى: إلى العرش استوى.

قال أهل السنة: الاستواء هو العلو: قال الله تعالى ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ﴾ (المؤمنون/٢٨)، وليس للاستواء في كلام العرب معنى إلا ما ذكرنا. اهـ (الحجة في بيان

=

=

المحجة:٢/٢٦٤).

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لفظ (استوى) يرد في القرآن على ثلاثة معانٍ، فقال نحو ما قاله الإمام الأصبهاني. (تفسير السعدي:٤١/١).

ومما يجدر الإشارة إليه، توضيح اختلاف الأئمة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾، هل استوى إلى بمعنى علا وارتفع، أم بمعنى قصد وأقبل، وقد سبق كلام الإمام الأصبهاني، ووافقه الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن لفظ الاستواء في كلام العرب الذي خاطبنا الله تعالى بلغتهم، وأنزل بها كلامه نوعان: مطلق ومقيد.

فالمطلق ما لم يوصل معناه بحرف مثل قوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ وهذا معناه كمل وتم، يقال: استوى النبات واستوى الطعام.

وأما المقيد فثلاثة أضراب:

أحدها: مقيد بـ(إلى) كقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ (البقرة/٢٩)، واستوى فلان إلى السطح وإلى الغرفة، وقد ذكر سبحانه هذا المُعدّى بـ(إلى) في موضعين من كتابه: في البقرة في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ (البقرة/٢٩)، والثاني في سورة فصلت: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ (فصلت/١١)، وهذا بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف، كما سنذكره ونذكر ألفاظهم بعد إن شاء الله.

والثاني: مقيد بـ(على) كقوله: ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ (هود/٤٤)، وقوله: ﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾ (الفتح/٢٩)، وهذا أيضا معناه العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة.

=



=

الثالث: المقرون بواو (مع) التي تعدي الفعل إلى المفعول معه، نحو: استوى الماء والخشبة بمعنى ساواها، وهذه معاني الاستواء المعقولة في كلامهم. اهـ (مختصر الصواعق المرسلة/٣٤٩).

قلت: ذهب الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أن معنى ﴿اسْتَوَى إِلَى﴾ هو علا وارتفع، وهذا فيه نظر.

قال العلامة العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المثال الرابع: قوله تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾، والجواب: أن لأهل السنة في تفسيرها قولين:

أحدهما: أنها بمعنى ارتفع إلى السماء، وهو الذي رجحه ابن جرير قال في تفسيره بعد أن ذكر الخلاف: وأولى المعاني بقول الله جل ثناؤه: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾: علا عليهن وارتفع، فدبرهن بقدرته، وخلقهن سبع سماوات. اهـ

القول الثاني: أن الاستواء هنا بمعنى القصد التام، وإلى هذا القول ذهب ابن كثير في تفسير سورة البقرة، والبغوي في تفسير سورة فصلت، قال ابن كثير: أي: قصد إلى السماء، والاستواء هاهنا ضُمِّنَ معنى القصد والإقبال، لأنه عُدي بإلى.

وقال البغوي: أي: عمد إلى خلق السماء، وهذا القول ليس صرفا للكلام عن ظاهره، لأن الفعل ﴿اسْتَوَى﴾ اقترن بحرف يدل على الغاية والانتهاء، فانتقل إلى معنى يناسب الحرف المقترن به، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ حيث كان معناها يَروي بها عباد الله، لأن الفعل ﴿يَشْرَبُ﴾ اقترن بالباء، فانتقل إلى معنى يناسبها وهو يَروى، فالفعل يُضَمَّن معنى يناسب معنى الحرف المتعلق به ليلتئم الكلام. اهـ (القواعد

=



=

المثلى/٥٧:٥٨).

وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه للقواعد معقبًا على كلام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعلى هذا الرأي تكون (إلى) بمعنى (على) فيكون معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾: ثم استوى على السماء، وهذا فيه شيء من النظر؛ لأن الاستواء لا يقال إلى على العرش، ولكن يمكن أن يجاب عنه فيقال: استوى على السماء، هذا علوٌ مطلقٌ، وقد بيَّنت النصوص أن المراد به العرش، وابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: (علا عليهن) فيجعل (إلى) بمعنى (على)، أي: استوى على السموات وعلا عليهن.

قلت (العثيمين): وهذا فيه شيء من النظر؛ لما ذكرنا؛ لأن الاستواء خاص بالعرش، فهو علو خاص غير العلو المطلق، لكن يمكن أن يُجاب على هذا فيقال: استوى على السموات أي: علا عليهن وهو على العرش، ومن علا على العرش؛ فقد علا على السموات؛ لأن العرش فوقها...، ثم عقب الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على ما ذهب إليه ابن كثير والبغوي فقال: وعلى هذا القول؛ لا إشكال في الآية إذا فسرنا الاستواء بمعنى: قصد، وأن المراد بالاستواء هنا: القصد التام، وقال: القصد التام؛ لأن أصل كلمة الاستواء (أي أصل هذه المادة) تدل على الكمال، فيقال: استوى الطعام، بمعنى كمل نضجه، ويقال: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ أي: كمل عقله، فلذلك قالوا: القصد التام، يعني: القصد الكامل، ثم سأل الشيخ سؤالاً وأجابه، فقال: وما الذي جعلهم يفسرونه بالقصد؟

الجواب: لأن الحرف الذي عُدي به يتضمن معنى ذلك، فلما عُدي بـ(إلى) التي يُعدى بها القصد؛ صار استوى ضمن معنى القصد، وأخذنا من كلمة استوى التي تدل على الكمال

=

=

أن هذا القصد تامٌ كاملٌ، وابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ رأى أن هذا الفعل لما عُدي بـ(إلى)؛ وجب أن نحوله إلى تضمين معنى القصد كما في سائر الأفعال التي تُعدى بحرف لا يتناسب مع ظاهره بلفظها، فإنها تضمن معنى ذلك الحرف. اهـ (شرح القواعد المثلى/٢٥١:٢٥٨).

قال الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وليس للاستواء في كلام العرب معنى إلا ما ذكرنا. اهـ (الحجة في بيان المحجة:٢/٢٦٤).

ثانيًا: أدلة الاستواء من الكتاب والسنة:

اعلم رحمك الله أن الدليل على الاستواء والعلو في الكتاب والسنة كثير جدا، وقد عدّ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنواع الأدلة في (النونية) فذكر أنها واحد وعشرين نوعاً من الأدلة، فقد قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولقد أتانا عشر أنواع من ... المنقول في فوقية الرحمن

مع مثلها أيضا تزيد بواحد ... ها نحن نسردها بلا كتمان

منها استواء الرب فوق العرش ... سبع أتت في محكم القرآن

إلى أن قال:

هذا وحاديها وعشرون الذي ... قد جاء في الأخبار والقرآن

إتيان رب العرش جل جلا ... له ومجيئه للفصل بالميزان

ثم انتقل رحمه الله إلى السنة، فقال:

=

=

فصلٌ: في الإشارة إلى ذلك من السنة:

واذكر حديثا في الصحيح تضمّنت كلماته تكذيب ذي البهتان

لما قضى الله الخليقة ربنا كتبت يداه كتاب ذي الإحسان

وكتابه هو عنده وضع على العـ ـرش المجيد الثابت الأركان

إني أنا الرحمن تسبق رحمتي غضبي وذاك لرأفتي وحناني

إلى أن قال:

وقد اقتصرت على يسير من كثير فائت للعد والحسبان

ما كل هذا قابل التأويل حريف فاستحيوا من الرحمن

فقد جمع رَحِمَهُ ٱللَّهُ أدلة الكتاب والسنة في منظومة مرتبة تنتهي آخرها في كل بيت بحرف النون، فسبحان من علمه، وللإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتاب آخر قيم كاسمه، دك فيه حصون المعطلة والمؤولة، جمع فيه أقوال الخليقة من الرسل، وأتباعهم، وأتباع أتباعهم، من أهل السنة، والمتصوفة، والمتكلمين، بل من الجن، والحيوانات في إثبات علو الله تعالى وسماه [اجتماع الجيوش الإسلامية على غز المعطلة والجهمية].

وعوداً للمقصود، فإن أدلة الكتاب والسنة تنوعت في إثبات علو الله عز وجل، وقبل ذكرها أود التنبيه على الفرق بين العلو والاستواء، وهذا الفرق في غاية الأهمية.

إن من المعلوم عند أهل السنة والجماعة، أن ما جاء مضافاً إلى الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ في الكتاب والسنة ينقسم إلى قسمين:

=



=

١-إضافة صفات.　　　　　　٢-إضافة أعيان.

فإضافة الأعيان، كإضافة مخلوق لله عز وجل، كعبد الله، ورسول الله وبيت الله وناقة الله وأرض الله وسمائه، ورُوح الله -بالضم -...الخ.

وأما إضافة الصفات، كسمع الله وكلام الله واستواء الله وعلم الله.

وقد قسم العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ ما يضاف إلى الله من صفاته إلى ثلاثة أقسام:

١- صفات ذاتيه، وهي التي لا تنفك عنه سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، ولا تقع تحت المشيئة، مثل البصر والسمع والقدرة الإرادة والعزة والحياة والقوة، وكذلك العلو، فهذه صفات لا تنفك عن الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، ولا يمكن أن تتعلق بزمن ومشيئة، فلا يقال كان حياً بعد أن لم يكن، ولا يمكن أن يقال: إن شاء كان عليماً وإن شاء كان جاهلا، تعالى الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ عما يقوله المعطلون علواً كبيراً.

٢- صفات فعلية، وهي التي تقع تحت المشيئة ومتعلقة بالزمن، فهو سبحانه يفعل ما شاء وقتما شاء، وهذه الأفعال متعلقة بوقت دون وقت، كالنزول والرضى والغضب والاستواء، فهو سبحانه قبل أن يرضى عن عبده لم يكن راضٍ عنه، وهكذا قبل أن يستوي على عرشه لم يكن مستوٍ على عرشه.

٣- صفات خبريه، وهي التي بالنسبة للمخلوق أجزاء وأبعاض، كالنفس والوجه واليدين والعينين والساق القدم والرجل والأصابع...الخ.

والمراد أن الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ استوى على عرشه، فاستواء الله صفته سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ وهي صفة فعلية، وكما ذكرت أن الصفات الفعلية متعلقة بالمشيئة، فقد يسأل سائل، إذن أين

=



=

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قبل أن يستوي؟.

ولذلك وجب التفريق بين معنى العلو والاستواء، فالعلو صفة لازمة لله تعالى، فهو عالٍ قبل أن يخلق ما يعلو عليه، فهو سبحانه له العلو الذاتي كما في دلالة اسمه العلي، والعلو الشأني كما في اسمه الأعلى، والعلو القهري كما في اسمه المتعال، أما الاستواء فهو فعل تعدى إلى شيء آخر موجود، وهو العرش، فهو سبحانه قبل أن يستوي كان عالياً، لأن العلو ذاتي، وبهذا يتضح لنا الربط بين مسألة العلو والاستواء عند العلماء، فإنك لا تكاد ترى مصنفاً في مسألة الاستواء إلا ويذكر مسألة العلو، لأنه سبحانه عالٍ قبل أن يستوي، فلم يزداد شيئاً باستوائه في علوه الذاتي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومن أفضل ما قرأت في هذا المعنى، كلام أبو محمد الجويني رَحِمَهُ ٱللَّهُ والد أبي المعالي، فقد منّ الله عليهما بالرجوع إلى منهج السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ قبل مماتهما، أما رجوع أبي المعالي، فقد ذكرها ابن الجوزي في [تلبيس إبليس]، أمّا أبوه أبو محمد، فقد صنف رسالة صغيرة نافعة جداً في بابها، يصرح فيها برجوعه إلى مذهب السلف في مسائل الاستواء والصوت والحرف، وينصح أقرانه بالرجوع إلى ما رجع إليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال فيها: فلم أزل في الحيرة والاضطراب من اختلاف المذاهب والأقوال، حتى لطف الله تعالى وكشف لهذا الضعيف من وجه الحق كشفاً اطمئن إليه خاطره، وسكن به سره، وتبرهن الحق في نوره، وها أنا واصف بعض ذلك إن شاء الله تعالى، والذي شرح صدري له في حكم هذه الثلاث مسائل:

الأولى: مسألة العلو والفوقية والاستواء هو: أن الله عز وجل كان ولا مكان، ولا عرش، ولا ماء، ولا فضاء، ولا هواء، ولا خلاء، ولا ملأ، وأنه كان منفردًا في قدميته

=



=

وأزليته، وهو متوحد في فردانيته، وهو سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في تلك الفردانية لا يوصف بأنه فوق كذا إذ لا شيء غيره، هو سابق للتحت والفوق اللذين هما جهتا العالم، وهما لازمتان لها، والرب تعالى في تلك الفردانية منزه عن لوازم الحدث وصفاته، فلما اقتضت الإرادة المقدسة بخلق الأكوان المحدثة المخلوقة المحدودة ذات الجهات، اقتضت الإرادة المقدسة على أن يكون الكون له جهات من العلو والسُفل، وهو سبحانه منزه عن صفات الحدث، فكوَّن الأكوان، وجعل لها جهتا العلو والسفل، واقتضت الحكمةُ الإلهية أن يكون الكون في جملة التحت؛ لكونه مربوباً مخلوقاً، واقتضت العظمةُ الربانية أن يكون هو فوق الكون باعتبار الكون لا باعتبار فردانيته، إذ لا فوق فيها ولا تحت، ولكن الرب سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كما كان في قدمه وأزليته، فهو الآن كما كان، لكن لما حدث المربوب المخلوق، والجهات، والحدود ذو الخلا والملا، وذو الفوقية والتحتية، كان مقتضى حكم عظمة الربوبية أن يكون فوق ملكه، وأن تكون المملكة تحته باعتبار الحدوث من الكون لا باعتبار القدم من المكون. اهـ (رسالة في الاستواء والفوقية/٢٨).

أدلة العلو من الكتاب والسنة:

قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ (النحل/٥٠)، الفوقية.

وقال تعالى: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ﴾ أي من في العلو، أو على السماء، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾ (الأنعام/١١).

وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (فاطر/١٠) الصعود والارتفاع.

=



=

وقال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ (الأنعام/٩٢) التنزيل، وغير ذلك كثير من الكتاب العزيز.

ومن السنة، معجزة المعراج.

وقول النبي ﷺ: "**لَمَّا قَضَى اللهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي**" (البخاري/٣١٩٤) العندية والفوقية.

وفي حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ سجد فقال: "**سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى**" (مسلم/٧٧٢)، وغير ذلك كثير.

وقد صنف العلماء في هذه المسألة مصنفات مفردة، منها [العلو] للذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ، وكتاب ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ [اجتماع الجيوش الإسلامية]، و[إثبات صفة العلو] لابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ.

أما دلالة الإجماع: فقد نقل اللالكائي رَحِمَهُ اللَّهُ إجماع أهل العلم قاطبة على علو الله واستوائه، قال: سياق ما روى في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، وأن الله على عرشه في السماء، ثم ساق الأدلة وكلام أهل العلم في اثبات الاستواء والعلو. (شرح أصول الاعتقاد:٣/٢٣:٥٠).

ثالثًا: المخالفين والرد عليهم:

قال أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ: وقالت المعتزلة في قول الله عز وجل: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾: يعنى استولى. اهـ (مقالات الإسلاميين/٩٥).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: والمبطل لتأويل من تأول استوى بمعنى استولى وجوه:

=

=

أحدها: أن هذا التفسير لم يفسره أحد من السلف من سائر المسلمين من الصحابة والتابعين، فإنه لم يفسره أحد في الكتب الصحيحة عنهم، بل أول من قال ذلك: بعض الجهمية والمعتزلة؛ كما ذكره أبو الحسن الأشعري في كتاب [المقالات]، وكتاب [الإبانة].

الثاني: أن معنى هذه الكلمة مشهور؛ ولهذا لما سُئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن ومالك بن أنس عن قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ قالا: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، ولا يريد أن: الاستواء معلوم في اللغة دون الآية لأن السؤال عن الاستواء في الآية كما يستوي الناس.

الثالث: أنه إذا كان معلوما في اللغة التي نزل بها القرآن كان معلوما في القرآن.

الرابع: أنه لو لم يكن معنى الاستواء في الآية معلوما لم يحتج أن يقول: الكيف مجهول لأن نفي العلم بالكيف لا ينفي إلا ما قد علم أصله كما نقول إنا نقر بالله ونؤمن به ولا نعلم كيف هو.

الخامس: الاستيلاء سواء كان بمعنى القدرة أو القهر أو نحو ذلك هو عام في المخلوقات كالربوبية والعرش، وإن كان أعظم المخلوقات ونسبة الربوبية إليه لا تنفي نسبتها إلى غيره كما في قوله : ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (المؤمنون/٨٦)، وكما في دعاء الكرب؛ فلو كان استوى بمعنى استولى -كما هو عام في الموجودات كلها- لجاز مع إضافته إلى العرش أن يقال: استوى على السماء وعلى الهوى والبحار والأرض وعليها ودونها ونحوها؛ إذ هو مستو على العرش، فلما اتفق المسلمون على أنه يقال: استوى على العرش ولا يقال: استوى على هذه الأشياء، مع أنه يقال استولى

=

=

على العرش والأشياء، علم أن معنى استوى خاص بالعرش ليس عاما كعموم الأشياء.

السادس: أنه أخبر بخلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش، وأخبر أن عرشه كان على الماء قبل خلقها، وثبت ذلك في صحيح البخاري عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: "**كَانَ اللهُ وَلاَ شَيء غَيْرَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيءٍ، ثُمَّ خَلَقَ الْسَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ**" مع أن العرش كان مخلوقا قبل ذلك، فمعلوم أنه ما زال مستوليا عليه قبل وبعد، فامتنع أن يكون الاستيلاء العام هذا الاستيلاء الخاص بزمان كما كان مختصا بالعرش.

السابع: أنه لم يثبت أن لفظ استوى في اللغة بمعنى استولى؛ إذ الذين قالوا ذلك عمدتهم البيت المشهور:

استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مِهراق

ولم يثبت نقل صحيح أنه شعر عربي، وكان غير واحد من أئمة اللغة أنكروه، وقالوا: إنه بيت مصنوع لا يعرف في اللغة، وقد علم أنه لو احتج بحديث رسول الله ﷺ لاحتاج إلى صحته، فكيف ببيت من الشعر لا يعرف إسناده، وقد طعن فيه أئمة اللغة؛ وذكر عن الخليل كما ذكره أبو المظفر في كتابه [الإفصاح] قال: سئل الخليل هل وجدت في اللغة استوى بمعنى استولى؟ فقال: هذا ما لا تعرفه العرب؛ ولا هو جائز في لغتها، وهو إمام في اللغة على ما عُرف من حاله، فحينئذ حمله على ما لا يُعرف حمل باطل.

الثامن: أنه رُوي عن جماعة من أهل اللغة أنهم قالوا: لا يجوز استوى بمعنى استولى إلا في حق من كان عاجزا، ثم ظهر، والله سبحانه لا يعجزه شيء والعرش لا يغالبه في حال،

=

=

فامتنع أن يكون بمعنى استولى. فإذا تبين هذا فقول الشاعر: (استوى بشر على العراق) لفظ مجازي لا يجوز حمل الكلام عليه إلا مع قرينة تدل على إرادته، واللفظ المشترك بطريق الأولى، ومعلوم أنه ليس في الخطاب قرينة أنه أراد بالآية الاستيلاء، وأيضا فأهل اللغة قالوا: لا يكون استوى بمعنى استولى إلا فيما كان منازعا مغالبا، فإذا غلب أحدهما صاحبه قيل: استولى؛ والله لم ينازعه أحد في العرش فلو ثبت استعماله في هذا المعنى الأخص مع النزاع في إرادة المعنى الأعم لم يجب حمله عليه بمجرد قول بعض أهل اللغة مع تنازعهم فيه، وهؤلاء ادعوا أنه بمعنى استولى في اللغة مطلقا، والاستواء في القرآن في غير موضع مثل قوله: ﴿**فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ**﴾ (المؤمنون/٢٨)، ﴿**وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ**﴾ (هود/٤٤)، ﴿**لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ**﴾ (الزخرف/١٣)، وفي حديث عدي: أن رسول الله ﷺ أتى بدابته فلما وضع رجله في الغرز قال: "**بِسْمِ اللهِ**"، فلما استوى على ظهرها قال: "**الْحَمْدُ للهِ**".

التاسع: أنه لو ثبت أنه من اللغة العربية لم يجب أن يكون من لغة العرب العرباء، ولو كان من لفظ بعض العرب العرباء لم يجب أن يكون من لغة رسول الله ﷺ وقوله؛ ولو كان من لغته لكان بالمعنى المعروف في الكتاب والسنة وهو الذي يراد به، ولا يجوز أن يراد معنى آخر.

العاشر: أنه لو حمل على هذا المعنى لأدى إلى محذور يجب تنزيه بعض الأئمة عنه؛ فضلا عن الصحابة؛ فضلا عن الله ورسوله؛ فلو كان الكلام في الكتاب والسنة كلاما نفهم منه معنى ويريدون به آخر لكان في ذلك تدليس وتلبيس، ومعاذ الله أن يكون ذلك، فيجب

=

=

أن يكون استعمال هذا الشاعر هذا اللفظ في هذا المعنى ليس حقيقة بالاتفاق؛ بل حقيقة في غيره ولو كان حقيقة فيه للزم الاشتراك المجازي فيه، وإذا كان مجازا عن بعض العرب أو مجازا اخترعه من بعده، أفترك اللغة التي يخاطب بها رسول الله ﷺ.

الحادي عشر: أن هذا اللفظ -الذي تكرر في الكتاب والسنة والدواعي متوفرة على فهم معناه من الخاصة والعامة عادة ودينا- إن جعل الطريق إلى فهمه بيت شعر أُحدث فيؤدي إلى محذور؛ فلو حمل على معنى هذا البيت للزم تخطئة الأئمة الذين لهم مصنفات في الرد على من تأول ذلك؛ ولكان يؤدي إلى الكذب على الله ورسوله ﷺ والصحابة والأئمة، وللزم أن الله امتحن عباده بفهم هذا دون هذا مع ما تقرر في نفوسهم وما ورد به نص الكتاب والسنة؛ والله سبحانه لا يكلف نفسا إلا وسعها وهذا مستحيل على الله ورسوله ﷺ والصحابة والأئمة.

الثاني عشر: أن معنى الاستواء معلوم علما ظاهرا بين الصحابة والتابعين وتابعيهم، فيكون التفسير المحدث بعده باطلا قطعا، وهذا قول يزيد بن هارون الواسطي؛ فإنه قال: إن من قال: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ خلاف ما تقرر في نفوس العامة فهو جهمي، ومنه قول مالك: الاستواء معلوم، وليس المراد أن هذا اللفظ في القرآن معلوم كما قال بعض الناس: استوى أم لا؟ أو أنه سئل عن الكيفية ومالك جعلها معلومة. والسؤال عن النزول ولفظ الاستواء ليس بدعة ولا الكلام فيه؛ فقد تكلم فيه الصحابة والتابعون، وإنما البدعة السؤال عن الكيفية، ومن أراد أن يزداد في هذه القاعدة نورا فلينظر في شيء من الهيئة وهي الإحاطة والكروية ولا بد من ذكر الإحاطة ليعلم ذلك. اهـ (مجموع

=



=

الفتاوى:٥/٩٢:٩٥).

ومما ينبغي أن يعلم، أن ممن خالف أهل السنة في ثبوت الاستواء، الجهمية الحلولية وغلاة الصوفية، الذين يقولون: إن الله عز وجل حالٌ في خلقه، وأنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في كل مكان، وقد رد العلماء رَحِمَهُمُٱللَّهُ عليهم، وردودهم مبثوثة في كتبهم، ومن أفضل الردود كتاب الإمام الألمعي عثمان بن سعيد الدارمي رَحِمَهُٱللَّهُ [الرد على الجهمية].

قال الإمام رَحِمَهُٱللَّهُ بعد أن ذكر أدلة العرش والاستواء: فاحتج بعضهم فيه بكلمة زندقة أستوحش من ذكرها، وتستر آخر من زندقة صاحبه فقال: قال الله تعالى: ﴿**مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ (المجادلة/٧).

قلنا: هذه الآية لنا عليكم لا لكم، إنما يعني أنه حاضر كل نجوى ومع كل أحد من فوق العرش بعلمه، لأن علمه بهم محيط وبصره فيهم نافذ، لا يحجبه شيء عن علمه وبصره، ولا يتوارون منه بشيء، وهو بكماله فوق العرش بائن من خلقه ﴿**يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى**﴾ (طه/٧)، أقرب إلى أحدهم من فوق العرش من حبل الوريد، قادر على أن يكون له ذلك لأنه لا يبعد عنه شيء ولا تخفى عليه خافية في السموات ولا في الأرض، فهو كذلك رابعهم وخامسهم وسادسهم، لا أنه معهم بنفسه في الأرض كما ادعيتم وكذلك فسرته العلماء.

فقال بعضهم: دعونا من تفسير العلماء إنما احتججنا بكتاب الله فأتوا بكتاب الله.

=



=

قلنا: نعم هذا الذي احتججتم به هو حق كما قال الله عز وجل وبها نقول على المعنى الذي ذكرنا، غير أنكم جهلتم معناها فضللتم عن سواء السبيل، وتعلقتم بوسط الآية وأغفلتم فاتحتها وخاتمتها، لأن الله عز وجل افتتح الآية بالعلم بهم وختمها به، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾.....إلى قوله: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، ففي هذا دليل على أنه أراد العلم بهم وبأعمالهم لا أنه نفسه في كل مكان معهم كما زعمتم، فهذه حجة بالغة لو عقلتم.

وأخرى أنّا لما سمعنا قول الله عز وجل في كتابه: ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، و﴿اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ وقوله: ﴿مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٣) تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ (المعارج/٣:٤)، وقوله: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ (السجدة/٥) و﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (فاطر/١٠)، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ (الأنعام/١٨)، و ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ وما أشبهها من القرآن، آمنا به وعلمنا يقينا بلا شك أن الله فوق عرشه فوق سمواته، كما وصف بائن من خلقه، فحين قال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ قلنا: هو معهم بالعلم الذي افتتح به الآية وختمها، لأنه قال في آي كثيرة ما حقق أنه فوق عرشه فوق سماواته، فهو كذلك لا شك فيه، فلما أخبر أنه مع كل ذي نجوى، قلنا: علمه وبصره معهم، وهو بنفسه على العرش بكماله كما وصف، لأنه لا يتوارى منه شيء، ولا يفوت علمه وبصره شيء في السماء السابعة العليا ولا تحت الأرض السابعة السفلى، وهذا كقوله =

٤- أَخبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ إبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الْمُزَكِّي، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ بْنِ سُلَيْمَانَ الزَّاهِدُ، أَخبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدٍ أَبُو الْحَسَنِ الحَافِظِ مِنْ أَصْلِهِ الْعَتِيقِ، ثَنَا أَبُو يَحْيَى بْنُ كيسة الوَرَّاقُ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الأَشْرَسِ الوَرَّاقُ أَبُو كِنَانَةَ، ثَنَا أَبُو الْمُغِيرَة الحَنَفِيُّ، ثَنَا قُرَّةُ بْنُ خَالِدٍ عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ أُمِّ سَلَمَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ قَالَتْ: الاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالإِقْرَارُ بِهِ إِيمَانٌ، وَالْجُحُودُ بِهِ كُفْرٌ.(١)

٥- وَحَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ بْنُ إِسْحَقَ الْمُزَكِّي بْنُ الْمُزَكِّي، ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْخَضِرِ أَبُو الْحَسَنِ الشَّافِعِيُّ، ثَنَا شَاذَانٌ، ثَنَا ابْنُ مَخْلَدِ بْنِ يَزِيدِ الْقُهُسْتَانِيُّ، ثنا جَعْفَرُ بْنُ مَيْمُونٍ قَالَ: سُئِلَ مَالِكُ بْنُ أَنسٍ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾

=
تعالى لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ من فوق العرش، فهل من حجة أشفى وأبلغ مما احتججنا به عليك من كتاب الله تعالى؟. اهـ (الرد على الجهمية/٣٤:٣٧) والله أعلم

(١) ضعيف: لم يثبت عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وقد صح عن ربيعة، ومالك بن أنس رَحِمَهُمَا اللَّهُ، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد روي هذا الجواب عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا موقوفا ومرفوعا، ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه. اهـ (الفتاوى: جـ٥/ ٢١٩).



كَيفَ اسْتَوى؟ قال: الاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، وَمَا أَرَاكَ إِلَّا ضَالًّا، وَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُخْرَجَ مِنْ مَجْلِسِهِ.

٦- أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدِ المَجلَدِيُّ العَدْلُ، ثَنَاَ أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ الله بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مِسْلِمٍ الإِسْفَرَائِينِىُّ، ثَنَاَ أَبُو الْحُسَيْنِ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ، ثَنَا سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ، ثنا مَهْدِيُّ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مَيْمُونَ الرَّمْلِيُّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَاَلَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى مَالِكِ بْنِ أَنَس -يَعْنِي- فَسَأَلَهُ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ كَيْفَ اسْتَوى؟ قَالَ: فَمَا رَأَيْتُهُ وَجَدَ مِنْ شيء كَوَجْدِهِ مِنْ مَقَالَتِهِ، وَعَلاَهُ الرُّحَضَاءُ[1]، وَأَطْرَقَ الْقَومُ[2]، فَجَعَلُوا يَنْظُرُونَ الأَمَرَ بِهِ فِيه، ثُمَّ سُرِّيَ[3] عَنْ مَالِكٍ فَقَاَلَ: الْكَيْفَ غَيْرُ مَعْلُومٍ، وَالاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، والسؤال عنه بدعه، وَإِنِّي لأَخَافُ أَنْ تَكُونَ ضَالاًّ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ.

٧- أَخْبَرَنَا بِهِ جَدِّي أَبُو حَامِد أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ جَدِّ وَالِدِي الْشَّهِيد، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَدِي بْنِ حَمْدَوَيْهِ الصَّابُونِيُّ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي عَوْنٍ الْنَّسَوِيُّ، ثَنَا سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ، ثنا مَهْدِيُّ بْنُ جَعْفَرٍ الرَّمْلِيُّ، ثَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ

---

(١) العرق.

(٢) أي سكتوا منتظرين رد الإمام.

(٣) تجلى.

قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى مَالِكِ بْنِ أَنَس فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ كَيْفَ اسْتَوَى؟ قَالَ: فَمَا رَأَيْنَا مَالِكًا وَجَدَ[1] مِنْ شَيٍّء كَوَجْدِهِ مِنْ مَقَالَتِهِ، وَذَكَرَ بِنَحْوِه.[2]

---

(١) غضب.

(٢) هذا هو قانون السلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ في كل الصفات، فكل صفة معلومة المعنى، مجهولة الكيفية، السؤال عنها بدعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وهكذا سائر الأئمة قولهم يوافق قول مالك: في أنا لا نعلم كيفية استوائه كما لا نعلم كيفية ذاته، ولكن نعلم المعنى الذي دل عليه الخطاب، فنعلم معنى الاستواء ولا نعلم كيفيته، وكذلك نعلم معنى النزول ولا نعلم كيفيته، ونعلم معنى السمع والبصر والعلم والقدرة ولا نعلم كيفية ذلك. اهـ (مجموع الفتاوى: جـ٥/ ٢١٩)

ومن اللطائف أن ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ شرح هذا الأثر فقال:

وقولهم الاستواء غير مجهول: أي غير مجهول الوجود، لأن الله تعالى أخبر به، وخبره صدق يقينا لا يجوز الشك فيه ولا الارتياب فيه، فكان غير مجهول لحصول العلم به، وقد روي في بعض الألفاظ الاستواء معلوم.

وقولهم الكيف غير معقول: لأنه لم يرد به توقيف ولا سبيل إلى معرفته بغير توقيف.

والجحود به كفر: لأنه رد لخبر الله، وكفر بكلام الله، ومن كفر بحرف متفق عليه فهو كافر، فكيف بمن كفر بسبع آيات ورد خبر الله تعالى في سبعة مواضع من كتابه، والإيمان =

وَسُئِلَ أَبُو عَلِيٍّ الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ الْبَجَلِيُّ[(١)] عَنْ الاسْتِوَاءِ، وَقِيلَ لَهُ: كَيْفَ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ؟ فَقَالَ: إِنَّا لاَ نَعْرِفُ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ إِلَّا مِقْدَارُ مَا كُشِفَ لَنَا، وَقَدْ أَعْلَمَنَا جَلَّ ذِكْرُهُ أَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ، وَلَمْ يُخْبِرْنَا كَيْفَ اسْتَوَى.[(٢)]

=

به واجب لذلك.

والسؤال عنه بدعة: لأنه سؤال عما لا سبيل إلى علمه ولا يجوز الكلام فيه، ولم يسبق في ذلك في زمن رسول الله ﷺ ولا من بعده من أصحابه. اهـ (ذم التأويل/٢٤).

وفي هذا الأثر عن مالك ردٌّ على من يقول بالتفويض الكلي، فإن قول الأئمة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: الاستواء معلوم والكيف مجهول، هو من التأسيس لا التوكيد، وهو من الكلام المنفصل لا المتصل، فالجملة الأولى منفصلة عن الجملة الثانية، ولو أن المعنى غير مفهوم ما احتاج مالك أن يقول: والكيف مجهول، إذ لا معنى لقوله: الاستواء معلوم، وهذا يفهمه من له أدنى عقل، ولله الحمد والمنة.

(١) قال الخليلي: ورد نيسابور، وأقام بها، سمعت الحاكم أبا عبد الله يقول: هو من العلماء الذين حملهم عبد الله بن طاهر، والذين نقلهم من العراق فأقام بنيسابور، وهو ثقة مأمون، سمع الثوري وإسرائيل وأقرانهما. (الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة لأبي الفداء زين الدين قاسم:٣/٤٣٥)

(٢) وذلك لأن الكلام في الصفات فرعٌ في الكلام عن الذات، فإن معرفة كيفية الصفة متوقف على معرفة كيفية الذات.

وأضرب مثلًا من الواقع لفهم تلك المسألة، لو أن رجلًا استضاف بدويًّا يعيش أغلب

=



٨- أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدُ اللَّهِ الْحَافِظُ، أَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ الزَّاهِدُ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّامِيُّ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ شَبُّوَيْهِ الْمَرْوَزِيُّ، سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُبَارَكِ يَقُولُ: نَعْرِفُ رَبَّنَا فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَلاَ نَقُولُ كَمَا قَالَتِ الْجَهْمِيَّةُ: إِنَّهُ هَاهُنَا، وَأَشَارَ إِلَى الأَرْضِ.(١)

=

وقته، بل كل وقته بين الصحاري والوديان والسهول، وقال له اعتذر لك عن مشروبك الساخن فإن (أُذُنَ الفنجان) كُسر، في هذه اللحظة تجد البدوي لا يفهم كلام الرجل، لكنه يفهم معنى (أذن) ولا يفهم معنى (فنجان)، ومعلوم عند من عنده عقل أن (الفنجان) ذات و (الأذن) صفة أو جزء من أجزاء، فهو صفة له، فلو سألنا البدوي: هل فهمت مراد مضيفك؟

سيقول أن أفهم (الأذن) لكن ما أفهم (الفنجان)، ولا أفهم قطعاً كيف هي (أذن الفنجان) إذ أن مضيفي قال: إنها كُسرت، وأنا لا أعلم أذن تكسر.

والبدوي بكلامه هذا سليم الفطرة، فلو أريناه (الفنجان)، وقلنا له هذه (أذنه)، سيعي حينئذ معنى (أذن الفنجان) وكيفيتها، لأنه رأى الذات، فوعي كيفية صفاته.

ولله المثل الأعلى، فإننا لا يمكننا أن نعي أو نستوعب كيفية صفاته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، لأننا لم نعلم كيفية ذاته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ولن نعلمها.

(١) وفي هذا ردٌ من الإمام المبارك رَحِمَهُٱللَّهُ على الجهمية الحلولية، ومن سار على

=



=

مذهبهم من الصوفية الفلسفية أصحاب وحدة الوجود، كابن عربي، وابن سبعين، والحلاج، وغيرهم، فإنهم يقولون: الله عين الوجود، ولهم في ذلك مقالات يعف اللسان عن ذكرها، بل الخاطر عن توهمها، ونعوذ بالله من مقالاتهم، مقالات سوء، فإن الله عز وجل عالٍ عن خلقه، مستوٍ على عرشه، بائنٌ أي منفصلٌ ليس معهم بذاته، ولم نكن نحتاج يوماً أن نقول هذه اللفظة، ولكن كما ذكرت عن سبب تقسيم أهل السنة أبواب العقيدة بهذه التقسيمات المستقرة بيننا الآن، أن أهل البدع كلما أحدثوا بدعة رد عليهم أهل السنة بما ينقض بدعهم، فلما قالوا: الله في كل مكان بذاته، وأن الوجود هو عينه، وأنا المخلوقات كمرايا تعكسه، قلنا إنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على عرشه فوق سمواته بذاته بائنٌ، أي منفصل، كما نقول بينونة صغرى وكبرى، كناية عن الانفصال، وقد رد عليهم الأمام الدارمي في كتابه النافع جدًّا [الرد على الجهمية]، ورتبه ترتيباً بديعاً، كان في ترتيبه هذا كفاية في الرد عليهم، فذكر العرش، واستواءه على العرش، وعقب على هذا التبويب فقال: أقرت هذه العصابة بهذه الآيات بألسنتها، وادعوا الإيمان بها، ثم نقضوا دعواهم بدعوى غيرها، فقالوا: الله في كل مكان، لا يخلو منه مكان، قلنا: قد نقضتم دعواكم بالإيمان باستواء الرب على العرش...ثم ذكر باب الاحتجاب وقوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ**﴾ (الشورى/٥١).

وقال في آخر الباب: ففي هذا أيضاً دليل أنه بائن من خلقه، محتجب عنهم ... الخ من الأبواب من النزول والرؤية مما يدل على أن الله عز وجل بائن من خلقه، وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فوق، والخلق كلهم تحت.



٩- وَسَمِعْتُ الْحَاكِمَ أَبَا عَبْدِ اللهِ فِي كِتَابِهِ التَّارِيخُ[١] الَّذِي جَمَعَهُ لأَهْلِ نَيْسَابُورَ وَفِي كِتَابِهِ مَعْرِفَةُ الْحَدِيثِ اللَّذَيْنِ جَمَعَهُمَا وَلَمْ يُسْبَقْ إِلَى مِثْلِهِمَا يَقُولُ: سَمِعْت أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ صَالِحِ بْنِ هَانِئٍ يَقُولُ: سَمِعْت أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَة يَقُولُ: مَنْ لَمْ يَقُلْ بِأَنَ اللهَ عز وجل عَلَى عَرْشِهِ قَدْ اسْتَوَى فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتِهِ؛ فَهُوَ كَافِرٌ بِرَبِّه، حَلاَلُ الدَّمِ يُسْتَتَابُ فَإِنْ تَاب وَإِلَّا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ وَأُلْقِيَ عَلَى بَعْضِ الْمَزَابِلِ، حَتَّى لاَ يَتَأَذَّى الْمُسْلِمُونَ وَلا الْمُعَاهِدُونَ بِنَتَنِ رَائِحَةِ جِيفَتِهِ، وَكَانَ مَالُهُ فَيْئًا لاَ يَرِثُهُ أَحَدٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، إِذْ الْمُسْلِمُ لاَ يَرِثُ الكَافِرَ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "**لا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ، وَلا الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ**".[٢]

---

(١) كتاب [تاريخ نيسابور] وهو كتاب مفقود الآن، وقد نقل العلماء منه نقولات كثيرة.

(٢) البخاري (٦٧٦٤).



[النُّزُولُ، والمَجِيءُ]

وَيُثْبِتُ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ نُزُولَ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهٍ لَهُ بِنُزُولِ الْمَخْلُوقِينَ، وَلاَ تَمْثِيلٍ وَلاَ تَكْيِيفٍ؛ بَلْ يُثْبِتُونَ مَا أَثْبَتَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَيَنْتَهُونَ فِيهِ إِلَيْهِ، وَيُمِرُّونَ الْخَبَرَ الصَّحِيحَ الْوَارِدَ بِذِكْرِهِ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَيَكِلُونَ عِلْمَهُ إِلَى اللَّهِ.

وَكَذَلِكَ يُثْبِتُونَ مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَزَّ اسْمُهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ ذِكْرِ الْمَجِيءِ وَالإِتيَانِ الْمَذْكُورَيْنِ فِي قَوْلِهِ عز وجل: ﴿**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ**﴾ (البقرة/٢١٠)، وَقَوْلِهِ عَزَّ اسْمُهُ: ﴿**وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً**﴾ (الفجر/٢٢).

وَقَرَأْتُ فِي رِسَالَةِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ الإِسْمَاعِيلِيِّ إِلَى أَهْلِ جِيلاَنَ: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا عَلَى مَا صَحَّ بِهِ الْخَبَرُ عَنْ الرَّسُولِ ﷺ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عز وجل: ﴿**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ**﴾ (البقرة/٢١٠)، وَقَالَ: ﴿**وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً**﴾ (الفجر/٢٢).

وَنُؤْمِنُ بِذَلِكَ كُلِّهِ عَلَى مَا جَاءَ بِلاَ كَيْفٍ، فَلَوْ شَاءَ سُبْحَانَهُ أَنْ يُبَيِّنَ لَنَا كَيْفِيَّةَ ذَلِكَ فَعَلَ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى مَا أَحْكَمَهُ وَكَفَفْنَا عَنْ الَّذِي يَتَشَابَهُ إِذْ كُنَّا قَدْ أُمِرْنَا بِهِ فِي قَوْلِهِ عز وجل: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ**

﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران/٧).[(١)]

---

(١) صفة النزول والمجيء والإتيان، صفات فعلية ثابتة لله عز وجل، من الكتاب والسنة والإجماع، وهي تتعلق بمشيئته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإن أفعال الله عز وجل الاختيارية يثبتها أهل السنة على ما تليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا مما يميز أهل السنة عن غيرهم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والناس في هذا الباب ثلاثة أقسام:

١- الجهمية المحضة من المعتزلة ومن وافقهم: يجعلون هذا كله مخلوقا منفصلا عن الله تعالى.

٢- والكلَّابية ومن وافقهم: يثبتون ما يثبتون من ذلك، إما قديما بعينه لازما لذات الله، وإما مخلوقا منفصلا عنه.

٣- وجمهور أهل الحديث وطوائف من أهل الكلام يقولون: بل هنا قسم ثالث قائم بذات الله متعلق بمشيئته وقدرته كما دلت عليه النصوص الكثيرة. اهـ (الدرء:٢/١٤٨)

ومعنى كلام الجهمية: أن كل ما يضاف إلى الله تعالى هو من باب إضافة المخلوق للخالق، فسمع الله، وبصر الله، وكلام الله، كعبد الله، وبيت الله، وناقة الله.

ومعنى كلام الكلَّابية: أن صفات الله كلها ذاتية لازمة، ليس فيها شيء فعلي متعدي متعلق بالمشيئة، فالله يتكلم ولكن ليس بمشيئته، فكلامه كحياته.

وهذا الذي قالوه من أن صفات الله لازمة له صحيح، إلا أننا نقول: ومن صفاته ما هو متجدد يحدثه الله مرة بعد مرة، فنزول الله عز وجل إلى السماء الدنيا هذا فعل، يحدث في =

=

وقت دون وقت، فكل الأحاديث تقول: ينزل في الشطر الأخير من الليل، أو في النصف، أو عند مرور ثلثاه، ونحو ذلك من الأزمنة، والفعل كما هو معلوم متعلق بالزمن، ولا يجوز أن يقال إن النزول نزول أمره، لأن أمر الله لا وقت له محدد، فهو سبحانه كل يوم هو في شأن، وأوامر القرآن الكريم، نزلت في كل وقت وحين، في الصباح والمساء، في الصيف والشتاء، وغير ذلك من الأوقات.

فأهل السنة يقولون ينزل الله عز وجل كما شاء متى شاء، فهو سبحانه يجيء ويأتي وينزل سبحانه كما يليق بذاته.

وليس لأحد أن يقول: لا أعلم نزولاً إلا بحركة أو مجيء أو إتيان، فإننا نقول: نزل علينا هَمٌّ بالأمس، فكيف نزل؟ وجاءتنا حمى، فكيف جاءت، وآتتنا فكرة، فكيف جاءت، والهم، والحمى، والفكرة كلها مخلوقات، ولا ندري كيفية نزولها أو مجيئها أو إتيانها، ولله المثل الأعلى، فلا يتوهم متوهم أن مجرد إطلاق لفظ على شيئين يقتضي المشابهة أو التمثيل بينهما.

وقد ذكر شيخ الإسلام عن أبي نصر السجزي في [الإبانة] أنه قال: والأصل الذي يجب أن يعلم: أن اتفاق التسميات لا يوجب اتفاق المسمَّيْنِ بها، فنحن إذا قلنا الله موجود رؤوف واحد حي عليم سميع بصير متكلم، وقلنا إن النبي ﷺ كان موجودًا حيًّا عالمًا سميعاً بصيراً متكلماً؛ لم يكن ذلك تشبيهًا. اهـ (الدرء:٢/٨٩).

وقد تواترت السنة النبوية في الدلالة على ذلك، وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث النزول عن تسعة وعشرين صحابي، بين صحيح وضعيف. (مختصر الصواعق المرسلة/٤٢٥:٤٢٦).

=



=

ذكر الإمام الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾، قال ابن جرير الطبري في هذه الآية: ثم اخْتُلِف في صفة إتيان الرب تبارك وتعالى الذي ذكره في قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾:

فقال بعضهم: لا صفة لذلك غير الذي وصَف به نفسه عز وجل من المجيء والإتيان والنزول، وغيرُ جائز تكلُّف القول في ذلك لأحد إلا بخبر من الله جَلَّ جَلَالُهُ، أو من رسول مرسل، فأما القول في صفات الله وأسمائه، فغيرُ جائز لأحد من جهة الاستخراج إلا بما ذكرنا.

وقال آخرون: إتيانه عز وجل، نظيرُ ما يعرف من مجيء الجائي من موضع إلى موضع، وانتقاله من مكان إلى مكان.

وقال آخرون: معنى قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾، يعني به: هل ينظرون إلا أن يأتيهم أمرُ الله، كما يقال: قد خشينا أن يأتينا بنو أمية، يراد به: حُكمهم. (التفسير:٢/٣٦٣).

أما قوله: الأول فهذا قول أهل السنة، والثاني هم الممثلة الذي يمثلون الله عز وجل بمخلوقاته، والثالث هم الكلابية ومن تابعهم من الأشعرية، نزول الرب نزول أمره ورحمته، وهذا صرف للكلام عن حقيقته، فإن الله عز وجل كما ذكرت تنزل رحمته كل ساعة وحين، وكذلك أمره، فلِما خص الله تعالى نزوله في هذا الوقت في ظلل من الغمام دون وقت آخر.

قال الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذكره لعدد من أحاديث النزول: فهذه الأحاديث قد جاءت كلها وأكثر منها في نزول الرب تبارك وتعالى في هذه المواطن، وعلى تصديقها

=



=

والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا، لا ينكرها منهم أحد ولا يمتنع من روايتها، حتى ظهرت هذه العصابة فعارضت آثار رسول الله برد، وتشمروا لدفعها بجد، فقالوا: كيف نزوله هذا؟ قلنا: لم نكلف معرفة كيفية نزوله في ديننا، ولا تعقله قلوبنا، وليس كمثله شيء من خلقه فنشبه منه فعلا أو صفة بفعالهم وصفتهم، ولكن ينزل بقدرته ولطف ربوبيته كيف يشاء، فالكيف منه غير معقول والإيمان بقول رسول الله في نزوله واجب، ولا يسأل الرب عما يفعل كيف يفعل وهم يسألون؛ لأنه القادر على ما يشاء أن يفعله كيف يشاء، وإنما يقال لفعل المخلوق الضعيف الذي لا قدرة له إلا ما أقدره الله تعالى عليه: كيف يصنع؟ وكيف قدر؟ ولو قد آمنتم باستواء الرب على عرشه وارتفاعه فوق السماء السابعة بدءا إذ خلقها كإيمان المصلين به، لقلنا لكم: ليس نزوله من سماء إلى سماء بأشد عليه ولا بأعجب من استوائه عليها، إذ خلقها بدءا، فكما قدر على الأولى منها كيف يشاء، فكذلك يقدر على الأخرى كيف يشاء، وليس قول رسول الله في نزوله بأعجب من قول الله تبارك وتعالى: ﴿**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ**﴾، ومن قوله: ﴿**وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً**﴾، فكما يقدر على هذا يقدر على ذاك، فهذا الناطق من قول الله عز وجل وذاك المحفوظ من قول رسول الله بأخبار ليس عليها غبار، فإن كنتم من عباد الله المؤمنين لزمكم الإيمان بها كما آمن بها المؤمنون، وإلا فصرحوا بما تضمرون، ودعوا هذه الأغلوطات التي تلوون بها ألسنتكم، فلئن كان أهل الجهل في شك من أمركم إن أهل العلم من أمركم لعلى يقين.

قال: فقال قائل منهم: معنى إتيانه في ظلل من الغمام ومجيئه والملك صفا صفا، كمعنى =



=

كذا وكذا.

قلت: هذا التكذيب بالآية صراحا، تلك معناها بَيْنٌ للأمة لا اختلاف بيننا وبينكم وبين المسلمين في معناها المفهوم المعقول عند جميع المسلمين، فأما مجيئه يوم القيامة وإتيانه في ظلل من الغمام والملائكة فلا اختلاف بين الأمة أنه إنما يأتيهم يومئذ كذلك لمحاسبتهم وليصدع بين خلقه ويقررهم بأعمالهم ويجزيهم بها ولينصف المظلوم منهم من الظالم، لا يتولى ذلك أحد غيره تبارك اسمه وتعالى جده، فمن لم يؤمن بذلك لم يؤمن بيوم الحساب.

(الرد على الجهمية/٧٩:٨٠).

قال أبو بكر الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النزول: الإيمان بهذا واجب، ولا يسع المسلم العاقل أن يقول: كيف ينزل؟ ولا يرد هذا إلا المعتزلة.

وأما أهل الحق فيقولون: الإيمان به واجب بلا كيف، لأن الأخبار قد صحت عن رسول الله ﷺ: "**أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ**"، والذين نقلوا إلينا هذه الأخبار هم الذين نقلوا إلينا الأحكام من الحلال والحرام، وعلم الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، فكما قبل العلماء عنهم ذلك كذلك قبلوا منهم هذه السنن، وقالوا: من ردها فهو ضال خبيث، يحذرونه ويحذرون منه. اهـ (الشريعة/٢٤٧)

وقال اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سياق ما روى عن النبي ﷺ في نزول الرب تبارك وتعالى: رواه عن النبي ﷺ عشرون نفساً. اهـ (شرح أصول الاعتقاد:٣/٩١)، ثم ذكر الأدلة بالترتيب.

فهذا إجماع من أئمة الهدى من الصحابة والتابعين، وقد ذكر الإمام الصابوني جملة من الأحاديث في نزول الرب عز وجل تغني عن تكرارها.

=



١٠- أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ زَكَرِيَّا الشَّيْبَانِيُّ، سَمِعْت أَبَا حَامِدٍ بْنَ الشَّرْقِيِّ يَقُولُ: سَمِعْتُ حَمْدَانَ السُّلَمِيَّ وَأَبَا دَاوُدَ الْخَفَّافَ قَالاَ: سَمِعْنَا إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيَّ يَقُولُ: قَالَ لِي الأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ طَاهِرٍ[1]: يَا أَبَا يَعْقُوبَ هَذَا الْحَدِيثُ الَّذِي تَرْوِيهِ عَنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ: "**يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا**" كَيْفَ يَنْزِلُ؟ قَاَلَ: قُلْتُ: أَعَزَّ اللَّهُ الأَمِيرَ، لا يُقَالُ لأَمْرِ الرَّبِّ: كَيْفَ؟ إِنَّمَا يَنْزِلُ بِلاَ كَيْفٍ.

١١- حَدَّثَنَا أَبُو يَعْقُوبَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْعَدْلُ، ثَنَا مَحْبُوبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَاضِيُّ، حَدَّثَنِى جَدِّى أَبُو بَكْرِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَحْبُوبٍ، ثَنَاَ أَحْمَدُ بْنُ حَمَوَيْهِ، ثَنَاَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ العتكي، ثَنَاَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلامٍ، سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ

=

والمقصود أن هذه الصفة من صفات الأفعال، وأهل السنة والجماعة أصحاب الحديث يثبتون لله عز وجل صفات الأفعال بما يليق به سبحانه وتعالى، أما أهل البدع فينفونها، ثم يحتالون بالمجاز والتأويل لردها، ولذلك وقعوا في التعطيل، ومن أفضل ما قرأت في هذا الباب، كلام شيخ الإسلام في (درء التعارض:٢/٣:١٤٧) فقد أفاد وأجاد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(١) أبو العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن رُزيق الخزاعي بالولاء (١٨٢-٢٣٠هـ) تدرج في الولايات في العصر العباسي حتى عينه المأمون أميراً لخراسان وما والاها، فبقى إلى أن توفي بنيسابور، وكان جوادا سخياً. نقلاً من هامش (شرح الأصبهانية/٢١٥، تحقيق د.محمد بن عودة السَّعوي).



الْمُبَارَكِ عَنْ نُزُولِ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: يَا ضَعِيفُ لَيْلَةُ النِّصْفِ! يَنْزِلُ فِي كُلِّ لَيْلَةِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَن كَيْفَ يَنْزِلُ؟ أَلَيْسَ يَخْلُو ذَلِكَ الْمَكَانُ مِنْهُ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: يَنْزِلُ كَيْفَ شَاءَ.

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى هَذِه الْحِكَايَة أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُبَارَكِ قَالَ لِلرَّجُلِ: إِذَا جَاءَكَ الْحَدِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاخْضَعْ لَهُ.

١٢- سَمِعْتُ الحَاكِمَ أبَا عَبدِ اللهِ الحَافِظَ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَنْبَرِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ يَقُولُ: سَمِعْت أَحْمَد بْنَ سَعِيدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الرِّبَاطِيَّ يَقُولُ: حَضَرْتُ مَجْلِسَ الأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ ذَاتَ يَوْمٍ، وَحَضَرَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ -يَعْنِي ابْنُ رَاهَوَيْهِ- فَسُئِلَ عَنْ حَدِيثِ النُّزُولِ: أَصَحِيحٌ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ قُوَّادِ عَبْدِ اللَّهِ: يَا أَبَا يَعْقُوبَ أَتَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ يَنْزِلُ؟ فَقَالَ لَهُ إِسْحَاقُ: أَثْبِتْهُ فَوْق حَتَّى أَصِفَ لَك النُّزُولَ، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَثْبَتُّه فَوْق، فَقَالَ إِسْحَاقُ: قَالَ اللهُ عز وجل: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾ (الفجر/٢٢)، فَقَالَ الأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ: يَا أَبَا يَعْقُوبَ هَذَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ إِسْحَاقُ: أَعَزَّ اللَّهُ الأَمِيرَ وَمَنْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ يَمْنَعُهُ الْيَوْمَ؟

وَخَبَرُ نُزُولِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا خَبَرٌ مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهِ، مُخَرَّجٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ طَرِيقِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ الأَغَرِّ، وَأَبِى



سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.[1]

١٣- أَخْبَرَنَاهُ أَبُو عَلِيٍّ زَاهِرُ بْنُ أَحْمَدَ، ثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ، ثَنَا أَبُو مُصْعَبٍ، ثَنَا مَالِكٌ (ح)،

١٤- وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ زَكَرِيَّا، ثَنَا أَبُو حَاتِمٍ عَلِيُّ بْنُ عُبَيْدَانَ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ: وَفِيمَا قَرَأْتُ عَلَى ابْنِ نَافِعٍ، وَحَدَّثَنِي مُطَرِّفٌ، عَنْ مَالِكٍ (ح)[2]،

---

(١) روي هذا الحديث عن مالك، عن الزهري، عن أبي سلمة، وأبي عبد الله الأغر عن أبي هريرة ما يقرب من خمسة عشر راوٍ كما ذكره محقق كتاب النزول الشيخ أبو محمد أحمد شحاته المسمى [التعليق المأمول على كتاب النزول] وهم:

١- عبد الله بن وهب المصري. ٢- عبد الله بن مسلمة القعنبي.

٣- عبد الرحمن بن قاسم. ٤- معن بن عيسى القزاز.

٥- يحيي بن عبد الله بن بكير. ٦- يحيي بن مالك بن أنس.

٧- يحيي بن يحيي النيسابوري. ٨- إسحاق بن عيسى بن الطباع.

٩- إسماعيل الأويسي. ١٠- جويرية بن أسماء.

١١- عبد الرحمن بن مهدي. ١٢- عبد العزيز الأويسي.

١٣- قتيبة بن مسلم القعنبي. ١٤- مصعب بن عبد الله الزبيري.

١٥- أبو مصعب الزهري.

(٢) ذكره ابن عبد البر في (التمهيد :٦/١٣٤) من طريق جامع بن سوادة، وفيه أن =



١٥- وَحدَّثَنا أَبُو بَكْرِ بْنُ زَكَرِيَّا، أَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ بَالويَه، ثَنَا يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ، ثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الأَغَرِّ، وَأَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ"**.[1]

وَلِهَذَا الْحَدِيثِ طُرُقٌ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ:

رَوَاهُ الأَوْزَاعِيُّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (ح)،

وَرَوَاهُ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ وَغَيْرُه مِنْ الأَئِمَّةِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

وَمَالِكٌ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.[2]

=

مالكًا قال: يتنزل أمره، وجامع هذا ضعيف، ضعفه الدارقطني (لسان الميزان:٢/٤١٥)، وهذه الزيادة عن مالك هي خلاف ما ثبت عن مالك، بل الإمام مالك ثبت عنه بالتواتر أنه يعتقد نزول الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بما يليق بذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(١) مسلم (٧٥٨).

(٢) خطأ: ليس الأعرج عن أبي هريرة، إنما هو الأغر، كما ذكره الدارقطني في

=



وَمَالِكٌ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِى سَعِيدٍ الْمَقْبُرِىِّ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ.

وَعَبْدُ الأَعْلَى بْنُ أَبِى الْمُسَاوِرِ، وَبَشِيرُ بْنُ سَلْمَانَ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

وَرَوَاهُ نَافِعُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ.

وَمُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ.

وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ.

وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِى رَافِعٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِى طَالِبٍ.

وَشَرِيكٌ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِى الأَحْوَصِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ.

وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ، عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ.

وَأَبُو الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ.

وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَعَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ.

وَأُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

=

(العلل:٩/٢٣٦)، وقد ذكره في (النزول/١٨٢) قال: ورواه أبو داود الطيالسي، عن إبراهيم بن سعد، عن الزهري عن أبي سلمة والأغر.

وَهَذِهِ الطُّرُقُ كُلُّهَا مُخَرَّجَةٌ بِأَسَانِيدِهَا فِي كِتَابِنَا الْكَبِيرِ الْمَعْرُوفِ بالانْتِصَارِ.

وَفِي رِوَايَةِ الأَوْزَاعِيِّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِى كَثِيرٍ، عَنْ أَبِى سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: "**إِذَا مَضَى نِصْفُ اللَّيْلِ أَوْ ثُلُثَاهُ؛ يَنْزِلُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَيُعْطَى؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيُسْتَجَابُ لَهُ؟ هل من مُسْتَغْفِرٍ فيُغْفَرَ لَهُ؟ حتى ينفجرَ الصبحُ**".(1)

وَفِي رِوَايَةِ سَعِيدِ بْنِ مُرْجَانَةِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ زِيَادَةً فِي آخِرِهِ وَهِيَ: "ثُمَّ يَبْسُطُ يَدَيْهِ، فَيَقُولُ: مَنْ يُقْرِضُ غَيْرَ عَدُومٍ وَلا ظَلُومٍ".(2)

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: "**إِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فِي ثُلُثِ اللَّيْلِ الأَخِيرِ، فَيُنَادِي هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيهِ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرُ لَهُ؟ فَلاَ يَبْقَى شَيْءٌ فِيهِ الرُّوحُ إِلَّاَ عَلِمَ بِهِ، إِلَّاَ الثَّقَلَيْنِ الْجِنَّ وَالإِنْسَ، قَاَلَ: وَذَلِكَ حِينَ يصيح الدِّيُوكُ، وَتَنْهَقُ الْحَمِيرُ، وَتَنْبَحُ الْكِلاَبُ**".(3)

وَرَوَى هِشَامٌ الدَّسْتَوَائِيُّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِى كَثِيرٍ، عَنْ هِلاَلِ بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ

---

(١) صحيح: مسلم (٧٥٨).

(٢) صحيح: مسلم (٧٥٨).

(٣) ذكره الديلمي في (الفردوس بمأثور الخطاب:٥/٢٥٥) عن عبادة بن الصامت بلفظ: "وذلك حين ينهق الحمار وتنبح الكلاب ويصيح الديك"، وعزاه المحقق إلى (جمع الجوامع:١/١٠١٦)، والطبراني في (الكبير).

عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ رِفَاعَةَ الْجُهَنِيِّ، حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "**إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ أَوْ شَطْرُ اللَّيْلِ أَوْ ثُلُثَاهُ؛ يَنْزِلُ اللهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: لا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي غَيْرِي، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي أُعْطِيهِ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ**".[(١)]

١٦- أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْمَجلَدِيُّ، أَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ السَّرَّاجُ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنِ يَحْيَى، ثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ الأَغَرِّ قَالَ: أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَنَا أَشْهَدُ عَلَيْهِمَا أَنَّهُمَا سَمِعَا النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "**إِنَّ اللَّهَ يُمْهِلُ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَوَّلُ هَبَطَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ مُذْنِبٍ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ؟ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ**".[(٢)]

١٧- أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ المَجْلَدِيُّ، ثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الثَّقَفِيُّ، ثنا الْحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ، ثَنَا شَبَابَةُ بْنُ ثوار، عَنْ يُونُسَ بْنِ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ الأَغَرِّ قَالَ: أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُمَا قَالاَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**إِنَّ اللَّهَ يُمْهِلُ حَتَّى إِذَا كَانَ ثُلُثُ الليْلِ هَبَطَ إِلَى هَذِهِ السَّمَاءِ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِ السَّمَاءِ**

---

(١) صحيح: اللالكائي (شرح أصول الاعتقاد/ ٧٥٤).

(٢) صحيح: مسلم (٧٥٨).

فَفُتِحَتْ، فَقَالَ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيهِ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأُجِيبُه؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَاغْفِرُ لَه؟ هَلْ مِنْ مُضْطَرٍ أَكْشِفُ عَنْهُ ضُرُّه؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغِيثٍ أُغِيثُه؟ فَلاَ يَزَالُ ذَلِكَ مَكَانُه حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ الْدُّنْيَا".[(١)]

١٨- أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ المَجْلَدِيُّ، أَنْبَا أَبُو الْعَبَّاسِ -يَعْنِي الثَّقَفِيَّ-، ثَنَا مُجَاهِدُ بْنُ مُوسَى وَالْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ قَالاَ: ثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، ثَنَا شَرِيكٌ، عَنْ أَبِى إِسْحَاقَ، عَنْ الأَغَرِّ أَنَّهُ شَهِدَ عَلَى أَبِى هُرَيْرَةَ وَأَبِى سَعِيدٍ أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **"إِذَا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ نَزَلَ تَبارَكَ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَقَالَ: أَلاَ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى سُؤْلَهُ؟ أَلاَ هَلْ مِنْ تَائِبٍ يُتَابُ عَلَيْه؟"**.[(٢)]

١٩- حَدَّثَنَا الأُسْتَاذُ أَبُو مَنْصُورٍ بْنُ حَمادَ، ثَنَا أَبُو عَلِيٍّ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي الضمَا ببَغْدَادَ، ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورِ الرَّمَادِيُّ، ثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِى صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"يَنْزِلُ اللهُ تَعَالَى**

---

(١) صحيح: وفيه زيادات تفرد بها يونس بن إسحاق من دون أصحابه، وهي: **"أَمَرَ بِأَبْوَابِ الْسَّمَاءِ فَفُتِحَتْ"**، **"هَلْ مِنْ مُضْطَرٍ أَكْشِفُ عَنْهُ ضُرُّه؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغِيثٍ أُغِيثُه؟ فَلاَ يَزَالُ ذَلِكَ مَكَانُه حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ الْدُّنْيَا"**. نقلاً من (ط ابن عباس).

(٢) فيه شريك بن عبد الله، قال ابن حجر: صدوق يخطئ.

فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الْمَلِكُ ثَلاَثًا، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ فَلاَ يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ".[1]

٢٠- سَمِعْتُ الأُسْتَاذُ أَبُو مَنْصُورِ عَلَى إِثْرِ هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي أَمْلاَهُ عَلَيْنَا، سُئل أَبُو حَنِيفَةَ عَنْهُ، فَقَالَ: يَنْزِلُ بِلاَ كَيْفٍ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَنْزِلُ نُزُولاً يَلِيقُ بِالرُّبُوبِيَّةِ بِلاَ كَيْفٍ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ نُزُولَهُ مِثْلُ نُزُولِ الْخَلْقِ (بِالتَّخَلِّي)[2] والتَّمَلِّي، لأَنَهُ ﷻ مُنَزَّهٌ أَنْ تكُونَ صِفَاتُهُ مِثْلَ صِفَاتِ الْخَلْقِ، كَمَا كَانَ مُنَزَّهاً أَنْ تَكُونَ ذَاَتُهُ مِثْلَ ذَوَاتِ الْخَلْقِ، فَمَجِيئِه وَإِتْيَانِهِ وَنُزُولِهِ عَلَى حَسَبِ مَا يَلِيقُ بِصِفَاتِهِ، مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهٍ وَكَيْفٍ.[3]

٢١- وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ فِي كِتَابِ التَّوْحِيدِ الَّذِي صَنَّفَهُ، وَسَمِعْتُ مِنْ حَافِدِهِ أَبِي طَاهِرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[4]: بَابُ ذِكْرِ أَخْبَارٍ ثَابِتَةِ

---

(١) صحيح: مسلم (٧٥٨).

(٢) ضبطها محقق (الأسماء والصفات) الشيخ محمد محب الدين أبو زيد: بالتخلي والتمكن، وفي حاشية ابن القيم على أبي داود (٤/ ٢٠٠) بالتجلي والتمكن، والله أعلم.

(٣) قوله: بِالتَّخَلِّي والتَّمَلِّي: أي لا يخلو من مكان ويملأ مكان آخر، كما يقول أهل الحلول والاتحاد، ومن يقول: يخلو منه العرش، والله أعلم.

(٤) محمد بن الفضل بن محمد بن خزيمة. (لسان الميزان:٧/ ٤٤١).

السَّنَدِ رَوَاهَا عُلَمَاءُ الْحِجَازِ وَالْعِرَاقِ فِي نُزُولِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى) إِلَى السَّمَاءِ الْدُّنيا كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ غَيْرِ صِفَةِ كَيْفِيَّةِ النُّزُولِ مَعَ إِثْبَاتِ النُّزُولِ، فَنَشْهَدُ شَهَادَةَ مُقِرٌّ بِلِسَانِه، مُصَدِّقٌ بِقَلْبِهِ، مُسْتَيْقِنٌ بِمَا فِي هَذِهِ الأَخْبَارِ مِنْ ذِكْرِ النُّزُولِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ نَصِفَ الْكَيْفِيَّةَ، لأَنَّ نَبِيَّنَا ﷺ لَمْ يَصِفْ لَنَا كَيْفِيَّةَ نُزُولِ خَالِقِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْدُّنيَا، وَأَعْلَمَنَا أَنَّهُ يَنْزِلُ، وَاللهُ عز وجل وَلِىَ نَبِيَّهُ ﷺ بَيَانَ مَا بِالْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِ الْحَاجَة مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ، فَنَحْنُ قَائِلُونَ مُصَدِّقُونَ بِمَا فِي هَذِهِ الأَخْبَارِ مِنْ ذِكْرِ النُّزُولِ، غَيْرَ مُتَكَلِّفِينَ لِلْنزُولِ بِصِفَةِ الْكَيْفِيَّةِ، إِذْ الْنَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَصِفْ كَيْفِيَّةَ النُّزُولِ.[١]

٢٢- أَخْبَرَنَا الحَاكِمُ أَبُو عَبْدُ اللَّهِ الْحَافِظُ، ثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الصَّيْدَلانِيُّ، ثنا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ الْجُنَيْد، ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ الْمِصْرِىُّ، ثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَنَا مَخْرَمَةُ بْنُ بُكَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ (ح)،

٢٣- وَأَخْبَرَنَا الحَاكِمُ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الأَصَمُّ وَاللَّفْظُ لَهُ، ثَنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُنْقِذٍ، ثَنَا بْنُ وَهْبٍ، عَنْ مَخْرَمَةَ بْنِ بُكَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الْمُنْكَدِرِ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَمِعَ أُمَّ سَلَمَةَ زَوْجَ النَّبِىِّ ﷺ تَقُولُ: نِعْمَ الْيَوْمُ يَوْمُ يَنْزِلُ اللَّهُ تعالى فِيهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالُوا: وَأَيَّ يَوْمٍ؟ قَالَتْ: يَوْمُ عَرَفَةَ.[٢]

---

(١) (التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل/ ٢٤١).

(٢) صحيح: اللالكائي (شرح أصول الاعتقاد/٧٦٨).

وَرَوَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "**يَنْزِلُ اللهُ تَعَالَى فِي النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا لَيْلاً إِلَى آخِرِ النَّهَارِ مِنْ الْغَدِ، فَيَعْتِقِ مِنْ النَّارِ بِعَدَدِ شَعْرِ مَعْزِ كَلْبٍ، وِيَكْتُبُ الْحَاجَ، وِيُنْزِلُ أَرْزَاقَ السَّنَةِ، وَلاَ يَتْرُكُ أَحَداً إِلاَ غَفَرَ لَهُ إِلاَ مُشْرِكاً أَوْ قَاطِعَ رَحِمٍ أَوْ عَاقّاً أَوْ مُشَاحِناً**".[1]

٢٤- أَخْبَرَنَا أَبُو طَاهِرِ بْنُ خُزَيْمَةَ، أَنْبَأَنَا جَدِّي الإِمَامُ، ثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الزَّعْفَرَانِيُّ، ثنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُلَيَّةَ، عَنْ هِشَامٍ الدَّسْتُوَائِيِّ (ح)

قَالَ الإِمَامُ: وَحَدَّثَنَا الزَّعْفَرَانِيُّ، ثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ بَكْرٍ السَّهْمِيُّ، ثَنَا هِشَامُ الدَّسْتُوَائِيُّ، وَحَدَّثَنَا الزَّعْفَرَانِيُّ، ثَنَا يَزِيدُ -يَعْنِي- بْنُ هَارُونَ، أَنَا الدَّسْتُوَائِيُّ (ح)

٢٥- وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَيْمُونٍ بِالأَسْكَنْدَرِيَّةِ، ثنا الْوَلِيدُ، عَنِ الأَوْزَاعِيِّ جَمِيعاً، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، حَدَّثَنِي رِفَاعَةُ بْنُ عَرَابَةَ الْجُهَنِيُّ (ح)

قَالَ الإِمَامُ، وَحَدَّثَنَا أَبُو هِشَامٍ زِيَادُ بْنُ أَيُّوبَ، ثَنَا مُبَشِّرُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْحَلَبِيُّ، عَنِ الأَوْزَاعِيِّ، حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ، حَدَّثَنِي هِلاَلُ بْنُ أَبِي مَيْمُونَةَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، حَدَّثَنِي رِفَاعَةُ بْنُ عَرَابَةَ الْجُهَنِيُّ قَالَ: صَدَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ

---

(١) ضعيف جدا: الترمذي (٧٣٩)، وضعفه الألباني.

ﷺ مِنْ مَكَّةَ، فَجعَلَ النَّاسُ يَسْتَأْذِنُونَ النَّبِيَّ ﷺ، فَجعَلَ يَأْذَنُ لَهُم فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "مَا بَالُ شِقِّ الشَّجَرَةِ الَّذِي يَلِي رَسُولَ اللهِ ﷺ أَبْغَضُ إِلَيْكُمْ مِنَ الآخَرِ"، فَلا يُرَى مِنَ الْقَوْمِ إِلَّا بَاكِيًا، قَالَ: يَقُولُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: إِنَّ الَّذِي يَسْتَأْذِنُكَ بَعْدَهَا لَسَفِيهٌ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَكَانَ إِذَا حَلَفَ قَالَ: **"وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، أَشْهَدُ عِنْدَ اللهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، ثُمَّ يُسَدِّدُ إِلَّا سُلِكَ بِهِ فِي الْجَنَّةِ، وَلَقَدْ وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ مِنْ أُمَتِي الْجَنَّةَ سَبْعِينَ أَلْفاً بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلاَ عَذَابٍ، وَإِنِّي لأَرْجُوْ أَنْ لاَ يَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْمِنُوا وَمَنْ صَلحَ مِنْ أَزْوَاجِهِم وَذُرِّيَّاتِهِمْ مَسَاكِنكُمْ فِي الْجَنَّةِ"**، ثُمَّ قَالَ ﷺ: **"إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ أَوْ قَالَ: ثُلُثَاهُ، يَنْزِلُ اللَّهُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَقُولُ: لا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي غَيْرِي، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأُجِيبَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ"**.[1] هَذَا لَفظُ حَدِيثِ الْوَلِيدِ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ: قُلْتُ: فَلَمَّا صَحَّ خَبَرُ النُّزُولِ عَنْ الرَّسُولِ ﷺ؛ أَقَرَّ بِهِ أَهْلُ السُّنَّةِ، وَقَبِلُوا الْخَبَرَ، وَأَثْبَتُوا النُّزُولَ عَلَى مَا قَالَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَمْ يَعْتَقِدُوا تَشْبِيهاً لَهُ بِنزُولِ خَلْقِهِ، وَعَلِمُوا وَتَحَقَّقُوا وَاعْتَقَدُوا أَنَّ صِفَاتِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لاَ تُشْبِهُ صِفَاتَ الْخَلْقِ، كَمَا أَنَّ ذَاتَهُ لاَ تُشْبِهُ ذَوَاتَ الْخَلْقِ، تَعَالَى اللهُ عَمَّا

---

(١) صحيح: أخرجه الدارقطني (الرؤية/١٠٢: ١٠٦).



يَقُولُ الْمُشَبِّهَةُ وَالْمُعَطِّلَةُ عُلوًّا كَبِيرًا، وَلَعَنَهُم الله لَعْنًا كَبِيرًا.

وَقَرَأْتُ لأَبِى عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي حَفْصٍ الْبُخَارِيُّ، وَكَانَ شَيخَ بُخَارَىَ فِي عَصْرِه بِلاَ مُدَافَعَةٌ، وَأَبُو حَفْصٍ كَانَ مِنْ كِبارِ أَصْحَابِ مُحَمَّدِ بْنِ الحَسَنِ الشَّيْبَانِيُّ، قَالَ أَبْو عَبْدِ اللهِ -أَعْنِي بْنُ أَبِى حَفْصٍ-: هَذَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُثْمَانَ وَهُوَ عَبْدَان شَيْخُ مَرْو يَقُولُ: سَمِعْتُ مُحَمَّدُ بْنُ الحَسَنِ الشَّيْبَانِيُّ يَقُولُ: قَالَ حَمَّادُ بْنُ أَبِي حَنِيفَةَ: قُلْنَا لِهَؤُلاَءِ: أَرَأَيْتُم قَوْلَ اللهِ عز وجل: ﴿**وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً**﴾؟ قَالُوا: أَمَّا الْمَلاَئِكَةُ فَيَجِيئُونَ صَفًا صَفًا، وَأَمَّا الرَّبُّ تَعَالَى فَإِنَّا لاَ نَدْرِي مَا عَنَيَ بِذَلِك، وَلاَ نَدْرِي كَيْفَ جِيئَتُه، فَقُلْنَا لَهُمْ: إِنَّا لَمْ نُكَلِّفْكُم أَنْ تَعْلَمُوا كَيْفَ جِيئَتُه، وَلَكِنَّا نُكَلِّفَكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِمَجِيئِه، أَرَأَيْتُمْ مَنْ أَنْكَرَ أَنَّ (الْمَلَكَ لاَ يَجِيءُ صَفًّا صَفًّا)[١]؛ مَا هُو عِنْدَكُم؟ قَالُوا: كَافِرٌ مُكَذِّبٌ، قلنا: فَكَذَلِكَ مَنْ أَنْكَرَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ (لاَ يَجِيءُ)[٢]؛ فَهُو كَافِرٌ مُكَذِّبٌ.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ أَبِي حَفْصٍ الْبُخَارِيُّ أَيْضاً فِي كِتَابِهِ: ذَكَرَ إِبْرَاهِيمُ عَنْ

---

(١) هكذا في جميع النسخ، والصواب حذفها، فيكون السياق: (أرأيتم مَنْ أنكرَ أنَّ الملكَ يَجِيءُ صَفًّا صَفًّا مَا هوَ عَنْدَكُم؟ قَالُوا: كَافرٌ مُكَذِّبٌ).

(٢) هكذا في جميع النسخ، والصواب حذفها، فيكون السياق: (فَكَذَلِكَ مَنْ أَنْكَرَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَجِيءُ؛ فَهُو كَافِرٌ مُكَذِّبٌ).

الأَشْعثِ قَالَ: سَمِعْتُ الْفُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ يَقُولُ: إِذَا قَالَ لَكَ الْجَهْمِيُّ: أَنَا لاَ أَؤْمِنُ بِرَبٍ يَزُولُ عَنْ مَكَانِهِ، فَقُلْ أَنْتَ: أَنَا أَؤْمِنُ بِرَبٍ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ.

وَرَوَى يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ فِي مَجْلِسه حَدِيثَ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فِي الرُّؤْيَةِ، وَقَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: "**إِنَّكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَى رَبِّكُمْ كَمَا تَنْظُرُونَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ**".(١)

فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ فِي مَجْلِسِهِ: يَا أَبَا خَالِد: مَا مَعْنَى هَذَا الحَدِيثِ؟ فَغَضِبَ وَحَرِدَ، وَقَالَ: مَا أَشْبَهَكَ بِصَبِيغٍ(٢)، وَأَحْوَجَكَ إِلَى مِثْلِ مَا فُعِلَ بِهِ! وَيْلَكَ! وَمَنْ يَدْرِي كَيْفَ هَذَا؟ وَمَنْ يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُجَاوِزَ هَذَا الْقَوْلَ الَّذِي جَاءَ بِهِ الْحَدِيثُ، أَوْ يَتَكَلَّمَ فِيهِ بِشَيْءٍ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ، وَاسْتَخَفَّ بِدِينِهِ؟ إِذَا سَمِعْتُم الْحَدِيثَ (عَنْ)(٣) رَسُولِ اللهِ ﷺ فَاتَّبِعُوهُ، وَلاَ تَبْتَدِعُوا فِيهِ، فَإِنكُمْ إِنْ اتبَعْتُمُوه

---

(١) أي بسهولة، كسهولة رؤية القمر ليلة البدر، فالمشابهة هنا للرؤية لا للمرئي.

(٢) صَبِيغ: بوزن (عَظِيم) ابن عسل، قال أبو أحمد العسكري: اتهمه عمر برأي الخوارج. (الإصابة:٥/١٦٨:١٦٩)، وقد روي أنه تاب؛ حيث روى عبد الرزاق عن معمر قال: خرجت الحرورية فقيل لصبيغ: إنه قد خرج قوم يقولون كذا وكذا، قال: هيهات! قد نفعني الله بموعظة الرجل الصالح. (المصنف:١١/٤٢٦)، و(التنبيه والرد للملطي:١٨١)، نقلاً من هامش (الشريعة للآجري:١/٢٨٦، تحقيق الدكتور عبد الله الدميجي).

(٣) في (أ) [من].

وَلَمْ تُمَارُوا فِيهِ سَلِمْتُم، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا هَلَكْتُمْ.

وَقِصَّةُ صَبِيغٍ الَّذِي قَالَ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ لِلْسَائِلِ: مَا أَشْبَهَكَ بِصَبِيغٍ وَأَحْوَجَكَ إِلَى مِثْلِ مَا فُعِلَ بِهِ: هِيَ مَا رَوَاهُ يَحْيَى بْنُ سَعِيد، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، أَنَّ صَبِيغًا التَّمِيمِيَّ أَتَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخبِرْنِي عَنْ (الذَّارِيَاتِ ذَرْواً)؟ قَالَ: هِيَ الرِّيَاحُ، لَوْلاَ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولَه مَا قُلْتُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ اَلْحَامِلاَتِ وِقْراً؟ قَالَ: هِيَ الْسِّحَابُ، وَلَوْلاَ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولَه مَا قُلْتُهُ، قَالَ: فَأَخبِرْنِي عَنْ الْمُقَسِّمَاتِ أَمْرَاً؟ قَالَ: الْمَلاَئِكَةُ، وَلَوْلاَ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولَه مَا قُلْتُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْجَارِيَاتِ يُسْرَاً؟ قَالَ: هِيَ الْسُّفُنِ، وَلَوْلاَ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولَه مَا قُلْتُهُ، قَالَ: ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَضُرِبَ مِائَةَ سَوْطٍ، ثَمَّ جَعَلَهُ فِي بَيْتٍ حَتَّى إِذَا بَرَأَ دَعَا بِهِ، ثُمَّ ضَرَبَهُ مِائَةَ سَوْطٍ أُخْرَى، ثُمَّ حَمَلَهُ عَلَى قَتْبٍ[١]، وَكَتَبَ إِلَى أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيَّ: أَنْ حَرِّمْ عَلَيْهِ مُجَالَسَةَ الْنَّاسَ لَهُ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى أَتَى أَبَا مُوسَى الأَشْعَرِيَّ، فَحَلَفَ بالأَيْمَانِ الْمُغَلَّظَةِ مَا يَجِدُ فِي نَفْسِهِ مِمَا كَانَ يَجِدُهُ شَيْئَاً، فَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ يُخْبِرَهُ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ: مَا إِخَالُهُ إِلَّا قَدْ صَدَقَ، خَلِّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُجَالَسَةِ الْنَّاسِ.

---

(١) إكاف البعير.



وَرَوَى حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ قَطَنِ بْنِ كَعْبٍ، سَمِعْتُ رَجُلاً مِنْ بَنِي عِجْلٍ يُقَالُ لَهُ: خَالِدُ بْنُ زُرْعَة يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: رَأَيْتُ صَبِيغَ بْنَ عَسَلٍ بِالْبَصْرَةِ كَأَنَّهُ بَعِيرٌ أَجْرَبُ، يَجِيءُ إِلَى الحِلَقِ فَكُلَّمَا جلَسَ إِلَى قَوْمٍ لاَ يَعْرِفُونَهُ نَادَاهُمْ أَهْلَ الْحَلَقَةِ الأُخْرَى: عَزَمَةُ[1] أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ.

وَرَوَى حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ أَيْضاً، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ أَنَّ رَجُلاً مِنْ بَنِي تَمِيمَ يُقَالُ لَهُ صَبِيغُ، قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَكَانَتْ عِنْدَهُ كُتُبٌ فَجَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ وَقَدْ أَعَدَّ لَهُ عَرَاجِينَ النَّخْلِ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ جلَسَ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ صَبِيغٌ، قَالَ عُمَرُ: وَأَنَا عَبْدُ اللَّهِ عُمَرُ، ثُمَّ أَهْوَى إِلَيْهِ فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ بِتِلْكَ الْعَرَاجِينِ، فَمَا زَالَ يَضْرِبُهُ حَتَّى شَجَّهُ، فَجَعَلَ الدَّمُ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَدْ وَاللَّهِ ذَهَبَ مَا كُنْتُ أَجِدُ فِي رَأْسِي.

٢٦- أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُوسَى السُّلَمِيُّ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَحْمُودٍ الْفَقِيهُ الْمَرْوَزِيُّ بِهَا، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَيْرٍ الرَّازِيُّ، ثَنَا أَبُو يَحْيَى زَكَرِيَّا بْنُ أَيُّوبَ الْعَلَّافُ التُّجِيبِيُّ، ثَنَا يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الأَعْلَى، ثَنَا أَشْهَبُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، سَمِعْت مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ يَقُولُ: إِيَّاكُمْ وَالْبِدَعَ، قِيلَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، وَمَا الْبِدَعُ؟

---

(١) أمر أمير المؤمنين الملزم إيجابه.



قَالَ: أَهْلُ الْبِدَعِ الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَكَلاَمِهِ وَعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَلاَ يَسْكُتُونَ عَمَّا سَكَتَ عَنْهُ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ.

٢٧- أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ الزَّاهِدُ الْخَفَّافُ، أَنَا أَبُو نُعَيْمٍ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَدِيٍّ الْفَقِيهُ، ثَنَا الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ، سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: لَئِنْ يَلْقَى اللَّهَ الْعَبْدُ بِكُلِّ ذَنْبٍ مَا خَلاَ الشِّرْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَلْقَاهُ بِشَيْءٍ مِنْ الأَهْوَاءِ.

٢٨- أَخْبَرَنَا أَبُو طَاهِرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ، حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرُو الْحِيْرِي، ثَنَا أَبُو الأَزْهَرِ، ثَنَا قَبِيصَةُ، ثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بُرْقَانٍ قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ شَيْءٍ مِنْ الأَهْوَاءِ، فَقَالَ: الْزَمْ دِينَ الْصَبِيِّ فِي الْكُتَّابِ وَالأَعْرَابِيَّ، وَالْهُ عَمَّا سُوَى ذَلِكَ.

٢٩- أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدِ، سَمِعْتُ أَبَا يَحْيَى الْقَزَّازَ يَقُولُ: سَمِعْتُ الْعَبَّاسَ بْنَ حَمْزَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي الْحَوَارِيِّ يَقُولُ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَة يَقُولُ: كُلُّ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ فَتَفْسِيرُهُ تِلاَوَتُهُ وَالسُّكُوتُ عَنْهُ.

٣٠- أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ الْخَفَّافُ، ثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ السَّرَّاجُ، ثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِى الْحَارِثِ، ثَنَا الْهَيْثَمُ بْنُ خَارِجَةَ، سَمِعْتُ الْوَلِيدَ بْنَ مُسْلِمٍ قَالَ: سَأَلْتُ الأَوْزَاعِيَّ، وَسُفْيَانَ، وَمَالِكَ بْنَ أَنَسٍ عَنْ هَذِهِ الأَحَادِيثِ فِي

الصِّفَاتِ وَالرُّؤْيَةِ قَالَ: أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلاَ كَيْفٍ.

قَالَ الإِمَامُ الزُّهْرِيُّ إِمَامُ الأَئِمَّةِ فِي عَصْرِهِ، وَعَيْنُ عُلَمَاءِ الأُمَّةِ فِي وَقْتِهِ: عَلَى اللَّهِ الْبَيَانُ، وَعَلَى الرَّسُولِ الْبَلاغُ، وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ.

وَعَنْ بَعْضِ السَّلَفِ: قَدَمُ الإِسْلاَمِ لاَ يَثْبُتُ إِلَّاَ عَلَى قَنْطَرَةِ التَّسْلِيمِ.

٣١- أَخْبَرَنَا أَبُو طَاهِرِ بْنُ خُزَيمَةَ، حَدَّثَنَا جَدِّي الإِمَامُ، ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ نَصْرٍ، ثنَا أَبُو يَعْقُوبَ الْحَسَنِيُّ، ثَنَا كَثِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"إِن هَذَا الدِّين بَدَأَ غَرِيباً، وَسَيَعُودُ غَرِيباً كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ" قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: "الَّذِينَ يُحْيُونَ سُنَّتِي مِنْ بَعْدِي، وِيُعَلِّمُونَهَا عِبَادَ اللهِ"**.[1]

٣٢- أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ، سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ الْمُكَارِيَ يَقُولُ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَقُولَ: سَمِعْتُ أَبَا عُبَيْدٍ الْقَاسِمَ بْنَ سَلَّام يَقُولُ: الْمُتَّبِعُ لِلسُّنَّةِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ، وَهُوَ الْيَوْمُ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ ضَرْبِ السَّيْفِ فِي سَبِيلِ اللهِ.

وَرُوِيَ عَنْ الأَعْمَشِ، عَنِ أَبِي الضُّحَى، عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى عَبْدِ اللهِ

---

(١) ضعيف: رواه الطبراني (الكبير:١٦/١٧)، فيه كثير بن عبد الله أبو هاشم وهو متروك، وشطر الحديث الأول صح عن أبي هريرة. نقلاً من هامش (شرف أصحاب الحديث للخطيب/٤٨).

بْنِ مَسْعُودٍ فقَاَلَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ عَلِمَ شَيْئًا فَلْيَقُل بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ: اللَّهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لاَ يَعْلَمُ اللَّهُ أَعْلَمُ، قَالَ اللَّهُ عز وجل لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ (ص/٨٦).

٣٣- أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ، ثنا أَبُو الْعَبَّاسِ الْمَعْقِلِيُّ، ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ الْعُطَارِدِيُّ، حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ الضَّبِّيُّ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ نَظَرًا شَدِيدًا، فقَاَلَ: إِنَّكَ لَتَنْظُرُ إِلَيَّ نَظَرًا مَا كُنْتَ تَنْظُرُهُ إِلَيَّ وَأَنَا بِالْمَدِينَةِ، فَقُلْتُ: لِتَعَجُّبِي، فقَاَلَ: وَمِمَّا تَعْجَبُ؟ قَاَلَ: قُلتُ: لِمَا حَالَ مِنْ لَوْنِكَ، وَنَحَلَ مِنْ جِسْمِكَ، وَنَفَى مِنْ شَعْرِكَ؟

قَالَ: كَيْفَ وَلَوْ رَأَيْتَنِي بَعْدَ ثَلاَثَةٍ فِي قَبْرِي، وَقَدْ سَالَتْ حَدَقَتَايَ عَلَى وَجْنَتَيَّ، وَسَالَ مِنْخَرَايَ فِي فَمِي صَدِيدًا؟ كُنْتَ لِي أَشَدَّ نُكْرَةً، حَدِّثْنِي حَدِيثًا كُنْتَ حَدَّثْتَنِيهِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ؟ قَاَلَ: قُلْتُ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ يَرْفَعُ الْحَدِيثَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ شَرَفًا، وَأَشْرَفُ الْمَجَالِسِ مَا اسْتُقْبِلَ بِهِ الْقِبْلَةُ، لاَ تُصَلُّوا خَلْفَ نَائِمٍ وَلاَ مُحَدِّثٍ، وَاقْتُلُوا الْحَيَّةَ وَالْعَقْرَبَ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي صَلاَتِكُمْ، وَلاَ تَسْتُرُوا الْجُدُرَ بِالثِّيَابِ، وَمَنْ نَظَرَ فِي كِتَابِ أَخِيهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ، فَإِنَّمَا يَنْظُرُ فِي النَّارِ، أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟" قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: **"الَّذِي يَجْلِدُ عَبْدَهُ، وَيَمْنَعُ رِفْدَهُ، وَيَنْزِلُ وَحْدَهُ، أَفَلا أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ؟ الَّذِي**

يُبْغِضُ النَّاسَ وَيُبْغِضُونَهُ، أَفَلا أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ؟ الَّذِي لاَ يَقِيلُ عَثْرَةً، وَلا يَقْبَلُ مَعْذِرَةً، وَلا يَغْفِرُ ذَنْبًا، أَوَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ؟ الَّذِي لاَ يُرْجَى خَيْرُهُ، وَلاَ يُؤْمَنُ شَرُّهُ، مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ فَلْيَتَوَكَّل عَلَى اللهِ، وَمَنْ أَحَبَ أَنْ يَكُونَ أَغْنَى النَّاسِ فَلْيَكُنْ بِمَا فِي يَدِ اللهِ أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِ غَيْرِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَكْرَمُ النَّاسِ فَلْيَتَقِّ اللهَ، إِنْ عِيسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قَامَ فِي قَوْمِهِ فَقَالَ: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تكَلَّمُوا بِالْحِكْمَةِ عِنْدَ الْجُهَّالِ فَتظْلِمُوهَا، وَلاَ تمْنَعُوهَا أَهْلَهَا فَتَظْلِمُوهُمْ، وَلاَ تَظْلِمُوا، وَلاَ تُكافِئُوا ظَالِمًا بِظُلْمِهِ؛ فَيَبْطُلَ فَضْلُكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ، الأُمُرُ ثَلاَثَةٌ: أَمْرٌ بَيِّنٌ رُشْدُهُ فَاتَّبِعُوهُ، وَأَمْرٌ بَيِّنٌ غَيُّهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَأَمْرٌ اخْتُلِفَ فِيهِ فَكِلُوهُ إِلَى اللهِ عز وجل ". [1]

---

(١) أورده البيهقي (السنن الكبرى:٧/ ٤٤٤)، وقال: ورُوي ذلك أيضا عن هشام بن زياد أبي المقدام عن محمد بن كعب، وروي من وجه آخر منقطع عن محمد بن كعب، ولم يثبت في ذلك إسناد.



[البَعثُ، والحِسَابُ، والصِّرَاطُ، والمِيزَانُ]

وَيُؤْمِنُ أَهْلُ الدِّينِ وَالسُّنَّةِ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ[1]................،

---

(١) هذا كله من الأمور الغيبية، والتي ينبغي على العبد التسليم لها، فإن حقيقة الإيمان هي تصديق الأخبار وتنفيذ الأوامر، والبعث كالخلق، فإن الذي خلق الخلق من عدم، قادرٌ على أن يبعثهم بعد ما فنوا وصاروا عدما، يقول الله عز وجل: ﴿**أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ**﴾ (يس/٨١).

والبعث: هو إعادة المخلوقات بعد فنائها للحساب والجزاء وقد دل الكتاب العزيز والسنة النبوية على ثبوت البعث بطرق عدة، منها ما ذكره في الدنيا من إحيائه عز وجل بعض خلقه بعد أن أماتهم، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٥) ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ (البقرة/٥٥:٥٦)، وقوله في قصة عزير: ﴿**أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ**﴾ (البقرة/٢٥٩).

ومنها بضرب المثل بخلق السموات والأرض، وبخلق النباتات، قال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ (الأحقاف/٣٣)، وقال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ (الأعراف/٥٧).

ومنها بالإنكار على منكر البعث، قال تعالى: ﴿**زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى**

=



وَبِكُلِّ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ أَهْوَالِ ذَلِكَ الْيَوْمِ الْحَقِّ، وَاخْتِلَافِ أَحْوَالِ الْعِبَادِ فِيهِ وَالْخَلْقِ فِيمَا يَرَوْنَهُ وَيَلْقَوْنَهُ هُنَالِكَ، فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْهَائِلِ[1] مِنْ أَخْذِ الْكُتُبِ

= **وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾** (التغابن/٧).

(١) يقول الله عز وجل في وصف هذا اليوم: ﴿**يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ**﴾ (الحج/٢).

ويقول الرسول ﷺ: "**إِنَّ رَبِّي ﷻ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبْ بَعْدَهُ مِثْلَهُ**" (البخاري/٤٧١٢).

وقد سمّى الله عز وجل هذا اليوم، بالتغابن، ويوم الدين، والحساب، ويوم تبلى السرائر، فلذلك ينبغي على العبد أن يعلم أن له نهاية حتماً سيلحق بها، وأن الموت أول السبيل إليها، فليتق الله عز وجل فيما بقي، وليتوب مما سبق، وليلزم باب العبودية لا يبرحه، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما أنه غفور رحيم، فإن عذابه شديد أليم، قال تعالى: ﴿**نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ**﴾ (الحجر/٤٩:٥٠).

فهذا يوم لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، هذا يومٌ يفر الحبيب من حبيبه، تفر الأم الحنون من ولدها، والأب الرفيق من أولاده، والولد البار من والديه، هذا يوم لا عشائر، ولا قبائل، ولا جماعات، ولا فرق فيه، كلٌ يأتي وحده، أحصى الله عباده، وأحصى أعمالهم، وسيحاسبهم كل بمفرده، هذا يوم ترد فيه المظالم، هذا يوم تشيب الولدان فيه، هذا يوم يقول فيه الأنبياء: "**سَلِّمْ سَلِّمْ**"، هذا يومٌ تسعر فيه جهنم، ويسمع =



بِالأَيْمَانِ وَالْشَمَائِلِ، وَالإِجَابَةِ عَنْ الْمَسَائِلِ إِلَى سَائِرِ الزَّلاَزِلِ وَالبَلاَبِلِ الْمَوْعُودَةِ فِي ذَلِكَ الْيومِ الْعَظِيمِ، وَالْمَقَامِ الْهَائِلِ مِنْ الْصِّراطِ وَالْمِيزَانِ، وَنَشْرِ الْصُّحُفِ الَّتِي فِيهَا مَثَاقِيلُ الذَّرِّ مِنْ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَغَيْرِهَا.(١)

=

زفيرها من بعيد، هذا يوم الحاقة، هذا يوم الطامة، هذا يوم الوعيد.

اللّٰهم إنا نسألك السلامة في الدنيا والآخرة، اللّٰهم أجعله هينا سهلا، وظللنا فيه ومن نحب في ظلك يوم لا ظل إلا ظلك، آمين.

(١) قوله: :مِنْ أَخْذِ الْكُتُبِ بِالأَيْمَانِ وَالْشَمَائِلِ:

فقد قال الله عز وجل: ﴿**وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً**﴾ (الإسراء/١٣:١٤)، وقال تعالى: ﴿**وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ**﴾ (التكوير/١٠)، وقال: ﴿**يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ (١٨) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ**﴾ (الحاقة/١٨:٢٩).

ومن السنة عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا: قلت: يا رسول الله هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة؟ قال: "**يَاَ عَائِشَةُ، أَمَّاَ عِنْدَ ثَلاَثٍ فَلا، أَمَّا عِنْدَ الْمِيزَانِ حَتَّى يَثْقُلَ أَوْ يَخِفَّ فَلاَ، وَأَمَّاَ**

=



=

عِنْدَ تَطَايِرِ الكُتُبِ إِمَّا يُعْطَى بِيَمِينِهِ وَإِمَّا يُعْطَى بِشِمَالِهِ فَلا، وَحِينَ يَخْرُجُ عُنُقُ النَّارِ" (مسند أحمد:٦/١١٠).

أما قول الإمام: وَالإِجَابَةِ عَنْ الْمَسَائِلِ:

فقد قال الله عز وجل: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ﴾ (الصافات/٢٤)، وقال تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الأعراف/٦)، وقال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الحجر/٩٢:٩٣).

ومن السنة، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن رسول الله ﷺ قال: "لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلا هَلَكَ" فقلت: يا رسول الله، أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً﴾ (الانشقاق/٧:٨)، فقال رسول الله ﷺ: "إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرْضُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقَشُ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلا عُذِّبَ". (البخاري/٦٥٣٧).

وقوله ﷺ: "يُدْنَى الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ تَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ يَقُولُ: أَعْرِفُ، يَقُولُ: رَبِّ أَعْرِفُ مَرَّتَيْنِ، فَيَقُولُ: سَتَرْتُهَا فِي الدُّنْيَا وَأَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، ثُمَّ تُطْوَى صَحِيفَةُ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الآخَرُونَ أَوْ الْكُفَّارُ فَيُنَادَى عَلَى رُءُوسِ الأَشْهَادِ ﴿هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾ (هود/١٨)" (البخاري/٤٦٨٥).

وقول الإمام: وَالْمَقَامِ الْهَائِلِ مِنْ الْصِّرَاطِ:

فالصراط طريق يمشي عليه الناس من أهل الإسلام، ومن شابههم من المشركين، ينصب فوق النار كالجسر، أدق من الشعر، وأحر من الجمر، وأحد من السيف، دل عليه الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١)

=



=

﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ (مريم/٧١:٧٢).

ومن السنة، حديث الشفاعة الطويل وفيه: **"يُؤْتَى بِالْجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ"** قلنا: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: **"مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلالِيبُ وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ تَكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ، الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا"** (البخاري/٧٤٣٩).

وقال أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بلغني أن الجسر أدق من الشعرة، وأحد من السيف. (مسلم/١٨٣).

وهنا فائدة ينبغي ذكرها؛ وهي من الذين سيمرون على الصراط، وما معنى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾؟

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا خطاب لسائر الخلائق، برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، أنه ما منهم من أحد، إلا سيرد النار، حكما حتمه الله على نفسه، وأوعد به عباده، فلا بد من نفوذه، ولا محيد عن وقوعه.

واختلف في معنى الورود:

فقيل: ورودها، حضورها للخلائق كلهم، حتى يحصل الانزعاج من كل أحد، ثم بعد، ينجي الله المتقين.

وقيل: ورودها، دخولها، فتكون على المؤمنين بردا وسلاما.

وقيل: الورود، هو المرور على الصراط، الذي هو على متن جهنم، فيمر الناس على قدر

=

=

أعمالهم، فمنهم من يمر كلمح البصر، وكالريح، وكأجاويد الخيل، وكأجاويد الركاب، ومنهم من يسعى، ومنهم من يمشي مشيا، ومنهم من يزحف زحفا، ومنهم من يخطف فيلقى في النار، كل بحسب تقواه. اهـ (تفسير السعدي:٢/٧٩١:٧٩٢).

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذكر أقوال العلماء في الورود، وهل الكفار الأصليين سيردون على الصراط، أم أن المؤمنين والمنافقين فقط هم من سيردون على الصراط، وأن الكفار ورودهم دخولهم جهنم: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب: قول من قال: يردها الجميع، ثم يصدر عنها المؤمنون، فينجيهم الله، ويهوي فيها الكفار، وورودهم وهو ما تظاهرت به الأخبار عن الرسول ﷺ من مرورهم بها على الصراط المنصوب على متن جهنم، فناج مسلم، ومكدوس فيها. اهـ (التفسير:٧/٧٨٧).

قلت: والذي أميل إليه، أن الكفار الأصليين لا يمرون على الصراط، بل يتبعون آلهتهم كما ورد في الحديث: "**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ مِنْ الأَصْنَامِ وَالأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ**" فهذا ورودها، أما المؤمنون، ومن شابههم في الظاهر، فيردون على الصراط، فينجو من ينجيه الله عز وجل، والمنافقين يخدعهم الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ كما يخدعون أهل الإيمان من قبل، ويجعلهم يمرون على الصراط كأنهم من أهل الإيمان، ثم يطفئ لهم نورهم، ويضرب بينهم وبين أهل الإيمان بسور له باب.

قال أبو الزبير سمعت جابر بن عبد الله يسأل عن الورود، فقال: نحن يوم القيامة على كَوىً أو كُرَىً، فوق الناس، فتدعى الأمم بأوثانها، وما كانت تعبد الأوّل فالأوّل، فينطلق

=

=

بهم ويتبعونه، قال: ويعطى كلّ إنسان منافق ومؤمن نورا، ويغشى ظلمة ثم يتبعونه، وعلى جسر جهنم كلاليب تأخذ من شاء الله، فيطفأ نور المنافق، وينجو المؤمنون، فتنجو أوّل زمرة كالقمر ليلة البدر، وسبعون ألفًا لا حساب عليهم، ثم الذين يلونهم كأضواء نجم في السماء، ثم كذلك، ثم تحلّ الشفاعة فيشفعون، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله ممن في قلبه وزن شعيرة من خير، ثم يلقون تلقاء الجنة، ويهريق عليهم أهل الجنة الماء، فينبتون نبات الشيء في السيل، ثم يسألون فيجعل لهم الدنيا وعشرة أمثالها. اهـ (تفسير الطبري:٧/٧٨٧)، والله أعلم.

قول الإمام: وَالْمِيزَانِ:

قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (الأنبياء/٢٧)، وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة/٦:٨)، وقال تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف/٨).

ومن السنة: قول النبي ﷺ لابن مسعود رضي الله عنه: "**أَتَعْجَبُونَ مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ أُحُدٍ**".

وقوله ﷺ: "**كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ**" (البخاري/٧٥٦٣).

وقوله ﷺ: "**إِنَّهُ لَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ السَّمِينِ يَوْمَ القِيَامَةِ لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاح بَعُوضَة**"

=

=

(البخاري/٤٧٢٩).

وقد دلت الأحاديث على أن ما يوزن في الميزان:

١- الأعمال، كما في حديث الكلمتين.

٢- الأشخاص، كما في العبد السمين.

٣- الصحف، كما في حديث صاحب التسعة والتسعين سجلاً.

ومن الإجماع، فقد قال الإمامان أبو زرعة وأبو حاتم الرازيين: أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازاً وعراقاً وشاماً ويمناً، فكان من مذهبهم:...والصراط حق، والميزان حق، له كفتان توزن فيه أعمال العباد، حسنها وسيئها، حق. اهـ (شرح أصول الاعتقاد:١/٢٨٩).

فإن أهل السنة والجماعة أصحاب الحديث، يثبتون كل ما سبق، وغيره من أخبار اليوم الآخر، كالحشر، والنفخ في الصور، والبعث، والوقوف تحت الشمس، وتلجيم العرق، وغير ذلك مما صح به الخبر.

وقد خالف في ذلك كله أبو بعض طوائف من المبتدعة:

البعث: خالف فيه مشركوا العرب الذين يقولون: ﴿قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ (المؤمنون/٨٢)، وقد أجابهم الله عز وجل بقوله: ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ (الصافات/١٦) أي أذلاء حقيرون.

والطائفة الأخرى: الفلاسفة القائلون بقدم العالم كأتباع أرسطو وغيره، فهؤلاء لا يؤمنون بالبعث.

وطائفة أخرى: وهو أصحاب التناسخ، فهم يعتقدون أن الأرواح تتناسخ، وتنتقل من

=



=

كائن إلى آخر، فروح العبد قد تصير حيواناً، وإذا مات صارت طائراً، وإذا مات قد يصير إنساناً آخر، وهؤلاء ومن سبقهم، لا ينبغي الالتفات إليهم، فهذا وأشباهه من أساطير الأولين.

الميزان: قال المُلطي: وأنكر جهم الميزان. اهـ (التنبيه والرد/:١١٠)

الصراط: قال الملطي: والآثار جاءت بتكذيب جهمٍ في إنكاره أن الله يجيز على الصراط عباده. اهـ (التنبيه والرد/١١٠)

وهناك تنبيه مهم جدا في التفريق بين طريقة إثبات أهل السنة للغيبيات، وطريقة الأشاعرة، فإنه معلومٌ أن الأشاعرة يؤمنون بكل ما سبق ذكره، ولكن طريقتهم مخالفة لطريقة الكتاب والسنة، فأهل السنة يؤمنون بالغيبات لأن القرآن الذي هو كلام الحق أخبر بذلك، ولأن صريح السنة أخبرت بذلك، أما الأشاعرة فيؤمنون بالغيبيات بشرطين:

١- صدق الخبر.

٢- عدم استحالتها عقلا.

فلو جاء خبر من الكتاب أو صحيح السنة والعقل استحاله؛ فلا يؤمنون به تواترٌ كان أو آحاد، وهذا فاصل كبير جداً بين أهل السنة والمتكلمين من الأشاعرة.

فأهل السنة يسلمون للغيب بمجرد صحة الخبر فيه، حتى وإن لم تعيه عقولهم، أما المتكلمون من الأشاعرة، فإنهم يتوقفون في الإيمان بالخبر، حتى لا يجدوا ما يمنع في العقل رده، ولهذا صنف شيخ الإسلام سفره العظيم [درء تعارض العقل والنقل] ليثبت

=

[الشَّفَاعَةُ]

وَيُؤْمِنُ أَهْلُ الدِّينِ وَالسُّنَّةِ بِشَفَاعَةِ الرَّسُولِ ﷺ لِمُذْنِبِي أَهْلِ التَّوْحِيدِ، وَمُرْتَكِبِي الْكَبَائِرِ، كَمَا وَرَدَ بِهِ الْخَبَرُ الصَّحِيحُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

٣٤- أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدِ بْنُ حَمْدُونَ، أَنْبَأَنَا أَبُو حَامِدِ بْنُ الشَّرْقِيِّ، ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ السُّلَمِيُّ، ثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَنْبَا مَعْمَرٌ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "**شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**".(١)

٣٥- وَأَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ زَاهِرُ بْنُ أَحْمَدَ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ الأَرْغِيَانِيُّ، ثنَا الْحَسَنُ بْنُ عَرَفَةَ، ثَنَا عَبْدُ السَّلامِ بْنُ حَرْبٍ الْمُلائِيُّ، عَنْ زِيَادِ بْنِ خَيْثَمَةَ، عَنْ نُعْمَانَ بْنِ قُرَاد، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**خُيِّرْتُ بَيْنَ الشَّفَاعَةِ وَبَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ شَطْرُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ؛ لأَنَّهَا أَعَمُّ وَأَكْفَى، أَتُرَوْنَهَا لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ؟ لاَ، وَلَكِنَّهَا لِلْمُذْنِبِينَ الْمُتَلَوِّثِينَ الْخَطَّائِينَ**".(٢)

=

أن النقل ما جاء ليعارض العقل، بل العقل المريض السقيم هو الذي يظن أن النقل قد يتعارض معه في أمر من الأمور، وللمزيد في هذه النكتة انظر [الأشاعرة عرض ونقض] للشيخ الدكتور سفر الحوالي حفظه الله، والله أعلم.

(١) صحيح: أحمد في (المسند:٢٠/٤٣٩).

(٢) ضعيف: (السلسلة الضعيفة/٣٥٨٥).



٣٦- أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ المَجلَدِيُّ، أنا أَبُو الْعَبَّاسِ الْسَرَّاجُ، ثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، ثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ الدَّرَاوَرْدِيُّ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِى عَمْرٍو (ح)،

٣٧- وَأَخْبَرَنَا أَبُو طَاهِرِ بْنُ خُزَيْمَةَ، أَنَا جَدِّي الإِمَامُ مُحمّدُ بْنُ إسحاقَ بنِ خُزَيمةَ، ثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ، ثنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِى عَمْرٍو، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِى سَعِيدٍ الْمَقْبُرِىِّ، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: يَاَ رَسُولَ اللهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: **"لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنْ لاَ يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنَ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، إِنَّ أَسْعَدَ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ فِعْلِ نَفْسِهِ"**.[1]

---

(١) صحيح: (البخاري/٩٩).

انتقل الإمام الصابوني رَحِمَهُٱللَّهُ إلى الكلام عن الشفاعة، فبعد أن ذكر أهوال يوم القيامة والميزان والصراط، ذكر الشفاعة، ثم استدل على نوع واحد منها، وهي شفاعته ﷺ لإخراج أهل الكبائر من النار، ولذلك ذكر الشفاعة بعد الصراط، لأن أهل الذنوب والكبائر من الموحدين يهوون في النار وهم يمرون على الصراط، فيشفع لهم رسول الله ﷺ ليخرجهم من النار، ولكن كما ذكرت هذا نوعٌ من أنواع الشفاعة، وسأذكر بإيجاز ليس بمخل إن شاء الله معنى الشفاعة، وأنواعها.

الشفاعة في اللغة: قال ابن منظور رَحِمَهُٱللَّهُ: الشفع خلاف الوَتْر وهو الزوج تقول كانَ وَتْراً فَشَفَعْتُه شَفْعاً وشَفَعَ الوَتْرَ من العَدَدِ شَفْعاً صيَّره زَوْجاً. اهـ (لسان العرب:٨/١٨٣)

=

=

واصطلاحًا: قال ابن الأثير: هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم. اهـ (النهاية:٢/١١٨٤)، (التعريفات للجرجاني/١٦٨).

قال الشيخ العثيمين: الشفاعة هي: التوسط للغير بجلب منفعة، أو دفع مضرة. اهـ (شرح لمعة الاعتقاد/٦٦).

ثم اعلم إن الشفاعة في الدنيا جائزة، بل قد تكون مستحبة، فإن الله عز وجل مدح من يشفع شفاعة حسنة، فيترتب عليها منافع، قال تعالى: ﴿**مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا**﴾ (النساء/٨٥)، أي من يسعى في أمر فيترتب عليه خير، كان له نصيب من ذلك الخير.

وقال رسول الله ﷺ: "**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مَا شَاءَ**" (البخاري/١٤٣٢).

فالشفاعة في الدنيا جائزة، ولا تكون إلا في الخير، فلا يستشفع أحدٌ لأحدٍ فيما يغضب الله عز وجل.

قال رسول الله ﷺ لأسامة بن زيد في المرأة المخزومية منكراً عليه: "**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ**" (البخاري/٣٤٧٥).

أما الشفاعة في الآخرة، فتنقسم إلى قسمين:

أولًا: شفاعة الرسول ﷺ. ثانيًا: شفاعة غير الرسول ﷺ.

أولا: شفاعة الرسول ﷺ:

قد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أن للرسول محمد بن عبد الله ﷺ شفاعات تخصه.

=



=

أما دلالة الكتاب، فقوله تعالى: ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً**﴾ (الإسراء/٧٩)، فالمقام المحمود هو الشفاعة، كما ذكر غير واحد من المفسرين.

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثم اختلف أهل التأويل في معنى ذلك المقام المحمود، فقال أكثر أهل العلم: ذلك هو المقام الذي هو يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدّة ذلك اليوم.اهـ (التفسير:٧/٤٦٦).

أما دلالة السنة: عن آدم بن علي قال سمعت ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يقول: "**إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُثًا كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا يَقُولُونَ: يَا فُلانُ اشْفَعْ يَا فُلانُ اشْفَعْ حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللَّهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ**" (البخاري/٤٧١٨).

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: "**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ يَدْعُو بِهَا وَأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي فِي الآخِرَةِ**" (البخاري/٦٣٠٤).

أما دلالة الإجماع: فقد ذكر غير واحد من العلماء والأئمة أبواب الإيمان، ومنها الإيمان بأن النبي ﷺ يشفع يوم القيامة للخلائق، كالبربهاري في [شرح السنة]، والخلال في [السنة]، والآجري في [الشريعة]، وابن بطة في [الإبانتين] الكبرى والصغرى، وأحمد في [أصول السنة]، واللالكائي في [شرح أصول الاعتقاد]، وفي كتب الأئمة الذين ردوا على المعتزلة والخوارج، والوعيدية.

وشفاعات النبي ﷺ أكثر من واحدة:

١- الشفاعة العظمى، وهي الشفاعة الأولى للنبي ﷺ، وهذه الشفاعة ينتفع بها جميع الخلق، من الصالحين والطالحين، بل ينتفع بها الأنبياء والرسل، وهذه هي المقام المحمود، =

=

وهي أعظم أنواع الشفاعات وأجلها عند الله تعالى.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ أُتي بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة ثم قال: "**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمْ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمْ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنْ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لا يُطِيقُونَ وَلا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنْ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ إِنَّ رَبِّي عز وجل قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلاثَ كَذِبَاتٍ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ**

=

=

وَبِكَلامِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا، فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَأَنْطَلِقُ، فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عز وجل، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنْ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ الأَبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى" (البخاري/٤٧١٢).

قال ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الحديث: باب ذكر الدليل أن هذه الشفاعة التي وصفنا أنها أول الشفاعات؛ هي التي يشفع بها النبي ليقضي الله بين الخلق، فعندها يأمره الله عز وجل أن يدخل من لا حساب عليه من أمته الجنة من الباب الأيمن، فهو أول الناس دخولا الجنة من المؤمنين. (التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل/٤٢٦)

=

=

٢- الشفاعة في استفتاح باب الجنة لأهلها: وهي الشفاعة الثانية الخاصة به ﷺ، فهاتان الشفاعتان خاصتان بالنبي ﷺ دون غيره، وذلك بعد أن يعبر من نجا من الخلق الصراط، وقد هُذِّبُوا، ومُحِّصُوا، وأزلفت الجنة، يشفع النبي ﷺ حينئذ في الدخول فيها، فيكون هو ﷺ أول من تفتح له أبواب الجنة، وأمته أول من تدخل الجنة.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **"نَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ"** (مسلم/٨٥٥).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: **"أَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ"** (مسلم/١٩٦).

٣- الشفاعة في أهل الكبائر من الموحدين: وهذه الشفاعة هي للمذنبين من أهل التوحيد من أمة محمد ﷺ، قال رسول الله ﷺ: **"شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي"**.

وهذه الشفاعة تكون بعد وقوع العصاة من الموحدين في النار عند مرورهم الصراط، فيشفع فيهم النبي ﷺ ليخرجهم منها، ويشفع غير النبي ﷺ بعده أيضاً، كما سيأتي بيانه، وهذه الشفاعة هي التي عناها الصابوني رحمه الله، لأن الخلاف بين أهل السنة والوعيدية من الخوارج والمعتزلة في هذا النوع من الشفاعة.

قال رسول الله ﷺ في حديث الشفاعة: **"فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَأْتُونِي فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي، وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لا تَحْضُرُنِي الآنَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ:**

=



=

انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْ النَّارِ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ" الحديث (البخاري/٧٥١٠)

قال ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: باب ذكر لفظة رويت عن النبي ﷺ في ذكر الشفاعة، حسبت المعتزلة والخوارج وكثير من أهل البدع وغيرهم لجهلهم بالعلم وقلة معرفتهم بأخبار النبي ﷺ، أنها تضاد قول النبي ﷺ عند ذكر الشفاعة: "**إِنَّهَا لِكُلِّ مُسْلِمٍ**"، وليست كما توهمت هؤلاء الجهال بحمد الله ونعمته، وسأبين بتوفيق خالقنا عز وجل أنها ليست متضادة. اهـ ثم شرع في الرد عليهم (التوحيد/٤٧٢).

والمراد التنبيه على أن المعتزلة والخوارج والوعيدية خالفوا أهل السنة في ثبوت الشفاعة.

قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اختلف الناس في الشفاعة، فأنكرها قوم وهم، المعتزلة والخوارج وكل من تبع أن لا يخرج أحد من النار بعد دخوله فيها، وذهب أهل السنة والأشعرية والكرامية، وبعض الرافضة إلى القول بالشفاعة. اهـ (الفصل في الملل والأديان والنحل:٢/٤٧٣).

=

=

وقبل البدء في رد شبهاتهم، ينبغي أن يُعلم سبب ضلالهم.

اعلم بارك الله فيك، أن المعتزلة والخوارج اتفقوا في مرتكب الكبيرة في جزء، واختلفوا في آخر، فاتفقوا أن من وقع في الذنوب من أهل الملة، فهو كافر في الآخرة لا يستحق إلا النار، ولا يخرج منها أبداً، إلا أنهم اختلفوا في حكمه في الدنيا:

فذهب واصل بن عطاء ومن تبعه من المعتزلة كابن عبيد أن مرتكب الكبيرة فاسق في الدنيا، بَيْنَ بَيْن، لا هو كافر ولا مؤمن.

أما الخوارج فكفروه في الدنيا والآخرة، وبنوا على ذلك استباحة قتله، واغتنام ماله، ووجوب التفريق بينه وبين أهله.

والسبب في هذا البلاء العظيم، أن أصول المعتزلة التي بنوا عليها معتقدهم خمسة:

١- التوحيد: ويقصدون به نفي صفات الله عز وجل عنه لشبهة التركيب.

٢- العدل: ويقصدون به أن العبد يخلق فعل نفسه، وسيأتي الكلام فيه.

٣- المنزلة بين المنزلتين: ويقصدون به الحكم على مرتكب الكبيرة وأنه فاسق في الدنيا.

٤- الوعد والوعيد: وهذا الأصل هو سبب نفيهم للشفاعة، لأنهم يقولون: إن الله عز وجل يجب عليه وجوباً حتمياً أن ينفذ وعده للمؤمنين، وأن ينفذ وعيده للكافرين، ولا يجوز على الله خلاف ذلك، ولا يجوز لأحدٍ أن يبدل وعد الله ووعيده، ولذلك فلا قيمة للشفاعة، إذا كيف يتوعد الله قاتل النفس بالنار، وتقولون يخرجه النبي ﷺ بالشفاعة، فهذا خلف للوعد والوعيد.

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ويقصدون به الأمر بأصولهم السابقة، والنهي

=

=

عن غير ذلك من الأصول.

قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واحتج المانعون بقول الله عز وجل: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ (المدثر/٤٨)، وبقوله عز وجل: ﴿يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ (الانفطار/١٩)، وبقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلا رَشَداً﴾ (الجن/٢١)، وبقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ (البقرة/٤٨)، وبقوله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ﴾ (البقرة/٢٥٤)، وبقوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ (١٠٠) وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ (الشعراء/١٠١)، وبقوله تعالى: ﴿وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ (البقرة/١٢٣).

قال أبو محمد: قول من يؤمن بالشفاعة أنه لا يجوز الاقتصار على بعض القرآن دون بعض، ولا على بعض السنن دون بعض، ولا على القرآن دون بيان رسول الله ﷺ الذي قال له ربه عز وجل: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل/٤٤).

وقد نص الله تعالى على صحة الشفاعة في القرآن، فقال تعالى: ﴿لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْداً﴾ (مريم/٨٧) فأوجب عز وجل الشفاعة إلا من اتخذ عنده عهدا بالشفاعة، وصحت بذلك الأخبار المتواترة المتناصرة بنقل الكواف لها.

قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾ (طه/١٠٩)، وقال تعالى: ﴿وَلا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ (سبأ/٢٣)، على أن الشفاعة يوم القيامة تنفع عنده عز وجل ممن أذن له فيها ورضي قوله، ولا أحد من الناس أولى بذلك من محمد ﷺ، لأنه أفضل ولد آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا

=

=

بِإِذْنِهِ﴾ (البقرة/٢٥٥)، ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ (النجم/٢٦)، وقال تعالى: ﴿وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (الزخرف/٨٦)، وقال تعالى: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ (يونس/٣).

فقد صحت الشفاعة بنص القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فصح يقينا أن الشفاعة التي أبطلها الله عز وجل هي غير الشفاعة التي أثبتها عز وجل، وإذ لا شك في ذلك فالشفاعة التي أبطلها سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هي الشفاعة للكفار الذين هم مخلدون في النار، قال تعالى: ﴿لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ (فاطر/٣٦) نعوذ بالله منها، فإذ لا شك فيه، فقد صح يقينا أن الشفاعة التي أوجب الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لمن أذن له واتخذه عنده عهدا ورضي قوله، فإنما هي لمذنبي أهل الإسلام، وهكذا جاء الخبر الثابت.

قال أبو محمد: وهما شفاعتان:

أحدهما: الموقف وهو المقام المحمود الذي جاء النص في القرآن به في قوله: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ (الإسراء/٧٩)، وهكذا جاء الخبر الثابت نصا.

والشفاعة الثانية: في إخراج أهل الكبائر من النار طبقة طبقة، على ما صح في ذلك الخبر، وأما قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلا رَشَداً﴾ (الجن:٢١)، ﴿لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً﴾ (الانفطار/١٩)، فما خالفناهم في هذا أصلا، وليس هذا من الشفاعة في شيء، فنعم، لا يملك لأحد نفعا ولا ضرا ولا رشدا ولا هدى، وإنما الشفاعة رغبة إلى

=

=

الله تعالى وضراعة ودعاء.

وقال بعض منكري الشفاعة: إن الشفاعة ليس إلا في المحسنين فقط، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ (الأنبياء/٢٨).

قال أبو محمد: وهذا لا حجة لهم فيه، لأن من أذن الله في إخراجه من النار وأدخله الجنة، وأذن للشافع في الشفاعة له في ذلك، فقد ارتضاه وهذا حق وفضل لله تعالى على من قد غفر له ذنوبه؛ بأن رجحت حسناته على كبائره، أو بأن لم تكن له كبيرة، أو بأن تاب عنها، فهو مغن له عن شفاعة كل شافع، فقد حصلت له الرحمة والفوز من الله تعالى، وأمر به إلى الجنة ففي ماذا يشفع له، وإنما الفقير إلى الشفاعة من غلبت كبائره حسناته فأدخل النار، ولم يأذن تعالى بإخراجه منها إلا بالشفاعة، وكذلك الخلق في كونهم في الموقف هم أيضا في مقام شنيع، فهم أيضا محتاجون إلى الشفاعة، وبالله تعالى التوفيق. اهـ (الفصل/٤٧٣:٤٧٥).

وقد احتجوا أيضاً بآيات الوعيد، وقالوا: إن الله توعد عباده بالنار، بل وكفرهم بفعل الكبائر، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾ (النساء/٩٣)، واحتجوا من الحديث، بحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: "**مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ؛ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ شَرِبَ سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ؛ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ؛ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا**" (مسلم/١٠٩)، وبقوله ﷺ: "**لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ**" (مسلم/١٠٥).

=

=

والجواب على هذا الشبه:

١- أن ما ورد من الوعيد بالخلود في النار، أو الحرمان من الجنة لمن ارتكب تلك الذنوب، محمول على أن من استحل ذلك، فإنه يصير باستحلاله كافراً، أما من فعلها معتقداً تحريمها، فلا يلحقه هذا الوعيد، وإن لحقه وعيد الدخول في النار دون تخليد.

٢- أن هذا جزاء من فعل شيئاً من تلك الذنوب، ولكن الله تكرم على الموحدين فأخرجهم من النار بتوحيدهم.

٣- أن كل وعيد لأهل التوحيد، فإنما هو على شريطةٍ، أي إلا أن يشاء الله عز وجل أن يغفر ويصفح ويتكرم ويتفضل، فلا يعذب على ارتكاب تلك الخطيئة، فإن الله عز وجل قال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً**﴾ (النساء/٤٨).

٤- أن الكفر والظلم والفسق في الكتاب والسنة يطلقوا وقد يراد بهم، كفراً وظلماً وفسقاً أصغر أو أكبر، فقاتل النفس الله عز وجل توعده بالنار والخلود، وقال فيه أيضاً: ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ (الحجرات/١٠) فدلت الآيات أنه ليس بكافر كفراً كمن كفر بالله عز وجل وملائكته، وكتبه ورسله، بل سماه الله عز وجل بالمؤمن، وأمر عباده أن يصلحوا بينهم، وهم قد قتل بعضهم بعضاً، ولذلك أفرد ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (الإبانة الكبرى/ ٣٤٠:٣٥٧) بابًا قال

=



=

فيه: باب ذكر الذنوب التي تصير بصاحبها إلى كفر غير خارج به عن الملة. اهـ

وذكر عدد من الآيات والأحاديث التي وصف الله عز وجل ووصف النبي ﷺ أصحابها بالكفر، كمن نسب أحداً إلى غير أبيه، ومن قاتل مسلماً، ومن أتى عرافاً، ومن ناح وشق الجيب ودعى بدعوى الجاهلية، ومن قال لأخيه يا كافر، ومن حكم بغير ما أنزل الله، ومن قتل نفسه...الخ.

وقد ذكر البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب الإيمان: باب كفر دون كفر، باب ظلم دون ظلم، باب فسق دون فسق.

٥- أن الوعيد بالحرمان من الجنة، المراد أنه لا يستحق دخول الجنة ابتداءً إن جوزي على ذنبه، بل يعذب بقدر ذنوبه ثم يدخلها، وقد يعفو الله عنه فلا يعذب.

٦- أن هذا وعيداً وليس وعداً، فالوعد خلافه ذم، أما الوعيد فخلافه مدح وليس ذماً، لأن الله عز وجل إذا أوعد أحداً بالعذاب ثم عفى عنه، أو أخرجه بشفاعة أحدٍ تكريماً له، فهذه رحمة ومنّة من الله عز وجل على الخارج من النار، ولا يظن أن هذا نقض لوعيده، فالله عز وجل يجوز عليه إخلاف الوعيد، ولا يجوز عليه خلف الوعد، لأن الوعيد حقه سبحانه وتعالى، فإخلافه إياه هبة منه ومنّة، والوعد حقٌّ أوجبه تعالى على نفسه لعباده، والله لا يخلف الميعاد.

ومن جميل ما قرأت في هذا الباب ما ذكره الإمام الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الرائع [الحجة في بيان المحجة"٢/٥٢] تحت باب: في ذكر الوعد والوعيد، فقد ذكر أنا خُلف الوعيد هذا من الكرم لا من العيب، واستدل بذلك ببيت شعر لكعب بن زهير، وقد كان

=

=

النبي ﷺ أوعده، فجاءه تائبا يقول:

أنبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله

يقول الإمام: فأخبر أنه قد أوعد ثم رجا منه العفو، وفي ذلك دليل على أن ذلك لم يكن عند العرب خُلفاً، إذ كان في باطنه استثناء، وكذلك سبيل آي الوعيد عندنا وبالله التوفيق. اهـ

فهذه هي بعض من شبهاتهم، وهم أهل تفريط في مسألة الشفاعة.

وهناك طائفة أخرى على النقيض، فرطوا في الأمر وجعلوا الشفاعة لكل أحد، كما يقال لكسير وعوير وثالث ما فيه خير، جوّزوا الشفاعة لمن ظنوهم أولياء، وهم فساق زنادقة حُلوليون اتحاديون، وهؤلاء هم الدراويش المتصوفة، والرد عليهم مبذول في أغلب كتب شيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، فالتراجع.

٤- الشفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة، ومنه دعاء النبي ﷺ لأبي سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **"اللهُمَّ اغْفِرْ لأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ"** (مسلم/٩٢٠).

٥- شفاعته في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب وهي خاصة للنبي ﷺ: ودليلها ما جاء في الصحيحين عن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغض لك؟ قال: **"نَعَمْ، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَولا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ"** (مسلم/٢٠٩).

وسبب هذه الشفاعة، أن أبا طالب كان يذب عن النبي ﷺ، وهذا نوع من تكريم الله

=

=

عز وجل لنبيه ﷺ.

وهذه الشفاعة. شفاعة تخفيف، وليست إخراج، فإن أبا طالب مات كافراً كما هو معلوم، والكافر لا يخرج من النار أبداً كائناً من كان.

ثانياً: شفاعات غير النبي ﷺ:

١- شفاعة الملائكة: ﴿**وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى**﴾ (النجم/٢٦).

ومن السنة قوله ﷺ في حديث الشفاعة: "**فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: شَفَعَتِ الْمَلائِكَةُ...**" (مسلم/١٨٣).

٢- شفاعة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: قوله ﷺ: "**فَيَقُولُ اللهُ عز وجل: شَفَعَتِ الْمَلائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ...**".

٣- شفاعة المؤمنين: قوله ﷺ: "**يَقُولُ اللهُ عز وجل: شَفَعَتِ الْمَلائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ...**".

وقوله ﷺ: "**حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدِ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، فَيَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ...**" (مسلم/١٨٣).

=



=

وقال ﷺ: "**إِنَّ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَشْفَعُ لِلْفِئَامِ مِنَ النَّاسِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلْقَبِيلَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلْعَصَبَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلرَّجُلِ حَتَّى يَدْخُلُوا الجَنَّةَ**" (الترمذي/٢٤٤٠).

٤- شفاعة الشهداء: عن المقدام بن معد يكرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: "**لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ سِتُّ خِصَالٍ:...وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ**" (الترمذي/١٦٦٣).

٥- شفاعة أولاد المؤمنين الصغار: عن أبي حسَّان، قال: قلت لأبي هريرة: إنه قد مات لي ابنان، فما أنت محدثي عن رسول الله ﷺ بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا؟ قال: نعم "**صِغَارُهُمْ دَعَامِيصُ الجَنَّةِ يَتَلَقَّى أَحَدُهُمْ أَبَاهُ -أَوْ قَالَ أَبَوَيْهِ-، فَيَأْخُذُ بِثَوْبِهِ -أَوْ قَالَ بِيَدِهِ-، كَمَا آخُذُ أَنَا بِصَنِفَةِ ثَوْبِكَ هَذَا، فَلَا يَتَنَاهَى -أَوْ قَالَ فَلا يَنْتَهِي- حَتَّى يُدْخِلَهُ اللهُ وَأَبَاهُ الجَنَّةَ**" (مسلم/٢٦٣٥).

٦- شفاعة القرآن: عن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: "**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ...**" (مسلم/٨٠٤).

٧- شفاعة القرآن: عن ابن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال رسول الله ﷺ: "**الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعِبَدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**" (صحيح الترغيب/١٤٢٩).

٨- شفاعة الرب عز وجل نفسه، وهي أعظم وأجل من كل ما سبق: قال رسول الله ﷺ: "**فَيَقُولُ اللهُ عز وجل: شَفَعَتِ الْمَلائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ...**" (مسلم/١٨٣).

ومما ينبغي أن يعلم أيضاً، أن كل هذه الشفاعات دون شفاعة الله عز وجل، لها شروط

=



[الحَوضُ، والكَوثَرُ]

=

لا بد أن تكون فيها:

الشرط الأول: إذن الله للشافع أن يشفع: قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (البقرة/٢٥٥)، وقوله تعالى: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ (يونس/٣).

الشرط الثاني والثالث: رضى الله عن الشافع والمشفوع له: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ (الأنبياء/٢٨)، ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ (النجم/٢٦). والله أعلم.

وَيُؤْمِنُونَ بِالْحَوضِ وَالْكَوْثَرِ[1] وَإِدْخَالِ فَرِيقٍ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ

---

(١) الحوض والكوثر، مِنّتان من الله عز وجل لنبيه ﷺ.

فالحوض مورد عظيم يَرِدُه هو وأمته، ويكون بأرض المحشر، ويمد ماؤه من الكوثر.

وقد دلت السنة النبوية على ثبوت الحوض للنبي ﷺ، وقد صنف فيه وفي الكوثر الإمام أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد تلميذ أحمد بن حنبل رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، وذيل له فيه ابن بَشْكُوَال، وروا عن عدد من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ جاز الثلاثين صحابياً، في وصف الحوض والكوثر، وسأذكر منها شيء يسير.

أولًا: الحوض:

مكانه: أرض المحشر.

مساحته: زواياه متساوية المسافة بين طوله وعرضه، كما في حديث أنس "**بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى صَنْعَاءَ**"، وفي لفظ عن أبي أمامة، "**كَمَا بَيْنَ عَدَنٍ إِلَى عَمَّان، فَأَوْسَع فَأَوْسَع**"، وفي لفظ أبي سعيد الخدري: "**مَا بَيْنَ الْكَعْبَةِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ**"، وفي لفظ عبد الله بن عمرو: "**أَمَامَكُمْ حَوْضٌ كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ**"، وهما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاث ليالي.

وصف مائه: أشد بياضاً من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب من ريح المسك، آنيته كعدد النجوم.

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال رسول الله ﷺ: "**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلا يَظْمَأُ أَبَدًا**" (البخاري/٦٥٧٩).



=

أهله: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة، فقال: "**السَّلامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا**" قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قَالَ: "**أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ**" فَقَالُوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ فَقَالَ: "**أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلاً لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟**" قالوا: بلى يا رسول الله، قَالَ: "**فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ، أَلا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ أَلا هَلُمَّ، فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا**" (مسلم/٢٤٩).

ثانيا الكوثر: نهرٌ في الجنة، وهو ماء الحوض، أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، حافتاه من الدر المجوف والذهب، ومجراه على الياقوت والدر، طينته مسك أذفر.

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يومٍ بين أظهرنا، إذ غفا إغفاءة، ثم رفع رأسه مبتسماً، فقلنا: ما أضحك يا رسول الله؟ قال: "**نَزَلَتْ عَلَيَّ آنِفاً سُورَةٌ**" فقرأ: "**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾** (الكوثر/١:٣)" (الحوض والكوثر لابن مخلد/٣٥).

وفي حديث المعراج عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "**فَوَجَدَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا آدَمَ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَرَدَّ عَلَيْهِ آدَمُ وَقَالَ: مَرْحَبًا وَأَهْلاً بِابْنِي، نِعْمَ الابْنُ أَنْتَ، فَإِذَا هُوَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِنَهَرَيْنِ يَطَّرِدَانِ، فَقَالَ: مَا هَذَانِ النَّهَرَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا النِّيلُ وَالْفُرَاتُ عُنْصُرُهُمَا، ثُمَّ مَضَى بِهِ فِي السَّمَاءِ، فَإِذَا هُوَ بِنَهَرٍ آخَرَ عَلَيْهِ قَصْرٌ مِنْ**

=



=
لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ، فَضَرَبَ يَدَهُ فَإِذَا هُوَ مِسْكٌ أَذْفَرُ، قَالَ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي خَبَأَ لَكَ رَبُّكَ" (البخاري/٧٥١٧).

وقد خالف أهل السنة والجماعة في الحوض والكوثر؛ المعتزلة والروافض، فالمعتزلة تعاملت مع الحوض والكوثر كمعاملتهم مع سائر الغيبيات، فهم لا يؤمنون إلا بما هو مشاهد، وكما يقول ابن حزم عن من أنكر الحوض: لا ندري لمن أنكره متعلقاً. اهـ (الفصل:٢/٤٨٧).

أما الروافض، فهم لا ينكرون الحوض، لكن يقولون: إن القوم الذين يذادون عن الحوض، هم أصحاب النبي ﷺ، واحتجوا بلفظة في صحيح البخاري، أن النبي ﷺ قال: "**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَلَيُرْفَعَنَّ مَعِي رِجَالٌ مِنْكُمْ، ثُمَّ لَيُخْتَلَجُنَّ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي! فَيُقَالُ: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**" (البخاري/٦٥٧٦).

فقالوا: إذا كان الأمر كذلك، فلا يجوز أن تثنوا على أصحاب النبي ﷺ، وهم في الأصل يذادون عن الحوض، ويقول النبي ﷺ فيهم: "**سُحْقاً سُحْقاً**".

قال الشيخ عثمان الخميس حفظه الله: نقول مستعينين بالله تبارك وتعالى:

أولاً: أن المراد بهؤلاء الصحابة المنافقون، وذلك أن المنافقين كانوا يظهرون الإسلام للنبي ﷺ كما قال الله جل وعلا: ﴿**إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**﴾ (المنفقون/١).

وقد يقول قائل: إن النبي ﷺ كان يعرف المنافقين.

فنقول: نعم كان يعرف بعضهم، ولم يكن يعرفهم كلهم، ولذلك قال الله تبارك وتعالى
=



=

لنبيه محمد ﷺ: ﴿**وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ**﴾ (التوبة/١٠١)، فبين أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لا يعلم جميع المنافقين، وكان يظن أن أولئك من أصحابه، وليسوا كذلك بل هم من المنافقين.

ثم الشيء الثاني: أن المراد بهم الذين ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ، ومعلوم أنه بعد توفي النبي صلوات الله وسلامه عليه ارتد بعض العرب، ارتدوا عن دين الله تبارك وتعالى حتى قاتلهم أبو بكر الصديق مع الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، وسميت تلك الحروب بحروب الردة، فقالوا: المراد بالذين قال عنهم النبي ﷺ: "**سُحْقَاً سُحْقَاً**" هم الذين ارتدوا بعد وفاته صلوات الله وسلامه عليه.

على الأول أو على الثاني لا يدخل أًصحاب النبي ﷺ في هذا الأمر، لماذا؟ لأننا في تعريف أصحاب النبي ﷺ ماذا نقول؟

نقول: كل من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك.

فإذا قلنا: أنهم هم المنافقون، فالمنافقون لم يؤمنوا بالنبي يوماً صلوات الله وسلامه عليه، وإذا قلنا: هم المرتدون، فالمرتدون لم يموتوا على الإسلام، فهؤلاء لا يدخلون في تعريف أصحاب النبي ﷺ.

وأما إذا قصدوا: أن الصحابة كل من رأى النبي ﷺ، فيدخل أبو جهل في الصحابة، وأبو لهب وأمية بن خلف وأبي بن خلف والوليد بن عتبة، وغيرهم من المشركين، يدخلون في أصحاب النبي ﷺ، ونحن لا نقول بذلك أبداً، ولكن نقول: أصحاب النبي ﷺ أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وطلحة والزبير وأبو عبيدة، ...الخ وغيرهم

=



=

كثير، هؤلاء هم أصحاب النبي ﷺ، فمن من هؤلاء كان منافقاً، ومن من هؤلاء ارتد عن دين الله تبارك وتعالى، بل كل هؤلاء آمنوا بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ولقوه وماتوا على ذلك، والعلم عند الله تبارك وتعالى.

فالقصد: أن الجواب الأول أن قول النبي ﷺ: "**سُحْقَاً سُحْقَاً**" هو للمنافقين الذين كانوا يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، وما كان النبي ﷺ يعلمهم، أو هم الذين ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ، وكانوا أصلاً من المسلمين، ثم ارتدوا وتركوا دين الله جل وعلا.

وهناك جواب ثالث: وهو أن المعنى كل من صحب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ولو لم يتابعه، وإن كان النبي يعلم ذلك، كعبد الله بن أبي بن سلول، وهو كما هو معلوم رأس المنافقين، وهو الذي قال: ﴿**لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ**﴾ (المنافقون/٨)، وهو الذي قال ما مثلنا ومثل محمد وأصحابه إلا كما الأول سمن كلبك يأكلك، فهذا سماه النبي ﷺ من أصحابه، فيكون هذا هو المقصود، ولذلك إن تعريف الصحابة بأنه كل من لقي النبي مؤمناً به ومات على ذلك تعريف متأخر، وأما كلام العرب كل من صحب الرجل فهو من أصحابه مسلماً أو غير مسلم متبع له أو غير متبع هذا أمر آخر. اهـ (شبهات شيعية والرد عليها/٨٧:٩٢).

وممن خالف أيضاً في الحوض والكوثر الأشاعرة، ولكنهم لم ينكروهما، ولكن طريقة ثبوتهما تخالف طريقة أهل السنة والجماعة، فكما ذكرت أنهم في الغيبيات يشترطون مع صحة الخبر عدم وجود مانع عقلي، أو كما يقولون: ليس في العقل ما يستحيله، ولعمري

=



حِسَاَبٍ، وَمُحَاسَبَةِ فَرِيقٍ مِنْهُمْ حِسَاَبَاً يَسِيرَاً، وَإِدْخَالِهِم الْجَنَّةَ بِغَيْرِ سُوءٍ يَمَسُّهُمْ وَعَذَاَبٍ يَلْحَقُهُمْ، وَإِدْخَالِ فَرِيقٍ مِنْ مُذْنِبِيهِمْ الْنَّارَ ثُمَّ إِعْتَاقِهِمْ وَإِخْرَاجِهِمْ مِنْهَا، وَإِلْحَاقِهِمْ بِإِخْوَانِهِمْ الَّذِينَ سَبَقُوهُم إِلَيْهَا، وَلاَ يُخَلَّدُونَ فِي الْنَّارِ، فَأَمَّا الْكُفَّارُ فَإِنَّهُم يُخَلَّدُونَ فِيهَا وَلاَ يَخْرُجُونَ مِنْهَا أَبَدَاً، وَلاَ يَتْرُكَ اللهُ فِيهَا مِنْ عُصَاةِ أَهْلِ الإِيمَانِ أَحَدَاً.

=

كيف لم يستحيل العقل الحوض والكوثر، أفيعقل أصلاً أن يعقل العقل وجود حوض أو كوثر إلا إذا ورد بنص من صادق؟! تباً لهذا الفكر.

[الرُّؤيَةُ]

وَيَشْهَدُ أَهْلُ السُّنَّةِ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ تبارَكَ وَتَعَالَى بِأَبْصارِهِمْ، وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ عَلَى مَا وَرَدَ بِهِ الْخَبَرُ الصَّحِيحُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي قَوْلِهِ: "**إِنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ**"، وَالتَّشْبِيهُ وَقَعَ لِلرُّؤْيَةِ بِالرُّؤْيَةِ، لاَ لِلْمَرْئِيِّ بِالْمَرْئِيِّ، وَالْأَخْبَارُ الْوَارِدَةُ فِي الرُّؤْيَةِ مُخَرَّجَةٌ فِي كِتَابِ الانْتِصَارِ بِطُرُقِهَا.[١]

---

(١) أجمع أهل السنة أصحاب الحديث، على أن الله عز وجل يُرى في الآخرة، ولم يشذ منهم واحد في ذلك.

قال البربهاري رَحِمَهُ اللَّهُ: من السنة...والإيمان بالرؤية يوم القيامة، يرون الله عز وجل بأعين رؤوسهم. اهـ (شرح السنة/٢٩).

وقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما الصواب من القول في رؤية المؤمنين ربهم عز وجل يوم القيامة، وهو ديننا الذي ندين الله به، وأدركنا عليه أهل السنة والجماعة، فهو: أن أهل الجنة يرونه على ما صحت به الأخبار عن رسول الله ﷺ. اهـ (صريح السنة/٢٦).

وقال ابن أبي عاصم رَحِمَهُ اللَّهُ: ومما اتفق أهل العلم على أن نسبوه إلى السنة...وإثبات رؤية الله عز وجل، يراه أولياؤه في الآخرة نظر عيان، كما جاءت الأخبار. اهـ (السنة/٦١٢).

وقال المزني إسماعيل بن يحيي رَحِمَهُ اللَّهُ: وأهل الجنة يومئذ يتنعمون، وبصنوف اللذات يتلذذون، وبأفضل الكرامة يحبرون، فهم حينئذ إلى ربهم ينظرون، لا يمارون في النظر إليه ولا يشكون، فوجوههم بكرامته ناضرة، وأعينهم بفضله إليه ناظرة، في نعيم دائم مقيم =

=

و﴿**لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ**﴾ (الحجر/٤٨)، و﴿**أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ**﴾ (الرعد/٣٥). اهـ (شرح السنة/٨٣:٨٤).

وقال الحميدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: السنة عندنا...والإقرار بالرؤية بعد الموت. اهـ (أصول السنة/٤١).

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أصول السنة عندنا...والإيمان بالرؤية يوم القيامة، كما روى عن النبي ﷺ من الأحاديث الصحاح. اهـ (أصول السنة/٦٠).

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أبيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رأيت أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يصحح الأحاديث التي تُروى عن النبي ﷺ في الرؤية، ويذهب إليها، وجمعها أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابٍ، وحدثنا بها. اهـ (السنة/٨٠).

وقال الدارمي عثمان بن سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فهذه الأحاديث كلها وأكثر منها قد رويت في الرؤية على تصديقها والإيمان بها، أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا، ولم يزل المسلمون قديما وحديثا يروونها ويؤمنون بها، لا يستنكرونها ولا ينكرونها، ومن أنكرها من أهل الزيغ نسبوه إلى الضلال، بل كان من أكبر رجائهم وأجزل ثواب الله في أنفسهم النظر إلى وجه خالقهم، حتى ما يعدلون به شيئا من نعيم الجنة. اهـ (الرد على الجهمية/١٠٣:١٠٤).

وقال ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ألا يُعقل ذوو الحجا يا طلاب العلم، أن النبي ﷺ لا يسأل ربه ما لا يجوز كونه، ففي مسألة النبي ﷺ ربه لذة النظر إلى وجهه أبين البيان وأوضح الوضوح أن لله عز وجل وجها يتلذذ بالنظر إليه من منّ الله جل وعلا عليه وتفضل بالنظر إلى وجهه. اهـ (التوحيد/٥٥).

وذكر البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (خلق أفعال العباد/٩) عن وكيع أنه قال: من كذب بحديث

=

=

إسماعيل عن قيس عن جرير عن النبي ﷺ؛ فهو جهمي فاحذروه. اهـ

وقال ابن منده رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بيان آخر يدل على أن العباد ينظرون إلى وجه ربهم عز وجل. اهـ (التوحيد/٢٦٤)

وذكر بسنده إلى سفيان بن عيينه حين سئل عن أحاديث الرؤية أنه قال: حق نرويها كما سمعناها. اهـ (التوحيد/٥٣٠).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في: قال الله عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، (القيامة/٢٢:٢٣) أجمع أهل التأويل، كابن عباس، وغيره من الصحابة، ومن التابعين محمد بن كعب، وعبد الرحمن بن سابط، والحسن بن أبي الحسن، وعكرمة، وأبو صالح، وسعيد بن جبير، وغيرهم: أن معناه إلى وجه ربها ناظرة. اهـ (الرد على الجهمية/١٠١)

وقال ابن قتيبة الدينوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ما ذكر شبهات المعطلة ورد عليها: وعدل القول في هذه الأخبار، أن نؤمن بما صح منها بنقل الثقات لها، فنؤمن بالرؤية والتجلي...الخ. اهـ (الاختلاف في اللفظ/٥٣).

وقد أفرد الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتاباً قال فيه: كتاب التصديق بالنظر إلى وجه الله عز وجل، قال فيه: وأما أهل السعادة، فهم الذين سبقت لهم من الله الحسنى، فآمنوا بالله وحده، ولم يشركوا به شيئاً، وصدقوا القول بالفعل، فأماتهم على ذلك، فهم في قبورهم ينعمون، وعند المحشر يبشرون، وفي الموقف إلى الله تعالى بأعينهم ينظرون. اهـ (الشريعة/٢٠٤).

وقال الإسماعيلي أبو بكر أحمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ويعتقدون جواز الرؤية من العباد المتقين لله عز وجل في القيامة دون الدنيا، ووجوبها لمن جعل ذلك ثواباً له في الآخرة،كما

=

=

قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة/٢٢:٢٣). اهـ (اعتقاد أهل السنة/٤٢).

وقال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ويُعلم بعد ذلك، أنه يتجلى لعباده المؤمنين يوم القيامة، فيرونه ويراهم...الخ. اهـ (الإبانة الصغرى:٢/٥٥٩).

وقد نقل اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كعادته الإجماع على جواز الرؤية، فقال: سياق ما روى عن النبي ﷺ، وعن الصحابة والتابعين في رؤية المؤمنين الرب عز وجل. اهـ (شرح أصول الاعتقاد:٢/١٤٠).

وذكر جملة كبيرة من الصحابة والتابعين وتابعيهم في ثبوت رؤية الله عز وجل يوم القيامة.

فهذه قطرة من غيث، وإلا فلو أردنا جمع أقوال كل عالم لاحتجنا إلى قراطيس لا نهاية لها، لأن أهل السنة لا عدد لهم.

ومستند هذا الإجماع هو الكتاب والسنة، ولنذكر بعض من أدلة الكتاب والسنة، ليهلك من هلك عن بينة، ولينجو من نجا عن بينة.

قال الله عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة/٢٢:٢٣)، وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ (المطففين/١٥:١٦)، فلما حجب الفجار؛ دل على أن المؤمنين يرونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ومن السنة: عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سألنا رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: **"هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟" قال: قلنا لا، فقال: "هَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟"** قال:

=



=

قلنا لا، قال: "**إِنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ ﷻ كَذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**". (البخاري/٦٥٧٣)

وعن عبد الله بن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: "**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ**". (البخاري/٧٤٤٤)

وعن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: "**أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا، لا تُضَامُّونَ أَوْ لا تُضَاهُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لا تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا، ثُمَّ قَالَ: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾** (طه/١٣٠)". (البخاري/٥٧٣)

وعنه أيضاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: "**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَانًا**". (البخاري/٧٤٣٥).

وعن صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ في قول الله عز وجل **﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾** (يونس/٢٦)، قال: "**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ نَادَى مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ، قَالُوا: أَلَمْ يُبَيِّضْ وُجُوهَنَا وَيُنْجِنَا مِنَ النَّارِ وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ**". (الترمذي/٣١٠٥)

المخالفون لأهل السنة في الرؤية:

إن أهل الفرق والضلال اختلفوا في رؤية الله تعالى، فذهبت فرقة منهم وفرطت في الرؤية، فنفت الرؤية بالكلية لشبهات ظنوها أدلة؛ وهم الجهمية وأفراخها.

وذهبت طائفة أخرى وغالت في إثبات الرؤية، حتى قالوا بجواز رؤية الله عز وجل في الدنيا، وهم القبوريون وأهل وحدة الوجود.



=

وتنقسم شبهات هذه الفرقة إلى قسمين:

أولاً: شبهات عقلية.

ثانياً: شبهات نقلية.

أولاً: الشبهات العقلية:

قالت النفاة من الجهمية والمعتزلة وغيرهم: لو كان الله يُرى في الآخرة لكان في جهة، وما كان في جهة فهو جسم، وذلك على الله محال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فيقال لهؤلاء: أنتم لم تنفوا ما نفيتموه بكتاب ولا سنة ولا إجماع، فإن هذه الألفاظ ليس لها وجود في النصوص، بل قولكم: لو رؤي لكان في جهة وما كان في جهة فهو جسم وما كان جسم فهو محدث كلام تدعون أنكم علمتم صحته بالعقل، حينئذ فتطالبون بالدلالة العقلية على هذا النفي وينظر فيه بنفس العقل، ومن عارضكم من المثبتة أهل الكلام من المرجئة وغيرهم كالكرامية والهشّامية.

وقال لكم: فليكن هذا لازما للرؤية وليكن هو جسما، أو قال لكم: أنا أقول إنه جسم وناظركم على ذلك بالمعقول وأثبته بالمعقول كما نفيتموه بالمعقول، لم يكن لكم أن تقولوا له: أنت مبتدع في إثبات الجسم، فإنه يقول لكم: وأنتم مبتدعون في نفيه، فالبدعة في نفيه كالبدعة في إثباته، وإن لم تكن أعظم بل النافي أحق بالبدعة من المثبت؛ لأن المثبت أثبت ما أثبتته النصوص، وذكر هذا معاضدة للنصوص، وتأييدا لها، وموافقة لها، وردا على من خالف موجبها، فإن قدر أنه ابتدع في ذلك؛ كانت بدعته أخف من بدعة من نفى ذلك نفيا عارض به النصوص، ودفع موجبها ومقتضاها، فإن ما خالف النصوص فهو بدعة

=

=

باتفاق المسلمين، وما لم يعلم أنه خالفها فقد يسمى بدعة.

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: البدعة بدعتان: بدعة خالفت كتابا أو سنة أو إجماعا أو أثرا عن بعض أصحاب رسول الله عز وجل، فهذه بدعة ضلالة، وبدعة لم تخالف شيئا من ذلك، فهذه قد تكون حسنة لقول عمر: نعمت البدعة هذه، هذا الكلام أو نحوه رواه البيهقي بإسناده الصحيح في المدخل.

ومن المعلوم أن قول نفاة الرؤية والصفات والعلو على العرش والقائلين بأن الله لم يتلكم، بل خلق كلاما في غيره، ونفيهم ذلك لأن إثبات ذلك تجسيم هو إلي مخالفة الكتاب والسنة والإجماع السلفي والآثار أقرب من قول من أثبت ذلك، وقال -مع ذلك- ألفاظا يقول: إنها توافق معنى الكتاب والسنة، لا سيما والنفاة متفقون على أن ظواهر النصوص تجسيم عندهم، وليس عندهم بالنفي نص، فهم معترفون بأن قولهم هو البدعة، وقول منازعهم أقرب إلى السنة.

ومما يوضح هذا أن السلف والأئمة كثر كلامهم في ذم الجهمية النفاة للصفات، وذموا المشبهة أيضا، وذلك في كلامهم أقل بكثير من ذم الجهمية، لأن مرض التعطيل أعظم من مرض التشبيه، وأما ذكر التجسيم وذم المجسمة فهو لا يعرف في كلام أحد من السلف والأئمة، كما لا يعرف في كلامهم أيضا القول بأن الله جسم أو ليس بجسم، بل ذكروا في كلامهم الذي أنكروه على الجهمية نفي الجسم، كما ذكره أحمد في كتاب الرد على الجهمية: ولما ناظر برغوث وألزمه بأنه جسم امتنع أحمد من موافقته على النفي والإثبات وقال: هو أحد صمد لم يلد ولم يولد لم يكن له كفوا أحد. اهـ (درء تعارض العقل والنقل:١/٢٤٢:٢٤٣)

=



=

ومن شبهاهم أن قالوا: الرؤية بمعنى العلم، كقولنا: رأيت زيداً عالماً.

قال ابن فورك، وهذا من جميل كلامه: وقد تأولت المعتزلة ذلك على معنى رؤية العلم، وأن المؤمنين يعرفون الله يوم القيامة ضرورة، وهذا خطأ من قبل أن الرؤية إذا كانت بمعنى العلم تعدت إلى مفعولين، وذلك كما قال القائل: رأيت زيدا فقيها؛ أي علمته كذلك.

ثانياً: الشبهات النقلية:

قالوا: إن الله عز وجل قال لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما سأل النظر إليه: ﴿**وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي**﴾ (الأعراف/١٤٣)، فنفى عن نفسه جواز الرؤية إليه.

قال الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ: قلنا هذا لنا عليكم لا لكم، إنما قال: لن تراني في الدنيا، لأن بصر موسى من الأبصار التي كتب الله عليها الفناء في الدنيا فلا تحمل النظر إلى نور البقاء، فإذا كان يوم القيامة؛ رُكبت الأبصار والأسماع للبقاء فاحتملت النظر إلى الله عز وجل بما طوقها الله، ألا ترى أنه يقول: ﴿**فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي**﴾، ولو قد شاء لاستقر الجبل ورآه موسى، ولكن سبقت منه الكلمة؛ أن لا يراه أحد في الدنيا، فلذلك قال: ﴿**لَنْ تَرَانِي**﴾، فأما في الآخرة، فإن الله تعالى ينشىء خلقه فيركب أسماعهم وأبصارهم للبقاء فيراه أولياؤه جهرا كما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. اهـ (الرد على الجهمية/١٠٦)

قال ابن أبي العز رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما استدلال المعتزلة بقوله تعالى: ﴿**قَالَ لَنْ تَرَانِي**﴾، فهي دليل عليهم، فالاستدلال -بالآية- على ثبوت رؤيته من وجوه:

=

=

أحدها: أنه لا يظن بكليم الله ورسوله الكريم وأعلم الناس بربه في وقته - أن يسأل ما لا يجوز عليه، بل هو عندهم من أعظم المحال.

الثاني: أن الله لم ينكر عليه سؤاله، ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر سؤاله، وقال: ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (هود/٤٦).

الثالث: أنه تعالى قال: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾، ولم يقل: إني لا أُرى، أو لا تجوز رؤيتي، أو لست بمرئي، والفرق بين الجوابين ظاهر، ألا ترى أن من كان في كمه حجر فظنه رجل طعاما فقال: أطعمنيه، فالجواب الصحيح: أنه لا يؤكل، أما إذا كان طعاما صح أن يقال: إنك لن تأكله. وهذا يدل على أنه سبحانه مرئي، ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار، لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى، يوضح؛

الرابع: وهو قوله: ﴿وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ (الأعراف/١٤٣)، فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلي في هذه الدار، فكيف بالبشر الذي خلق من ضعف؟

الخامس: أن الله سبحانه قادر على أن يجعل الجبل مستقرا، وذلك ممكن، وقد علق به الرؤية، ولو كانت محالا لكان نظير أن يقول: إن استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام، والكل عندهم سواء.

السادس: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾، فإذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلى لرسله وأوليائه في دار كرامته؟ ولكن الله تعالى أعلم موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار، =

=

فالبشر أضعف.

السابع: أن الله كلم موسى وناداه وناجاه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبه كلامه بغير واسطة؛ فرؤيته أولى بالجواز، ولهذا لا يتم إنكار رؤيته إلا بإنكار كلامه، وقد جمعوا بينهما.

وأما دعواهم تأييد النفي بـ(لن) وأن ذلك يدل على نفي الرؤية في الآخرة، ففاسد، فإنها لو قيدت بالتأبيد لا يدل على دوام النفي في الآخرة، فكيف إذا أطلقت؟ قال تعالى: ﴿**وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً**﴾ (البقرة/٩٥)، مع قوله: ﴿**وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ**﴾ (الزخرف/٧٧)، ولأنها لو كانت للتأبيد المطلق لما جاز تحديد الفعل بعدها، وقد جاء ذلك، قال تعالى: ﴿**فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي**﴾ (يوسف/٨٠)، فثبت أن (لن) لا تقتضي النفي المؤبد، قال الشيخ جمال الدين بن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

ومن رأى النفي بلن مؤبدا فقوله اردد وسواه فاعضدا

(شرح الطحاوية/١٩١:١٩٢).

ومن شبهاتهم أيضاً، احتجاجهم بقوله عز وجل: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ**﴾ (الأنعام/١٠٣)، قالوا: فلما عطف الله عز وجل بقوله: ﴿**وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ**﴾ على قوله: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**﴾، وكان قوله: ﴿**وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ**﴾ على العموم أنه يدركها في الدنيا والآخرة، وأنه يراها في الدنيا والآخرة كان قوله: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**﴾ دليلا على أنه لا تراه الأبصار في الدنيا والآخرة، وكان في العموم كقوله: ﴿**وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ**﴾ لأن أحد الكلامين معطوف على الآخر.

=



=

قال أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قيل لهم: فيجب إذا كان عموم القولين واحدا وكانت الأبصار أبصار العيون وأبصار القلوب، لأن الله تعالى قال: ﴿**فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ (الحج/٤٦)، وقال: ﴿**أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ**﴾ (ص/٤٥)، أي فهي بالأبصار، فأراد أبصار القلوب وهي التي يفضل بها المؤمنون الكافرين، ويقول أهل اللغة: فلان بصير بصناعته يريدون: بصر العلم، ويقولون: قد أبصرته بقلبي كما يقولون قد أبصرته بعيني، فإذا كان البصر بصر العين وبصر القلب، ثم أوجبوا علينا أن يكون قوله تعالى: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**﴾ في العموم كقوله: ﴿**وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ**﴾، لأن أحد الكلامين معطوف على الآخر وجب عليهم بحجتهم أن الله تعالى لا يدرك بأبصار العيون ولا بأبصار القلوب لأن قوله: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**﴾ في العموم، كقوله: ﴿**وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ**﴾، وإذا لم يكن عندهم هكذا فقد وجب أن يكون قوله تعالى: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**﴾ أخص من قوله: ﴿**وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ**﴾ وانتقض احتجاجهم.

وقيل لهم: إنكم زعمتم أنه لو كان قوله: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**﴾ خاصا في وقت دون وقت لكان قوله: ﴿**وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ**﴾ خاصا في وقت دون وقت، وكان قوله: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ (الشورى/١١)، وقوله: ﴿**لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ**﴾ (البقرة/٢٥٥)، وقوله: ﴿**لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً**﴾ (يونس/٤٤) في وقت دون وقت، فإن جعلتم قوله تعالى: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**﴾ خاصا رجع احتجاجكم عليكم، وقيل لكم: إذا كان قوله: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**﴾ خاصا ولم يجب خصوص هذه الآيات، فلم أنكرتم أن يكون قوله عز وجل: ﴿**لا تُدْرِكُهُ**

=



=
الأَبْصَارُ﴾ إنما أراد في الدنيا دون الآخرة؟ وكما أن قوله: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**﴾ أراد بعض الأبصار دون بعض، ولا يوجب ذلك تخصيص هذه الآيات التي عارضتمونا بها.

فإن قالوا: قوله تعالى: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**﴾ يوجب أن لا يدرك بها في الدنيا والآخرة، وليس ينفي ذلك أن نراه بقلوبنا ونبصره بها ولا ندركه بها.

قيل لهم: فما أنكرتم أن يكون لا تدركه بإبصار العيون لا يوجب إذا لم ندركه بها أن لا نراه، فرؤيتنا له بالعيون وإبصارنا له بها ليس بإدراك له بها كما أن إبصارنا له بالقلوب ورؤيتنا له بها ليس بإدراك له بها.

فإن قالوا: رؤية البصر هي إدراك البصر.

قيل لهم: ما الفرق بينكم وبين من قال: إن رؤية القلب وإبصاره هو إدراكه وإحاطته، فإذا كان علم القلب بالله عز وجل، وإبصار القلب له رؤيته إياه ليس بإحاطة، ولا إدراك فما أنكرتم أن يكون رؤية العيون وإبصارها لله عز وجل ليس بإحاطة ولا إدراك، ويقال لهم: إذا كان قول الله سبحانه: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**﴾ في العموم، كقوله: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**﴾ لأن أحد الكلامين معطوف على الآخر، فخبرونا أليس الأبصار والعيون لا تدركه رؤية ولا لمسا ولا ذوقا ولا على وجه من الوجوه؟

فمن قولهم: نعم.

فيقال لهم: أخبرونا عن قوله تعالى: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**﴾، أتزعمون أنه يدركها لمسا وذوقا بأن يلمسها؟ فمن قولهم: لا.

فيقال لهم: فقد انتقض قولكم: إن قوله: ﴿**وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ**﴾ في العموم كقوله:
=

=

﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾.

إذا قال قائل منهم: إن البصر في الحقيقة هو بصر العين لا بصر القلب.

قيل له: ولم زعمت هذا، وقد سمى أهل اللغة بصر القلب بصرا كما سموا بصر العين بصرا، وإن جاز لك ما قلته جاز لغيركم أن يزعم أن البصر في الحقيقة هو بصر القلب دون العين، وإذا لم نجز هذا فقد وجب أن البصر بصر العين وبصر القلب، ويقال لهم: حدثونا عن قول الله عز وجل: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ ما معناه؟

فإن قالوا: معنى ﴿يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ أنه يعلمها.

قيل لهم: وإذا كان أحد الكلامين معطوفا على الآخر، وكان قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ معناه يعلمها، فقد وجب أن يكون قوله تعالى: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ لا تعلمه، وهذا نفي للعلم لا لرؤية الأبصار.

فإن قالوا: معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ أنه يراها رؤية ليس معناها العلم.

قيل لهم: فالأبصار التي في العيون يجوز أن ترى؟

فإن قالوا: نعم نقضوا قولهم: إنا لا نرى بالبصر إلا من جنس ما نرى الساعة، فإن جاز أن يرى الله وكل ما ليس من جنس المرئيات وهو الإبصار الذي في العين، فلم لا يجوز أن يرى نفسه وإن لم يكن من جنس المرئيات؟ ولم لا يجوز أن يرينا نفسه وإن لم يكن من جنس المرئيات؟

ويقال لهم: حدثونا إذا رأينا شيئا فبصرنا يراه أو إنما يراه الرائي دون البصر؟

فمن قولهم: إنه محال أن يرى البصر الذي في العين.

=



=

فيقال لهم: الآية تنفي أن تراه الأبصار ولا تنفي أن يراه المبصرون، وإنما قال الله: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**﴾، فهذا يدل على أن المبصرين لا يرونه على ظاهر الآية الشريفة. اهـ (الإبانة عن أصول الديانة/ ٦٥:٦٨)

قال ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فقوله: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**﴾، يدل على كمال عظمته، وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لكمال عظمته لا يدرك بحيث يحاط به، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد على الرؤية، كما قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ**﴾ (الشعراء/٦١) ﴿**قَالَ كَلَّا**﴾ (الشعراء/٦٢)، فلم ينف موسى الرؤية، وإنما نفى الإدراك، فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه، فالرب تعالى يرى ولا يدرك، كما يعلم ولا يحاط به علما، وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية، كما ذكرت أقوالهم في تفسير الآية، بل هذه الشمس المخلوقة لا يتمكن رائيها من إدراكها على ما هي عليه. اهـ (شرح الطحاوية/١٩٢:١٩٣)

ومن شبهاتهم، قالوا معنى قوله تعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ (القيامة/٢٣)، قالوا: النظر هنا نظر الانتظار.

قال الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولا يجوز أن يكون عنى نظر الانتظار، لأن النظر إذا ذكر مع ذكر الوجه فمعناه: نظر العينين اللتين في الوجه، كما إذا ذكر أهل اللسان نظر القلب، فقالوا: انظر في هذا الأمر بقلبك، لم يكن معناه نظر العينين، وكذلك إذا ذكر النظر مع الوجه، لم يكن معناه نظر الانتظار الذي يكون للقلب، وأيضا فإن نظر الانتظار لا يكون في الجنة، لأن الانتظار معه تنغيص وتكدير، وأهل الجنة في ما لا عين رأت ولا أذن

=



=

سمعت من العيش السليم والنعيم المقيم، وإذا كان هذا هكذا لم يجز أن يكونوا منتظرين، لأنهم كلما خطر ببالهم شيء أتوا به مع خطوره ببالهم، وإذا كان ذلك كذلك، فلا يجوز أن يكون الله عز وجل أراد نظر التعطف لأن الخلق لا يجوز أن يتعطفوا على خالقهم، وإذا فسدت الأقسام الثلاثة صح القسم الرابع من أقسام النظر؛ وهو أن معنى قوله: ﴿**إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ أنها رائية ترى ربها عز وجل.

ومما يبطل قول المعتزلة: أن الله عز وجل أراد بقوله : ﴿**إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ نظر الانتظار أنه قال: ﴿**إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾، ونظر الانتظار لا يكون مقرونا بقوله: (إلى)، لأنه لا يجوز عند العرب أن يقولوا في نظر الانتظار: (إلى)، ألا ترى أن الله تعالى لما قال: ﴿**مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً**﴾ (يس/٤٩) لم يقل: (إلى) إذ كان معناه الانتظار، وقال عز وجل مخبرا عن بلقيس: ﴿**فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ**﴾ (النمل/٣٥)، فلما أرادت الانتظار لم تقل: (إلى)، وقال امرؤ القيس:

فإنكما إن تنظراني ساعة من ... الدهر تنفعني لدى أم جندب

فلما أراد الانتظار لم يقل: (إلى)، فلما قال سبحانه: ﴿**إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ علمنا أنه لم يرد الانتظار وإنما أراد نظر الرؤية، ولما قرن الله عز وجل النظر بذكر الوجه، أراد نظر العينين اللتين في الوجه كما قال: ﴿**قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا**﴾ (البقرة/١٤٤) فذكر الوجه، وإنما أراد تقلب عينيه نحو السماء ينظر نزول الملك عليه يصرف الله تعالى له عن قبلة بيت المقدس إلى القبلة.

فإن قيل: لم قلتم: إن قوله تعالى: ﴿**إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ إنما أراد إلى ثواب ربها ناظرة؟

=



=

قيل له: ثواب الله غيره، والله سبحانه وتعالى قال: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، ولم يقل: إلى غيره ناظرة، والقرآن العزيز على ظاهره، وليس لنا أن نزيله عن ظاهره إلا بحجة، وإلا فهو على ظاهره، ألا ترى أن الله عز وجل لما قال: صلوا لي واعبدوني لم يجز أن يقول قائل: إنه أراد غيره ويزيل الكلام عن ظاهره، فلذلك لما قال: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ لم يجز لنا أن نزيل القرآن عن ظاهره بغير حجة. اهـ (الإبانة عن أصول الديانة/٥٧:٥٩)

قال الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعم تنتظر ثواب ربها، ولا ثواب أعظم من النظر إلى وجهه تبارك وتعالى. اهـ (الرد على الجهمية/١٠٨)

ومن شبهاتهم: قالوا معنى قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ نظر التفكر والاعتبار.

قال البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يجوز أن يكون الله سبحانه عنى بقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ نظر التفكر والاعتبار؛ لأن الآخرة ليست بدار استدلال واعتبار، وإنما هي دار اضطرار، ولا يجوز أن يكون عنى نظر الانتظار؛ لأنه ليس في شيء من أمر الجنة انتظار؛ لأن الانتظار معه تنغيص وتكدير، والآية خرجت مخرج البشارة، وأهل الجنة فيما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من العيش السليم والنعيم المقيم، فهم ممكنون مما أرادوا وقادرون عليه، وإذا خطر ببالهم شيء أتوا به مع خطوره ببالهم، وإذا كان كذلك لم يجز أن يكون الله أراد بقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ نظر الانتظار. اهـ (الاعتقاد/١٢٣)

ومن شبهاتهم، قولهم في قوله ﷺ: "**تَرَوْنَ رَبَّكُمْ لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**": تعلمون أن لكم ربا لا تشكون فيه، كما أنكم لا تشكون في القمر أنه قمر، لا على أن أبصار المؤمنين تدركه جهرة يوم القيامة، لأنه نفى ذلك عن نفسه بقوله: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ قالوا:

=

=

وليس على معنى قول المشبهة، فقوله: "**تَرَوْنَ رَبَّكُمْ**" تعلمون أن لكم ربا لا يعتريكم فيه الشكوك والريب، ألا ترون أن الأعمى يجوز أن يقال ما أبصره أي ما أعلمه، وهو لا يبصر شيئا، ويجوز أن يقول الرجل قد نظرت في المسألة وليس للمسألة جسم ينظر إليه، فقوله نظرت فيها رأيت فيها، فتوهمت المشبهة الرؤية جهرة وليس ذلك من جهة العيان.

قال الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فيقال لك أيها (الجهمي) أقررت بالحديث وثبته عن رسول الله ﷺ، فأخذ الحديث بحلقك؛ لما أن رسول الله ﷺ قد قرن التفسير بالحديث فأوضحه ولخصه يجمعها جميعا إسناد واحد؛ حتى لم يدع لمتأول فيه مقالا، فأخبر أنه رؤية العيان نصا، كما توهم هؤلاء الذين تسميهم بجهلك مشبهة، فالتفسير فيه مأثور مع الحديث، وأنت تفسره بخلاف ما فسر الرسول ﷺ من غير أثر تأثير عمن هو أعلم منك، فأي شقي من الأشقياء، وأي غوي من الأغوياء، يترك تفسير رسول الله ﷺ المقرون بحديثه المعقول عند العلماء الذي يصدقه ناطق الكتاب، ثم يقبل تفسيرك المحال الذي لا تأثره إلا عمن هو أجهل منك وأضل، أليس قد أقررت أن النبي ﷺ قال: "**تَرَوْنَ رَبَّكُمْ لاَ تُضَامُّونَ فِيهِ كَمَا لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْشَمْسِ وَالْقَمَرِ**"، وإنما قال النبي ﷺ لأصحابه لا تشكون يوم القيامة في ربوبيته، وهذا التفسير مع ما فيه من معاندة الرسول ﷺ محال خارج عن المعقول، لأن الشك في ربوبية الله عز وجل زائل عن المؤمن والكافر يوم القيامة، فكل مؤمن وكافر يومئذ يعلم أنه ربه لا يعتريهم في ذلك شك، فيقبل الله ذلك من المؤمنين ولا يقبله من الكافرين، ولا يعذرهم يومئذ بمعرفتهم ويقينهم به، فما فضل المؤمن على الكافر يوم القيامة عندك في معرفة الرب تعالى إذ مؤمنهم وكافرهم لا يعتريه

=



=

في ربوبيته شك، أو ما علمت أيها (الجهمي) أنه من مات ولم يعرف قبل موته أن الله ربه في حياته حتى يعرفه بعد مماته فإنه يموت كافرا ومصيره النار أبدا، ولن ينفعه الإيمان يوم القيامة بما يرى من آياته إن لم يكن آمن به من قبل، فما موضع بشرى رسول الله المؤمنين برؤية ربهم يوم القيامة، إذ كل مؤمن وكافر في الرؤية يومئذ سواء عندك، إذ كل لا يعتريه فيه شك ولا ريبة، أولم تسمع أيها (الجهمي) قول الله تعالى: ﴿**رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ**﴾ (السجدة/١٢)، ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا**﴾ (الأنعام/٣٠)، فقد أخبر الله عز وجل عن الكفار أنهم به يومئذ موقنون، فكيف المؤمنون من أصحاب رسول الله ﷺ الذين سألوه هل نرى ربنا، وقد علموا قبل أن يسألوه أن الله ربهم لا يعتريهم في ذلك شك ولا ريب، أولم تسمع ما قال الله تعالى: ﴿**يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً**﴾ (الأنعام/١٥٨) يقال في تفسيره إنه طلوع الشمس من مغربها، فإذا لم ينفع الرجل إيمانه عند الآيات التي في الدنيا، فكيف ينفعه يوم القيامة فيستحق بها النظر إلى الله تعالى؟ فاعقل أيها الجهمي ما يجلب عليك كلامك من الحجج الآخذة بحلقك. اهـ (نقض الدارمي/٥٦)، والله أعلم

[الجَنَّةُ والنَّارُ]

وَيَشْهَدُ أَهْلُ السُنَّةِ أَنَّ الجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخْلُوقتَانِ، وَأَنَّهُمَا بَاقِيَتَانِ لاَ يَفْنيَانِ أَبدَاً، وَأَنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ لاَ يَخْرُجُونَ مِنهَا أَبدَاً، وَكَذَلِكَ أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا خُلِقُوا لَهَا، لاَ يَخْرُجُونَ مِنهَا أَبدَاً، وَأَنَّ المُنَادِي يُنَادِي يَوْمَئِذٍ: "**يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ وَلا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ وَلا مَوْتَ**".

عَلَى مَا وَرَدَ بِهِ الخَبَرُ الصَّحِيحُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.(١)

---

(١) أجمع أهل السنة والجماعة، بل أهل الأرض جميعاً، غير منكري الحقائق والبعث؛ أن هناك جنة ونار، مع اختلاف تفسيراتهم لمعنى الجنة والنار، ولكنهم متفقون على أن هناك جنة ونار في الآخرة.

والإيمان بالجنة والنار، هو من الإيمان باليوم الآخر، وهو ركن من أركان الإسلام، كما في حديث جبريل، وقد قال رسول الله ﷺ: "**مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ؛ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ الْعَمَلِ**". (البخاري/٣٤٣٥)

فالجنة أعدت للمتقين، والنار أعدت للكافرين، وهما حق لا امتراء فيه، أعد الله الجنة وجعلها دار أوليائه الضعفاء، وأعد النار وجعلها دار أعدائه الفجار.

قال الله تعالى: ﴿**فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤) وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا**

=



=

الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة/٢٤:٢٥)، وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢) وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران/١٣١:١٣٣).

وقال رسول الله ﷺ: "تَحَاجَّتْ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتْ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ؟ وَقَالَتْ الْجَنَّةُ: مَا لِي لا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ؟ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا" (البخاري/٤٨٥٠).

وقال ﷺ: "وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ" (البخاري/٦٣١٧).

ومن الإيمان بالجنة والنار، الإيمان بوجودهما الآن، قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران/١٣٣)، وقال تعالى: ﴿لا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة/١٧)، وقال تعالى في ذكر رحلة المعراج: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ (النجم/١٣:١٥).

وقال رسول الله ﷺ: "لَنْ يُقْبَضَ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنْ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخَيَّرُ" (البخاري/٦٣٤٨).

وعن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: "اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ" (البخاري/٦٤٤٩).

=

=

وقال ﷺ: "إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ فَتَنَاوَلْتُ عُنْقُودًا وَلَوْ أَصَبْتُهُ لأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتْ الدُّنْيَا، وَأُرِيتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ" (البخاري/١٠٥٢).

ومن الإيمان بها كما قال الإمام الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، (وَأَنَّهُمَا بَاقِيَتَانِ لاَ يَفْنيَانِ أَبَدًا، وَأَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لاَ يَخْرُجُونَ مِنْهَا أَبَدًا)، مخلدين فيها لا يموتون، وأن أهل النار فيها إلى أبد الآبدين، مخلدين فيها لا يموتون.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (آل عمران/١٥)، وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (آل عمران/١٣٦)، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٨) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (النساء/١٦٩)، وقال عز وجل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ (التوبة/٦٨).

وقال في النعيم: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ (الرعد/٣٥)، وقال: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (٤٩) جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ (٥٠) مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (٥١) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ (٥٢) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ (٥٣) إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ (ص/٥٤).

وقال رسول الله ﷺ: "يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ،

=



=

فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلا مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ وَهَؤُلاءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا ﴿وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (مريم/٣٩)" (البخاري/٤٧٣٠).

ومن الإيمان بالجنة والنار معرفة أوصافهما، وحتى لا يطول بنا الكتاب، فيكفي الإشارة إلى أهم الكتب في هذا الباب، فليراجع [حادي الأرواح] لابن القيم، و [الجنة والنار] للصلابي.

ومن تمام الفائدة أنقل بعضا من أقوال أهل العلم في الجنة والنار.

قال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن من السنة...والإيمان بأن الجنة حق والنار حق، وأنهما مخلوقتان الجنة في السماء السابعة، وسقفها العرش، والنار تحت الأرض السابعة السفلى، وهما مخلوقتان، قد علم الله تعالى عدد أهل الجنة ومن يدخلها وعدد أهل النار ومن يدخلها، لا تفنيان أبدا، بقاؤهما مع بقاء الله أبد الآبدين ودهر الداهرين، وآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان في الجنة الباقية المخلوقة، فأخرج منها بعدما عصى الله عز وجل. اهـ (شرح السنة/٣١).

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أصول السنة: والجنة والنار مخلوقتان، قد خلقتا، كما جاء عن رسول الله ﷺ. اهـ (أصول السنة/١٢٧).

وقال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كتاب الإيمان والتصديق بأن الجنة والنار مخلوقتان وأن نعيم الجنة لا ينقطع عن أهلها أبدا وأن عذاب النار لا ينقطع عن أهلها أبدا.

=



=

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلموا رحمنا الله وإياكم أن القرآن شاهد أن الله عز وجل خلق الجنة والنار قبل أن يخلق آدم عليه الصلاة والسلام، وخلق للجنة أهلا، وللنار أهلا، قبل أن يخرجهم إلى الدنيا، لا يختلف في هذا من شمله الإسلام، وذاق حلاوة طعم الإيمان، دل على ذلك القرآن والسنة، فنعوذ بالله ممن يكذب بهذا. اهـ (الشريعة/٣١٤).

المخالفون لأهل السنة في مسألة الجنة والنار:

أولاً: المعتزلة.

قال الشهرستاني، وقد ذكر فرق المعتزلة ومنهم الهشامية، أتباع هشام بن عمرو الفوطي، أن من أقواله وبدعه: أن الجنة والنار ليستا مخلوقتين الآن؛ إذ لا فائدة في وجودهما وهما خاليتان ممن ينتفع ويتضرر بهما. اهـ (الملل والنحل/٤٨).

وقال البغدادي عن الفوطي أيضاً: الفضيحة السابعة من فضائح الفوطي: قوله بتكفير من قال: إن الجنة والنار مخلوقتان، وأخلافه من المعتزلة شكوا في وجودهما اليوم ولم يقولوا بتكفير من قال إنهما مخلوقتان. اهـ (الفرق بين الفرق/١٢٥).

فهؤلاء المعتزلة سبب قولهم هذا هو عدم إيمانهم بالغيبيات، لأنهم يؤمنون بما هو مشاهد فقط، وعندنا في أزماننا أفراخ لهم، يسمون عقليون.

وقد ذكر الإمام الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الشريعة: كتاب الإيمان والتصديق بأن الجنة والنار مخلوقتان، وأن نعيم الجنة لا ينقطع عن أهلها أبداً، وأن عذاب النار لا ينقطع عن أهلها أبداً، ثم ذكر قول الله تعالى وإسكانه آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الجنة، وحديث: "**لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْجُنَّةَ**"، وغير ذلك، ثم قال: هذه السنن وغيرها مما يطول ذكرها تدل العقلاء وغيرهم ممن لم

=



=

يكتب القلم على أن الله عز وجل قد خلق الجنة والنار. اهـ (الشريعة/٣١٤).

وفي رسالة الإمامين الرازيين؛ أبي زرعة وأبي حاتم رحمهما الله، قالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازا وشاما ويمنا، فكان من مذهبهم...الجنة والنار حق، وهما مخلوقتان لا يفنيان أبداً. اهـ (شرح أصول الاعتقاد/١/٢٨٩).

وقال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ذهبت طائفة من المعتزلة والخوارج إلى أن الجنة والنار لم يخلقا بعد، وذهب جمهور المسلمين إلى أنهما خلقتا، وما نعلم لمن قال: إنهما لم يخلقا بعد حجة أصلاً، أكثر من أن بعضهم قال: قد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال، وذكر أشياء من أعمال البر، من عملها غرس له في الجنة كذا وكذا شجرة، وبقول الله تعالى حاكيا عن امرأة فرعون أنها قالت: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ﴾ (التحريم/١١).

قالوا: ولو كانت مخلوقة؛ لم يكن في الدعاء في استئناف البناء والغرس معنى.

قال أبو محمد: وإنما قلنا أنهما مخلوقتان على الجملة، كما أن الأرض مخلوقة، ثم يحدث الله تعالى فيها ما يشاء من البنيان.

قال أبو محمد: والبرهان على أنهما مخلوقتان بعد إخبار النبي ﷺ أنه رأى الجنة ليلة الإسراء، وأخبر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه رأى سدرة المنتهى في السماء السادسة، وقال تعالى: ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ (النجم/١٣:١٤).

فصح أن جنة المأوى هي السماء السادسة وقد أخبر الله عز وجل أنها الجنة التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة، قال تعالى: ﴿فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلاً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة/١٩) فليس لأحد بعد هذا أن يقول أنها جنة غير جنة الخلد. اهـ (الفصل:٢/٥٠٥:٥٠٩).

=



=

قلت استشهاد ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ صحيح، إلا أنَّ سدرة المنتهي ليست في السماء السادسة، وقد وردت الروايات أنها في السادسة وأنها في السابعة، والجميع بينهما كما ذكره العلماء؛ أن أصلها في السادسة وفروعها في السابعة، وبهذا لا تكون الجنة في السادسة، ولكن على قول من يقول إن سدرة المنتهى في السادسة فالجنة فيها إذاً، والله أعلم.

ثانياً: الجهمية.

الجهمية كالمعتزلة في عدم خلق الجنة والنار، ولكن زادوهم بفنائها، وأن النار ستفنى وكذلك الجنة، وقد خرج نابغة من النوابغ، قال: الجنة والنار باقيتان، إلا أن حركات سكانهم ستفنى، وهو العلاف.

قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اتفقت فرق الأمة كلها على أنه لا فناء للجنة ولا لنعيمها ولا للنار ولا لعذابها، إلا جهم بن صفوان وأبا الهذيل العلاف وقوما من الروافض.

فأما جهم فقال: أن الجنة والنار يفنيان ويفنى أهلهما.

وقال أبو الهذيل: أن الجنة والنار لا يفنيان ولا يفنى أهلها، إلا أن حركاتهم تفنى، ويبقون بمنزلة الجماد لا يتحركون، وهم في ذلك أحياء متلذذون أو معذبون.

وقالت تلك الطائفة من الروافض: أن أهل الجنة يخرجون من الجنة وكذا أهل النار من النار إلى حيث شاء الله.

قال أبو محمد: أما هذه المقالة ففي غاية الغثاثة والتعري من شيء يشغب به، فكيف من إقناع أو برهان، وما كان هكذا فهو ساقط. اهـ (الفصل:٢/٥٠٩).

=



=

قال الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الذي تفرد به جهم القول: بأن الجنة والنار تبيدان وتفنيان. اهـ

(مقالات الإسلاميين/ ١٦٤).

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الرد على الجهمية في هذه المسألة بفناء الجنة والنار: وزعموا أن الله هو الأول قبل الخلق، فقد صدقوا، وقالوا: يكون الآخر بعد الخلق، فلا يبقى سماء، ولا أرض، ولا جنة، ولا نار، ولا ثواب، ولا عقاب، ولا عرش، ولا كرسي، وزعموا أن شيئاً مع الله؛ لا يكون هو الآخر كما كان، فأضلوا بهذا بشراً كثيراً.

فقلنا: أخبرنا الله عن الجنة ودوام أهلها فيها، فقال: ﴿لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾ (التوبة/٢١)، فإذا قال الله جلّ وجهه: ﴿مُقِيمٌ﴾، وقال: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾ (النساء/٥٧)، وقال: ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ﴾ (الرعد/٣٥)، فإذا قال الله: ﴿دَائِمٌ﴾ لا ينقطع أبداً، وقال: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ (العنكبوت/٦٤)، وقال: ﴿مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً﴾ (الكهف/٣)، وقال: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (آل عمران/١٠٧)، وقال: ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ﴾ (الواقعة/٣٢:٣٣)، ومثله في القرآن كثير.

وذكر أهل النار فقال: ﴿لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ (فاطر/٣٦)، وقال: ﴿أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي﴾ (العنكبوت/٢٣)، وقال: ﴿لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ (الأعراف/٤٩)، وقال: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾ (الزخرف/٧٧)، وقال: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾ (إبراهيم/٢١)، وقال: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ (البينة/٦)، وقال: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا﴾ (النساء/٥٦)، وقال: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ

=



=
الْحَرِيقِ﴾ (الحج/٢٢)، ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ﴾ (الهمزة/٨)، ومثله في القرآن كثير.

وأما السماء والأرض فقد بادتا، لأن أهلها صاروا إلى الجنة أو النار، وأما العرش فلا يبيد ولا يذهب، لأنه سقف الجنة، والله عليه، فلا يهلك ولا يبيد. اهـ (قراءة في الرد على الزنادقة والجهمية/١٣٣).

قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقال على بن الحسن: سمعت ابن مصعب يقول: كفر الجهمية في غير موضع من كتاب الله، قولهم: إن الجنة تفنى.

وقال الله: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ (ص/٥٤)، فمن قال: إنها تنفذ فقد كفر، وقال: ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ (الرعد/٣٥)، فمن قال: إنها لا تدوم فقد كفر، وقال: ﴿لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ﴾ (الواقعة/٣٣)، فمن قال إنها تنقطع فقد كفر، وقال: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ (هود/١٠٨)، فمن قال إنها تنقطع فقد كفر، وقال: أبلغوا أنهم كفار، وأن نساءهم طوالق. اهـ (خلق أفعال العباد/٨).

ومما ينبغي أن يعلمه طالب العلم، أن مسألة الجهم والعلاف في فناء الجنة والنار، إنما مصدرهما أيضاً القول بنفي أفعال الله الاختيارية، والذي أداهم بدوره إلى نفي التسلسل، وهي مسألة عويصة، يكفيك منها معرفة سبب الخلاف فقط.



[مَسَائِلُ الإِيمَانِ والكُفْرِ]

وَمِنْ مَذْهَبِ أَهْلِ الْحَدِيثِ أَنَّ الإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَمَعْرِفَةٌ، يَزِيدُ بِالْطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ.(١)

---

(١) الإيمان لغة: مصدر آمن يؤمن إيماناً؛ فهو مؤمن، فهو بمعنى الأمن، وأصله طمأنينة النفس، وزوال الخوف من قلب العبد، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ (قريش/٤)، ومنه المؤمن الذي أمّن نفسه من عذاب الله عز وجل، واسم الله المؤمن؛ الذي أَمِنَ عباده أن يظلمهم.

وقد يرد الإيمان في اللغة بمعنى التصديق، قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومعنى الإيمان عند العرب: التصديق، فيُدعَى المصدِّق بالشيء قولا مؤمنا به، ويُدْعى المصدِّق قوله بفعله، مؤمنا، ومن ذلك قول الله جل ثناؤه: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ (يوسف/١٧)، يعني: وما أنت بمصدِّق لنا في قولنا. اهـ (التفسير:١/١٩٠).

والتصديق هنا أي: الذي يصدق قوله العمل، والأصل في الإيمان الدخول في صدق الأمانة التي ائتمنه الله تعالى عليها؛ فإذا اعتقد التصديق بقلبه كما صدق ذلك بلسانه؛ فقد أدى الأمانة؛ أي: هو مؤمن.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى الإيمان اللُغوي: ومعلومٌ أن الإيمان هو الإقرار؛ لا مجرد التصديق، والإقرار ضمن قول القلب الذي هو التصديق، وعمل القلب الذي هو الانقياد. اهـ (الفتاوى: جـ٧/٤٢٦).

والإيمان شرعاً: اتفق أهل السنة والجماعة قاطبة؛ أن الإيمان هو اعتقاد بالجنان، وقول =

=

باللسان، وعملٌ بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكان الإجماع من الصحابة، والتابعين من بعدهم ممن أدركناهم، أن الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحدٌ من الثلاثة إلا بالآخر. اهـ (شرح أصول الاعتقاد:٥/١٣٩).

قال يحيى بن سليم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سألت عشرة من الفقهاء عن الإيمان، فقالوا: قول وعمل، سألت سفيان الثوري، وسألت ابن جريج، وسألت محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، وسألت المثنى بن الصباح، وسألت نافع بن عمر بن جميل، وسألت محمد بن مسلم الطائفي، وسألت مالك بن أنس، وسألت سفيان بن عيينة. اهـ (شرح أصول الاعتقاد:٥/١٣٠).

وقال أبو ثور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سألت رحمك الله وعفا عنا وعنك عن الإيمان ما هو؟، يزيد وينقص؟ وقول هو أو قول وعمل وتصديق وعمل؟ فأخبرك بقول الطوائف واختلافهم: فاعلم يرحمنا الله وإياك أن الإيمان تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح. اهـ (أصول الاعتقاد:٥/١٣٢).

وقال الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والإيمان قول وعمل ونية، يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ولا يجوز القول إلا بالعمل، ولا يجوز القول والعمل إلا بالنية، ولا يجوز القول والعمل والنية إلا بموافقة السنة. اهـ (أصول الاعتقاد:٥/٢٤٦).

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والإيمان قول وعمل، يزيد وينقص. اهـ (أصول السنة/٧٩).

وقال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلموا رحمنا الله وإياكم أن الذي عليه علماء المسلمين: أن

=

=

الإيمان واجب على جميع الخلق، وهو تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، ثم اعلموا أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقا، ولا تجزيء معرفة بالقلب، ونطق باللسان، حتى يكون عمل بالجوارح، فإذا كملت فيه هذه الثلاث الخصال كان مؤمنا، دل على ذلك القرآن، والسنة، وقول علماء المسلمين. اه (الشريعة/٩٦).

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلم رحمك الله، أن أهل العلم والعناية بالدين، افترقوا في هذا الأمر فرقتين:

١- الإيمان بالإخلاص لله بالقلوب، وشهادة الألسنة، وعمل الجوارح.

٢- وقالت الفرقة الأخرى: بل الإيمان بالقلوب، والألسنة، فأما الأعمال؛ فإنما هي تقوى وبر، وليست من الإيمان.

وإنا نظرنا في اختلاف الطائفتين، فوجدنا الكتاب والسنة يصدقان الطائفة التي جعلت الإيمان، بالنية، والقول، والعمل جميعاً، وينفيان ما قالت الأخرى. اه (الإيمان/٢٨:٢٩).

وكلام الأئمة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ في هذا الباب كثير.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأجمع السلف؛ أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، ومعنى ذلك أنه قول القلب، وعمل القلب، ثم قول اللسان، وعمل الجوارح. اه (الفتاوى:جـ٧/٤٤٦).

مما سبق يتبين لنا؛ أن الإيمان عند أهل السنة والجماعة له أركان ثلاث مرتبطة بعضها ببعض، إذا زال منه ركن هُدم وبَطل:

=

=

١- اعتقاد القلب.   ٢- قول اللسان.   ٣- عمل الجوارح.

وقد دل الكتاب والسنة على ثبوت هذه الأركان الثلاثة:

أولاً: أدلة الاعتقاد بالقلب (الركن الأول):

قال تعالى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الأِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الحجرات/١٤)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ (المائدة/٤١).

وعن أبي برزة الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول ﷺ: "يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ قَلْبَهُ، لاَ تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلاَ تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ؛ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ؛ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ" (أبو داود/٤٨٨٠).

ثانياً: أدلة قول اللسان (الركن الثالث):

قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة/١٣٦).

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: "أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا وَصَلَّوْا صَلاتَنَا وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا وَذَبَحُوا ذَبِيحَتَنَا فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ" (البخاري/٣٩٣).

=

=

ثالثاً: أدلة العمل (الركن الثالث):

قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (البينة/٥)، وقوله: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ (الكهف/١١٠)، وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ (الأنعام/١٥٨).

قال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الإيمان قول، ولا قول إلا بعمل، ولا قول وعمل إلا بنية، ولا قول وعمل ونية إلا بسنة. اهـ (الشريعة للآجري/٢٨١).

وقد خالف أهل السنة في مسمى الإيمان إجمالاً طائفتان:

١- طائفة ترى أن الإيمان قول واعتقاد وعمل، إلا أنهم يعتقدون أن الإيمان كله واحد لا يتجزأ، إذا ذهب بعضه ذهب كله، ويخرج العبد من الإيمان بارتكابه الكبيرة، أو فعله المعصية.

وهذا هو مذهب الخوارج والمعتزلة، وزاد الخوارج الحكم بدخوله في الكفر، ويوم القيامة يكون مخلداً في النار.

وقالت المعتزلة: بل يبقى في منزلة بين المنزلتين، ويوم القيامة يكون مخلداً في النار.

٢- وطائفة أخرجوا العمل من مسمى الإيمان، وهم المرجئة، وإنما سُموا بذلك لأنهم أخروا العمل عن مسمى الإيمان، والإرجاء في اللغة التأخير، كما قال الله عز وجل: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ (الأعراف/١١١) أي: أخره، وهم على =



=

أقسام:

١- فمنهم من يرى أن الإيمان هو مجرد المعرفة، وهم الجهمية.

٢- ومنهم من يرى أن الإيمان هو مجرد التصديق، وهم الأشاعرة.

٣- ومنهم من يرى أن الإيمان هو القول فقط، وهم الكرَّامية .

٤- ومنهم من يرى أن الإيمان قول واعتقاد، وهم مرجئة الفقهاء، وقد يلحقهم في أزماننا من يقول: إن انتفاء الظاهر لا يؤثر في الباطن.

فهؤلاء جميعاً يشملهم اسم الإرجاء لتأخيرهم العمل عن مسمى الإيمان، إلا أنهم ليسوا على درجة واحدة فيه، بل أحسنهم حالاً القسم الأخير، وقولهم هذا مع كونه أخف حالاً من غيره، إلا أنه باطل مخالف لأدلة لا تعد ولا تحصى من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ دالة على دخول العمل في مسمى الإيمان.

فائدة، ما علاقة العمل بالإيمان:

اعلم رحمني الله وإياك؛ أن الإيمان كما ذكرت له ثلاثة أركان: (الاعتقاد، والقول، والعمل)، والعمل يُراد به عمل اللسان وهو الشهادة، والذكر بأنواعه، وعمل القلب وهو النية والإخلاص، وعمل الجوارح وهو الصلوات، والجهاد، وأعمال الحج ...الخ من الأعمال.

والمراد هنا؛ عمل الجوارح، فأهل السنة يعتقدون أن عمل الجوارح ركن من الأركان، وتاركه بالكلية كافر خارج من الملة، وأن المسلم لابد له من عمل من أعمال الجوارح ليسلم، وإليك تفصيل المسألة:

=



=

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الأنفال/٢)، وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ (البقرة/١٤٣)، و المراد بالإيمان هنا الصلاة، وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة:٧١).

قال القاضي أبو يعلى الفراء رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فدل على أن كل ذلك مما يصير المؤمن مؤمناً. اهـ (مسائل الإيمان/١٦٢).

وقال عز وجل: ﴿فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى (٣١) وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ (القيامة/٣١:٣٢)، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فعلم أن التولي ليس هو التكذيب؛ بل هو التولي عن الطاعة، فإن الناس عليهم أن يصدقوا الرسول فيما أخبر ويطيعوه فيما أمر، وضد التصديق التكذيب وضد الطاعة التولي، فلهذا قال: ﴿فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى (٣١) وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾.

وقد قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (النور/٤٧)، فنفى الإيمان عمن تولى عن العمل وإن كان قد أتى بالقول. اهـ (الفتاوى:جـ٧/١٠٠:١٠١).

وقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّى

=



=

أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ (المدثر/٣٨:٤٧)، فتبين أن سبب دخولهم النار؛ تركهم العمل، وتكذيبهم بيوم الدين.

وعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: "**لَتُنْتَقَضَنَّ عُرَى الإِسْلامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، فَكُلَّمَا انْتُقِضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا، فَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا: الْحُكْمُ وَآخِرُهُنَّ الصَّلاةُ**". (صحيح ابن حبان:١١١/١٥)، وفي هذا دليل على أن ذهاب الأعمال هو ذهاب الإسلام.

قال الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ: فالأعمال رحمكم الله بالجوارح تصديق عن الإيمان بالقلب واللسان، فمن لم يصدق الإيمان بعمله وبجوارحه، مثل الطهارة، والصلاة والزكاة، والصيام والحج والجهاد، وأشباه لهذه، ورضي من نفسه بالمعرفة والقول لم يكن مؤمنا، ولم ينفعه المعرفة والقول، وكان تركه للعمل تكذيبا منه لإيمانه، وكان العمل بما ذكرناه تصديقا منه لإيمانه، وبالله التوفيق. اهـ (الشريعة/٩٧).

وقال في موضع آخر: اعلموا رحمنا الله وإياكم يا أهل القرآن، ويا أهل العلم، ويا أهل السنن والآثار، ويا معشر من فقههم الله تعالى في الدين، بعلم الحلال والحرام أنكم إن تدبرتم القرآن، كما أمركم الله تعالى، علمتم أن الله تعالى أوجب على المؤمنين بعد إيمانهم به وبرسوله العمل، وأنه تعالى لم يثن على المؤمنين بأنه قد رضي عنهم وأنهم قد رضوا عنه، وأثابهم على ذلك الدخول إلى الجنة، والنجاة من النار، إلا الإيمان والعمل الصالح، وقرن مع الإيمان العمل الصالح، لم يدخلهم الجنة بالإيمان وحده، حتى ضم إليه العمل الصالح، الذي قد وفقهم له، فصار الإيمان لا يتم لأحد حتى يكون مصدقا بقلبه، وناطقا بلسانه، وعاملا بجوارحه لا يخفى على من تدبر القرآن وتصفحه، وجده كما ذكرت،

=



=

واعلموا رحمنا الله تعالى وإياكم أني قد تصفحت القرآن فوجدت فيه ما ذكرته في ستة وخمسين موضعا من كتاب الله عز وجل أن الله تبارك وتعالى لم يدخل المؤمنين الجنة بالإيمان وحده، بل أدخلهم الجنة برحمته إياهم، وبما وفقهم له من الإيمان به، والعمل الصالح، وهذا رد على من قال: الإيمان: المعرفة، ورد على من قال: المعرفة والقول، وإن لم يعمل نعوذ بالله من قائل هذا. اهـ (الشريعة/٩٨).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والله تعالى أمر عباده إن يقوموا بشرائع الإسلام على ظواهرهم وحقائق الإيمان على بواطنهم، ولا يقبل واحدا منهما إلا بصاحبه وقرينه، وفي المسند مرفوعا الإسلام علانية والإيمان في القلب، فكل إسلام ظاهر لا ينفذ صاحبه منه إلى حقيقة الإيمان الباطنة فليس بنافع؛ حتى يكون معه شيء من الإيمان الباطن، وكل حقيقة باطنة لا يقوم صاحبها بشرائع الإسلام الظاهرة لا تنفع، ولو كانت ما كانت، فلو تمزق القلب بالمحبة والخوف، ولم يتعبد بالأمر وظاهر الشرع لم ينجه ذلك من النار، كما أنه لو قام بظواهر الإسلام وليس في باطنه حقيقة الإيمان لم ينجه من النار. اهـ (الفوائد/١٧٤:١٧٥).

ومما سبق يتبين أن مذهب أهل السنة والجماعة في الأعمال أنها ركن من الأركان، والركن إذا عُدم انهدم البناء، فترك الأعمال -جنسها- بالكلية كفر عند أهل السنة والجماعة، وهذا القدر مشترك بين أهل السنة والخوارج، أما ترك آحاد الأعمال فليس بكفر، إلا أن يكون عن جحود وتكذيب... الخ من نواقض الإيمان، وهذا هو القدر الذي ميز أهل السنة عن الخوارج، فآحاد الأعمال فيه تفصيل، منها ما هو شرط في صحة الإيمان، لا يصح الإيمان بدونه، كالصلاة فمن تركها فقد كفر، ومنها ما هو شرط كمال، يكمل به الإيمان ويصح

=

=

بدونه، وهذا تركه فسق وليس كفر، فالنظر إلى آحاد الأعمال يرجع إلى النصوص الشرعية في كل عمل بحسبه. وانظر (فتح المنان بتحقيق الأركان/٥٩).

مسألة زيادة الإيمان ونقصانه:

ثبت بالكتاب والسنة والإجماع؛ أن الإيمان يزيد وينقص.

دليل الكتاب:

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الأنفال/٢)، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (آل عمران/١٧٣)، وقال تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ (الفتح/٤)، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (التوبة/١٢٤)، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (محمد/١٧)، وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ (المائدة/٣).

ومن السنة:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: "**لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَشْرَبُ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ**" (البخاري/٦٨١٠) أي وهو مؤمن كامل الإيمان.

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلى، فمر على النساء، فقال: "**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ**"،

=

=

فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: "**تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ**"، قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: "**أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟**"، **قلن: بلى، قال: "فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ؟**"، قلن: بلى، قال: "**فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا**". (البخاري/٣٠٤).

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال الخطابي: فيه دليل على أن النقص من الطاعات نقص من الدين. اهـ (شرح السنة:١/٣٨).

وأيضاً حديث الشفاعة الطويل في الصحيحين، وفيه: "**فَأَنْطَلِقُ فَأُخْرِجُ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأُخْرِجَهُ مِنْ النَّارِ**".

وعن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: "**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ**" (البخاري/٤٤).

أما الإجماع، فقد سبق الإشارة إليه من كلام الأئمة، وروى اللالكائي بسنده عن سهل بن المتوكل الشيباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله: أدركت ألف أستاذ وأكثر، كلهم يقولون: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص. اهـ (الاعتقاد:٥/٢٣٦).

مسألة الاستثناء في الإيمان:

الاستثناء في الإيمان، هو قول القائل: أنا مؤمن إن شاء الله.

=

=

قال الشيخ العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الاستثناء في الإيمان أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، وقد اختلف الناس فيه على ثلاثة أقوال:

أحدها: تحريم الاستثناء، وهو قول المرجئة والجهمية ونحوهم، ومأخذ هذا القول أن الإيمان شيء واحد يعلمه الإنسان من نفسه، وهو التصديق الذي في القلب، فإذا استثنى فيه كان دليلاً على شكله، ولذلك كانوا يسمُّون الذين يستثنون في الإيمان شكاكاً.

والقول الثاني: وجوب الاستثناء.

والقول الثالث: التفصيل، فإن كان الاستثناء صادراً عن شك في وجود أصل الإيمان فهو محرم بل كفر، لأن الإيمان جزمٌ، والشك ينافيه، وإن كان صادراً عن خوف تزكية النفس، والشهادة لها بتحقيق الإيمان قولاً وعملاً واعتقاداً، فهذا واجب؛ خوفاً من هذا المحظور، وإن كان المقصود من الاستثناء التبرك بذكر المشيئة، أو بيان التعليل، وأن ما قام بقلبه من الإيمان بمشيئة الله فهذا جائز. اهـ (فتح البرية بتلخيص الحموية/٥٩).

قال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من صفة أهل الحق، ممن ذكرنا من أهل العلم: الاستثناء في الإيمان، لا على جهة الشك، نعوذ بالله من الشك في الإيمان، ولكن خوف التزكية لأنفسهم من الاستكمال للإيمان، لا يدري أهو ممن يستحق حقيقة الإيمان أم لا؟ وذلك أن أهل العلم من أهل الحق إذا سئلوا: أمؤمن أنت؟ قال: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار، وأشباه هذا، والناطق بهذا، والمصدق به بقلبه مؤمن، وإنما الاستثناء في الإيمان لا يدري أهو ممن يستوجب ما نعت الله عز وجل به المؤمنين من حقيقة الإيمان أم لا؟ هذا وطريق الصحابة والتابعين لهم بإحسان عندهم؛ أن الاستثناء في

=

=

الأعمال، لا يكون في القول، والتصديق بالقلب، وإنما الاستثناء في الأعمال الموجبة لحقيقة الإيمان، والناس عندهم على الظاهر مؤمنون، به يتوارثون، وبه يتناكحون، وبه تجري أحكام ملة الإسلام، ولكن الاستثناء منهم على حسب ما بيناه لك، وبينه العلماء من قبلنا، روي في هذا سنن كثيرة، وآثار تدل على ما قلنا.

قال الله عز وجل: ﴿**لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ**﴾ (الفتح/٢٧)، وقد علم عز وجل أنهم داخلون، وقد دخل النبي ﷺ المقبرة، فقال: "**السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لاَحِقُونَ**"، وقال ﷺ: "**وَاللَّهِ إِنِّى لأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**"، وروي أن رجلا قال عند عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنا مؤمن، فقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أفأنت من أهل الجنة؟ فقال: أرجو فقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أفلا وكلت الأولى كما وكلت الأخرى؟ وقال رجل لعلقمة: أمؤمن أنت؟ قال: أرجو إن شاء الله. اهـ (الشريعة/١١٠:١١١).

فائدة:

الفرق بين الإيمان المطلق، ومطلق الإيمان:

١- الإيمان المطلق: هو الذي يستحق صاحبه الثواب، ودخول الجنة، وأهله هم المؤمنون حقاً، ونفيه لا يشترط نفي الإيمان كله.

قال تعالى: ﴿**قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الأِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾ (الحجرات/١٤)، أي الإيمان المطلق.

٢- مطلق الإيمان، وهو الإيمان الناقص.

=

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنْ الإِيمَانِ فِي مَعْنَى الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ؟ فَقَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى الأَشْيَبُ، ثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْخَطْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ عُمَيْرِ بْنِ حَبِيبٍ قَالَ: الإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، فَقِيلَ: وَمَا زِيَادَتُهُ وَمَا نُقْصَانُهُ؟ قَالَ: إِذَا ذَكَرْنَا اللَّهَ فَحَمِدْنَاهُ وَسَبَّحْنَاهُ فَتِلْكَ زِيَادَتُهُ، وَإِذَا غَفَلْنَا وَضَيَّعْنَا وَنَسِينَا فَذَلِكَ نُقْصَانُهُ.

٣٨- أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ الْمُزَكِّي، ثَنَا أَبِي، ثنا أَبُو عَمْرٍو الْحِيرِيُّ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الذُّهْلِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الْمَكِّيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ شَدَّادٍ التِّرْمِذِيُّ، قَالُوا: حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ، ثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمٍ: سَأَلْت عَشَرَةً مِنْ الْفُقَهَاءِ عَنْ الإِيمَانِ فَقَالُوا: قَوْلٌ وَعَمَلٌ، سَأَلْتُ هِشَامَ بْنَ حَسَّانَ فَقَالَ: قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَسَأَلْتُ ابْنَ جَرِيرٍ فَقَالَ: قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَسَأَلْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَ فَقَالَ: قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَسَأَلْتُ الْمُثَنَّى بْنَ الصَباحِ فَقَالَ: قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَسَأَلْتُ مُحَمَّدَ بْنَ مُسْلِمٍ الْطَائِفِيَّ فَقَالَ: قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَسَأَلْتُ فُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ فَقَالَ: قَوْلٌ وَعَمَلٌ،

=

فإذاً قول النبي ﷺ: "**لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَ لأَخِيهِ مَا يُحِبُ لِنَفْسِه**" ليس المراد هنا نفي مطلق الإيمان الذي لابد من وجوده في قلب العبد، وإلا كان كافراً، بل نفي الإيمان المطلق، فالاستثناء في الإيمان يكون في الإيمان المطلق، وليس مطلق الإيمان، والله أعلم.



وَسَأَلْتُ نَافِعَ بْنَ عُمَرَ الْجُمَحِيَّ، فَقَالَ: قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَسَأَلْتُ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيَّنَةَ فَقَالَ: قَوْلٌ وَعَمَلٌ.

٣٩- وَأَخْبَرَنَا أَبُو عَمْرٍو الْحِيرِيُّ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى وَمُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ، وَسَمِعْتُ الْحُمَيْدِيُّ يَقُولُ: سَمِعْتُ سَفْيَانَ بْنَ عُيَيَّنَةَ يَقُولُ: الإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عُيَيَّنَةَ: يَا أَبَا مُحَمَّدًا! تَقُولُ: يَنْقُصُ؟ فَقَالَ: اسْكُتْ يَا صَبِي بَلى يَنْقُصُ حَتَّى لاَ يَبْقى مِنْهُ شَيءٌ.

وَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ: سَمِعْتُ الأَوْزَاعِيَّ، وَمَالِكاً، وَسَعِيدَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ يُنْكِرُونَ عَلَى مَنْ يَقُولُ: إِقْرَارٌ بِلاَ عَمْلٍ، وَيَقُولُونَ لاَ إِيمَانَ إِلَّا بِعَمَلٍ.

قُلْتُ: فَمَنْ كَانَتْ طَاعَاتُهُ وَحَسَنَاتُهُ أَكْثَرُ فَإِنَّهُ أَكْمَلُ إِيمَاناً مِمَّنْ كَانَ قَلِيلَ الطَّاعَةِ كَثِيرَ الْمَعْصِيَةِ وَالْغَفْلَةِ وَالإِضَاعَةِ.

٤٠- وَسَمِعْتُ الْحَاكِمَ أَبَا عَبْدِ اللهِ الْحَافِظَ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ بَالُويَه الْجَلَّاب يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ سَعِيدٍ الرِّبَاطِيَّ يَقُولُ: قَالَ لِي عَبْدُ اللهِ بْنُ طَاهِرٍ: يَا أَحْمَدُ إِنَّكُمْ تُبْغِضُونَ هَؤُلاَءِ الْقَوْمِ جَهْلاً، وَأَنَا أَبْغُضُهُمْ عَنْ مَعْرِفَةٍ، إِنَّ أَوَّلَ أَمْرِهُمْ أَنَّهُمْ لاَ يَرَوْنَ لِلْسُلْطَانِ طَاعَةً، وَالْثَانِي: إِنَّهُ لَيْسَ لِلإِيمَانِ عِنْدَهُمْ قَدْرٌ، واللهِ لاَ أَسْتَجِيزُ أَنْ أَقُولَ: إِيمَانِي كَإِيمَانِ يَحْيَى بْنِ يَحْيَى، وَلاَ كَإِيمَانِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَل، وَهُمْ

يَقُولُونَ: إِيمَانِنَا كَإِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ.(١)

٤١- وَسَمِعْتُ الْحَاكِمَ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ صَالِحِ بْنِ هَانِيءٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ شُعَيْبٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيَّ يَقُولُ: قَدِمَ ابْنُ الْمُبَارَكِ الرَّيَّ فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ الْعُبَّادِ، الظَّنُّ بِهِ أَنَّهُ يَذْهَبُ مَذْهَبَ الْخَوَارِجِ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا تَقُولُ فِيمَنْ يَزْنِي وَيَسْرِقُ وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ؟ قَالَ: لاَ أُخْرِجُهُ مِنْ الإِيمَانِ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَلَى كِبَرِ السِّنِ صِرْتَ مُرْجِئًا! فَقَالَ: لاَ تَقْبَلْنِي الْمُرْجِئَةُ، الْمُرْجِئَةُ تَقُولُ: حَسَنَاتُنَا مَقْبُولَةٌ، وَسَيْئَاتُنَا مَغْفُورَةٌ، وَلَو عَلِمْتُ أَنِّي قُبِلَتْ مِنِّي حَسَنَةٌ لَشَهِدْتُ أَنِّي فِي الْجَنَّةِ، ثُمَّ ذَكَرَ عَنْ أَبِي شَوْذَبٍ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْل، عَنْ هُذَيْلِ بْنِ شُرَحْبِيلَ قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْ وُزِنَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ بِإِيمَانِ أَهْلِ الأَرْضِ لَرَجَحَ.

٤٢- سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ زَكَرِيَّا الشَّيْبَانِيُّ يَقُولُ:

---

(١) هذا الذي قاله الرباطي في هذه الفرقة في غاية العجب والتناقض، لأن القول بالخروج على الحاكم مناقض تماماً لقولهم في الإيمان، فقد جمعوا بين نقيضين، فقالوا بقول الخوارج في الإمام والحاكم، وقالوا بقول المرجئة في الإيمان، ومن عجيب هذه المقالة أنه يوجد في أزماننا من يقول بهذا القول، فتراه يكفر الحاكم الذي يحكم بغير ما أنزل الله، ويراه عملاً كفرياً أكبر، ويقول انتفاء العمل الظاهر لا يؤثر في العمل الباطن! فكيف هذا؟!



سَمِعْتُ يَحْيَى بْنُ مَنْصُورٍ الْقَاضِي يَقُولُ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ الْحُسَيْنَ بْنَ حَرْبٍ أَخَاَ أَحْمَدَ بْنَ حَرْبٍ الزَّاَهِدَ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّ دِينَ أَحْمَدَ بْنَ حَرْبٍ الَّذِي يَدِينُ اللهَ بِهِ: أَنَّ الإِيمَاَنَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ.

وَيَعْتَقِدُ أَهْلُ الْسُنَّةِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ وَإِنْ أَذْنَبَ ذُنُوباً كَثِيرَةً صَغَاَئِرَ وَكَبَاَئِرَ، فَإِنَّهُ لاَ يَكْفُرُ بِهَا، وَإِنْ خَرَجَ عَنْ الْدُّنْيَا غَيْرَ تَاَئِبٍ مِنْهَاَ، وَمَاتَ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالإِخْلاَصِ، فَإِنَّ أَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَالِمًا غَانِماً، غَيْرَ مُبْتَلِي بِالْنَارِ وَلاَ مُعَاَقَبٍ عَلَى مَا ارْتَكَبَهُ وَاكْتَسَبَهُ ثُمَّ اسْتَصْحَبَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ الآثَامِ وَالأَوْزَاَرِ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَعَذَّبَهُ مُدَّةً بِعَذَابِ الْنَّارِ، وَإِذَاَ عَذَّبَهُ لَمْ يُخَلِدْهُ فِيهَاَ، بَلْ أَعْتَقَهُ وَأَخْرَجَهُ مِنْهَاَ إِلَى نَعِيمِ دَارِ الْقَرَارِ.(١)

---

(١) قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾ (النساء/٤٨) والكبائر دون الشرك.

وعن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ وحوله عصابة من أصحابه: "**بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ؛ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا؛ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ؛ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ**" فبايعناه =

وَكَانَ شَيْخُنَا سَهْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَقُولُ: الْمُؤْمِنُ الْمُذْنِبُ وَإِنْ عُذِّبَ بِالْنَّارِ فَإِنَّهُ لاَ يُلْقَى فِيهَا إِلْقَاءَ الْكُفَّارِ، وَلاَ يَبْقَى فِيهَا بَقَاءَ الْكُفَّارِ، وَلاَ يَشْقَى فِيهَا شَقَاءَ الْكُفَّارِ، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْكَافِرَ يُسْحَبُ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى الْنَّارِ، وَيُلْقَى فِيهَا

=

على ذلك. (البخاري/١٧).

قال اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سياق ما روي عن النبي ﷺ في أن المسلمين لا تضرهم الذنوب التي هي الكبائر إذا ماتوا عن توبة من غير إصرار، ولا يوجب التكفير وإن ماتوا عن غير توبة، فأمرهم إلى الله عز وجل إن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم.

وعن أبي سفيان، قلت لجابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كنتم تقولون لأهل القبلة: إنكم كفار؟ قال: لا.

وعن سليمان اليشكري: أكنتم تعدون الذنب شركا؟ قال: لا.

وعن ابن عباس وابن عمر وابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: أنهم كانوا يرجون لأهل الكبائر، وصلى علي بن أبي طالب على قتلى معاوية.

وعن أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: شهدت صفين فكانوا لا يجيزون على جريح، ولا يطلبون موليا، ولا يسلبون قتيلا. اهـ (شرح أصول الاعتقاد:٣/٣٥٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأئمة المسلمين أهل المذاهب الأربعة وغيرهم مع جميع الصحابة والتابعين لهم بإحسان متفقون على أن المؤمن لا يكفر بمجرد الذنب، كما تقوله الخوارج؛ ولا يسلب جميع الإيمان كما تقوله المعتزلة. اهـ (مجموع الفتاوى:جـ٦/٦٣٩).



مَنْكُوسَاً فِي الْسَّلاَسِلَ وَالأَغْلاَلِ والأَنْكَالِ الثَّقَالِ، وَالْمُؤْمِنُ الْمُذْنِبُ إِذَا ابْتُلِيَ بِالْنَّارِ فَإِنَّهُ يَدْخُلُ الْنَّارَ كَمَا يَدْخُلُ الْمُجْرِمُ فِي الْدُّنْيَا الْسِّجْنَ عَلَى الْرِّجْلِ مِنْ غَيْرِ إِلْقَاءٍ وَتَنْكِيسٍ.

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: لاَ يُلْقَى فِي الْنَّارِ إِلْقَاءَ الْكُفَّارِ: أَنَّ الْكَافِرَ يُحْرَقُ بَدَنُهُ كُلَّهُ، كُلَّمَا نَضِجَ جِلْدَهُ بُدِّلَ جِلْدَاً غَيرَهُ، لِيَذُوقَ الْعَذَابَ، كَمَا بَيَّنَهُ اللهُ فِي كِتَابَهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ**﴾ (النساء/٥٦)، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَلاَ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمْ الْنَّارُ، وَلاَ تَحْرِقُ أَعْضَاءَ الْسُّجُودِ مِنْهُمْ، إِذْ حَرَّمَ اللهُ عَلَى الْنَّارِ أَعْضَاءَ سُجُودِهِ.(١)

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: لاَ يَبْقَى فِي الْنَّارِ بَقَاءَ الْكُفَّارِ: أَنَّ الْكَافِرَ يُخَلَّدُ فِيهَا وَلاَ يَخْرُجُ مِنْهَا أَبَدَاً، وَلاَ يُخَلِّدُ اللهُ مِنْ مُذْنِبِي الْمُؤمِنِينَ فِي الْنَّارِ أَحَدَاً.

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: وَلاَ يَشْقَى بِالْنَّارِ شَقَاءَ الْكُفَّارِ: أَنَّ الْكُفَّارَ يَيْأَسُونَ فِيهَا مِنْ رَحْمَةِ

---

(١) قال ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: باب ذكر الدليل على أن النبي ﷺ إنما أراد بقوله: "فَيَصِيرُونَ فَحْمَاً" أي: أبدانهم خلا صورهم، وآثار السجود منهم، إن الله عز وجل حرم على النار أكل أثر السجود من أهل التوحيد، بالله نتعوذ من النار وعذابها، ثم ذكر حديث إخراج الملائكة لمرتكبي الذنوب والكبائر، وفيه: "**فَيُخرِجُونَهُمْ، وَيَعْرِفُونَهُم بِآثَارِ السُّجُودِ**". اهـ (التوحيد/٤٩٥).



اللهِ، وَلاَ يَرْجُونَ رَاحَةً بِحَالٍ، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَلاَ يَنْقَطِعُ طَمَعُهُمْ مِن رَحْمَةِ اللهِ فِي كُلِّ حَالٍ، وَعَاقِبَةُ الْمُؤْمِنِينَ كُلُّهُمْ الْجَنَّةَ، لأَنَّهُمْ خُلِقُوا لَهَا وَخُلِقَتَ لَهُمْ فَضْلاً مِنْ اللهِ وَمِنَّةً.(١)

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْحَدِيثِ فِي تَرْكِ الْمُسْلِمِ صَلاَةَ الْفَرْضِ مُتَعَمِدَاً، فَكَفَّرَهُ بِذَلِكَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَل وَجَمَاعَةٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْسَّلَفِ رَحِمَهُمْ اللهِ، وَأَخْرَجُوهُ بِهِ مِنْ الإِسْلاَمِ، لِلْخَبَرِ الْصّحِيحِ: "بَيْنَ الْعَبْدِ وَالشِّرْكِ تَرْكُ الصَّلاَةِ، فَمَنْ تَرَكَ الْصَّلاَةَ فَقَدْ كَفَرَ".

وَذَهَبَ الْشَّافِعِيُّ وَأَصْحَابُهُ وَجَمَاعَةٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْسَّلَفِ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ إِلَى أَنَّه لاَ يَكْفُرُ مَا دَامَ مُعْتَقِدَاً لِوُجُوبِهَا، وَإِنَّمَا يَسْتَوجِبُ الْقَتْلَ كَمَا يَسْتَوجِبَهُ الْمُرْتَدُّ

---

(١) يقول الله عز وجل عن أهل النار: ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ (يونس/٥٤)، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (١٢) وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣) فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (السجدة/١٢:١٤)، وقال تعالى عنهم: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾ (الزخرف/٧٧)، وقال تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾ (إبراهيم/٢١).



عَنْ الإِسْلاَمِ، وَتَأَوَّلُوا الْخَبَرَ: مَنْ تَرَكَ الْصَّلاَةَ جَاحِدَاً، كَمَا أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ‌السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: ﴿**إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ**﴾ (يوسف/٣٧)، وَلَمْ يَكُ تَلَبَّسَ بِكُفْرٍ فَارَقَهُ، وَلَكِنْ تَرَكَهُ جَاحِدَاً لَهُ.[1]

---

(١) مسألة تارك الصلاة، من أشهر المسائل التي فيها نزاع بين أهل السنة والجماعة، وهي من خلاف التنوع لا التضاد، فلا ينكر أحدهما على الآخر.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ‌اللَّهُ: لا يختلف المسلمون، أن ترك الصلاة المفروضة عمدا من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر، وأن إثمه عند الله أعظم من إثم قتل النفس وأخذ الأموال ومن إثم الزنا والسرقة وشرب الخمر، وأنه متعرض لعقوبة الله وسخطه وخزيه في الدنيا والآخرة. اهـ (الصلاة وحكم تاركها/١٣).

والكلام في تارك الصلاة، فيمن تركها تكاسلاً، إذ لا خلاف بين أهل العلم على أن العامد، والجاحد سواءٌ في الحكم.

قال النووي رَحِمَهُ‌اللَّهُ: وأما تارك الصلاة:

فإن كان منكرا لوجوبها فهو كافر بإجماع المسلمين خارج من ملة الإسلام، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام ولم يخالط المسلمين مدة يبلغه فيها وجوب الصلاة عليه.

وإن كان تركه تكاسلا مع اعتقاده وجوبها كما هو حال كثير من الناس، فقد اختلف العلماء فيه:

١- فذهب مالك والشافعي رَحِمَهُمَا‌اللَّهُ والجماهير من السلف والخلف إلى: أنه لا يكفر بل يفسق ويستتاب، فإن تاب وإلا قتلناه حدا كالزاني المحصن، ولكنه يقتل بالسيف.

=

=

٢- وذهب جماعة من السلف إلى: أنه يكفر، وهو مروى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه، وهو إحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وبه قال عبد الله بن المبارك، وإسحاق بن راهوية، وهو وجه لبعض أصحاب الشافعي رضوان الله عليه، وذهب أبو حنيفة، وجماعة من أهل الكوفة، والمزني صاحب الشافعي رَحِمَهُمَاٱللَّهُ: أنه لا يكفر ولا يقتل، بل يعزر ويحبس، حتى يصلى.

واحتج من قال بكفره بظاهر الحديث الثاني المذكور-وهو حديث: "إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ والكُفْرِ، تَرْكُ الصَّلاَةِ"- وبالقياس على كلمة التوحيد.

واحتج من قال لا يقتل بحديث: "لاَ يَحِلُ دَمِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلاَثٍ" وليس فيه الصلاة.

واحتج الجمهور على أنه لا يكفر بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (النساء/٤٨)، وبقوله ﷺ: "مَنْ قَاَلَ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله دَخَلَ الْجَنَّةَ"،...وتأولوا قوله ﷺ: "بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الْصَّلاَة" على معنى أنه يستحق بترك الصلاة عقوبة الكافر وهى القتل، أو أنه محمول على المستحل، أو على أنه قد يؤول به إلى الكفر، أو أن فعله فعل الكفار والله اعلم. اهـ (شرح مسلم:٣٥٧/١).

وما يطمئن إليه القلب أن تاركها كافرٌ كفراً أكبر، والله أعلم.



[القَضَاءُ والقَدَرُ]

وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُنَّةِ وَالجَمَاعَةِ فِي اكْتِسَابِ العِبَادِ أَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى، لاَ يَمْتَرُونَ فِيهِ، وَلاَ يَعُدُّونَ مِنْ أَهْلِ الهُدَى وَدِينِ الحَقِّ مَنْ يُنْكِرُ هَذَا القَوْلَ وَيَنْفِيهِ، وَيَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ لِدِينِه وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ عَنْهُ، لاَ حُجَّةَ لِمَنْ أَضَلَّهُ اللهُ عَلَيْهِ، وَلاَ عُذْرَ لَهُ لَدَيْهِ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ (الأنعام/١٤٩)، وَقَالَ: ﴿**وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي**﴾ الآية (السجدة/١٣)، وَقَالَ: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ**﴾ الآية (الأعراف/١٧٩).

سُبْحَانَهُ خلَقَ الخَلْقَ بِلاَ حَاجَةٍ إِلَيْهِمْ، فَجَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ، فَرِيقَاً لِلْنَعِيمِ فَضْلاً، وَفَرِيقَاً لِلْجَحِيمِ عَدْلاً، وَجَعَلَ مِنْهُمْ غَوِيَّاً وَرَشِيدَاً، وَشَقِيَّاً وَسَعِيدَاً، وَقَرِيبَاً مِنْ رَحْمَتِهِ وبَعِيدَاً ﴿**لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ**﴾ (الأنبياء/٢٣).[١]

---

(١) الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان، ولا يصح إيمان عبد إلا به، وقد دل عليه الكتاب والسنة والإجماع.

أولاً: الكتاب:

قال تعالى: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ (القمر/٤٩)، وقال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي**
=

=
نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان/٣٤)، وقال: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ (التوبة/٥١)، وقال: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ (يس/١٢)، وقال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (الإنسان/٣٠)، وقال: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً﴾ (الأحزاب/٣٨)، وقال: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ (الجاثية/٢٣).

ومن السنة:

حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ والذي فيه: قال فأخبرني عن الإيمان، قال: "**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**". (مسلم/١).

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: "**كُلُّ شَيءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ**". (مسلم/٢٦٥٥)

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**قَدَّرَ اللهُ الْمَقَادِيرَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**". (الترمذي/٢١٥٦).

وعن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دخلت على النبي ﷺ، وعقلت ناقتي بالباب، فأتاه ناس من بني تميم، فقال: "**اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ**"، قالوا: قد بشرتنا فأعطنا مرتين، ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن، فقال: "**اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ**"، قالوا: قد قبلنا يا رسول الله، قالوا: جئناك نسألك عن هذا الأمر، قال: "**كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ**". (البخاري/٧٤١٨).

=

=

وعن عبادة بن الصامت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الأَبَدِ**". (أبو داود/٤٧٠٠).

والآيات والأحاديث كثيرة جداً في إثبات الإيمان بالقضاء والقدر، وفيما ذكرناه كفاية، والله أعلى وأعلم.

ثالثاً: الإجماع:

قال اللالكائي رَحِمَهُٱللَّهُ: سياق ما فسر من الآيات في كتاب الله عز وجل، وما رُوي من سنة رسول الله ﷺ في إثبات القدر، وما نقل من إجماع الصحابة والتابعين والخالفين لهم من علماء الأمة؛ أن أفعال العباد كلها مخلوقة لله عز وجل طاعاتها ومعاصيها.

وروي ذلك عن الصحابة لفظا...وذكر عدد كبير منهم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، ثم قال:

وعن طاووس: أدركت ثلثمائة من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كل شيء بقدر. اهـ (شرح أصول الاعتقاد:٣/٢٢٤:٢٢٨).

وأول ظهور الكلام في القدر كان في أواخر عصر الصحابة في إمارة عبد الله بن الزبير (٦٢-٧٣هـ) وعبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ).

تعريف القضاء والقدر لغة وشرعاً.

قال ابن حزم رَحِمَهُٱللَّهُ: معنى القضاء في لغة العرب التي بها خاطبنا الله تعالى ورسوله ﷺ، وبها نتخاطب ونتفاهم مرادنا: أنه الحكم فقط.

ولذلك يقولون: القاضي بمعنى الحاكم، وقضى الله عز وجل بكذا أي حكم به، ويكون أيضا بمعنى أمر، قال تعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ**﴾ (الإسراء/٢٣) إنما معناه بلا

=

=

خلاف أنه تعالى أمر أن لا تعبدوا إلا إياه.

ويكون أيضا بمعنى أخبر، قال الله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ (الحجر/٦٦) بمعنى أخبرناه أن دابرهم مقطوع بالصباح.

وقال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً﴾ (الإسراء/٤) أي أخبرناهم بذلك، ويكون أيضا بمعنى أراد، وهو قريب من معنى حكم، قال الله تعالى: ﴿إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (آل عمران/٤٧)، ومعنى ذلك حكم بكونه فكونه.

ومعنى القدر في اللغة العربية: الترتيب والحد الذي ينتهي إليه الشيء، تقول: قدرت البناء تقديرا إذا رتبته وحددته، قال تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ (فصلت/١٠) بمعنى رتب أقواتها وحددها، وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر/٤٩) يريد تعالى برتبة وحد.

فمعنى قضى وقدر حكم ورتب، ومعنى القضاء والقدر حكم الله تعالى في شيء بحمده أو ذمه وبكونه وترتيبه على صفة كذا وإلى وقت كذا فقط، وبالله تعالى التوفيق. اهـ (الفصل:٢/١٠٢)

قال الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: القضاء في اللغة على وجوه مرجعها إلى انقضاء الشيء وتمامه، وكل ما أُحكم عمله أو أُتمَّ أو أُدِّى أو أُوجب أو عُلم أو نُفِّذ أو أُمضى فقد قضي، وقد جاءت هذه الوجوه كلها في الأحاديث. اهـ (النهاية في غريب الحديث:٤/١٢٥).

فالقدر عند أهل الاصطلاح هو: ما سبق به العلم، وجرى به القلم مما هو كائن إلى

=



=

الأبد، وأنه عز وجل قدّر مقادير الخلائق، وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها، أو هو: ما يقدره الله عز وجل من القضاء، ويحكم به من الأمور.

والقضاء عند أهل الاصطلاح هو: العلم السابق الذي حكم الله به في الأزل، أو هو: الحكم الكلي الإجمالي في الأزل.

ولذلك يقول الجرجاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والفرق بين القدر والقضاء، هو أن القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة، والقدر وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول شرائطها. اهـ (التعريفات/٢٢١).

قال الشيخ الرضواني: وقد يسأل سائل عن الفرق بين القضاء والقدر؟ والجواب أنه قد يأتي القضاء بمعنى القدر لاشتراكهما في ثلاث مراتب، أما من جهة الفرق بينهما فيمكن حصر ذلك في أربعة أمور:

الفرق الأول: القضاء ثلاث مراتب والقدر أربع، فالقضاء علم وكتابة ومشيئة، فهو ثلاثة مراتب، لأن الله عز وجل إذا قضى أمراً كونياً، فإنما حكم بكونه قضاء مبرماً، وحكمه بكونه يعني أنه قدره وكتبه وشاء كونه، ولم يتبق إلا تنفيذه بقدرته، وعندما يصبح ما قضاه قدراً واقعاً، قال تعالى عن قضاءه الكوني: ﴿**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ (البقرة:١١٧)، وقال: ﴿**قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ (آل عمران:٤٧).

الفرق الثاني بين القضاء والقدر: أن القضاء غيب ويكون مشهوداً بالقدرة عند وقوع

=



=

القدر، فالقضاء علم وكتابة ومشيئة، وعلم التقدير غيب لا أحد يعلم عنه شيئا، واللوح وما فيه سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل، ومشيئة الله عز وجل غيب أيضاً لا نعلم ما فيها إلا بعد وقوعها في القدر.

الفرق الثالث بين القضاء والقدر: أن القضاء يسبق من جانب القدرة، ويشترك معه في جانب التقدير، فكلاهما يتفقان في العلم والكتابة والمشيئة، ويزيد القدر مرتبة الخلق والتنفيذ، ولذلك ظهر الفرق بين القضاء والقدر في قول الهدهد: ﴿**أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**﴾ (النمل/٢٥:٢٦)، وهو يعني أن الرزق مكتوب في القضاء في السماء قبل تنفيذه عند التخليق والتكوين وخروجه وظهوره في الواقع بالقدرة في الأرض.

الفرق الرابع بين القضاء والقدر: أن القضاء أعم من حيث التعلق والقدر أخص، والقدر أعم من حيث المراتب والقضاء أخص، فالقضاء يتعلق بما كان، وما هو كائن، وما سيكون، أما القدر من جانب القدرة والخلق والتكوين، فيتعلق بما كان، وما هو كائن، أو بما تم ويتم خلقه وتنفيذه، أما من جهة المراتب فالقدر أعلم لأنه أربع مراتب، والقضاء أخص لأنه ثلاث مراتب، والله أعلم. اهـ (منة القدير:١/٤٤٦:٤٤٨).

مراتب الإيمان بالقضاء والقدر:

قال الشيخ الرضواني: مراتب القضاء والقدر: هي المراحل التي يمر بها المخلوق وينتقل من كونه معلومة في علم الله عز وجل وتقديره، إلى أن يكون مخلوقاً واقعاً بقدرة الله ومشيئته. اهـ (منة القدير:١/٣٠٣)

=



=

فلو أن مهندساً أراد أن يبني منزلا، فإنه سيفكر أولاً في البناء، وهذه هي المعلومة أو الفكرة، ثم سيقوم برسم المنزل على اللوحة، وهذه هي الكتابة، ثم إذا تيسر معه المال والمكان سيقرر بناءه، وهذه هي المشيئة، وعندئذ يُنشئ المنزل، وهنا تم ما أراده، ولله المثل الأعلى، فجميع خلقه في علمه الأزلي، وكتبهم في اللوح المحفوظ، ثم شاء سبحانه إيجادهم فأوجدهم، وهذه هي مراتب الإيمان بالقضاء والقدر.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الباب العاشر في مراتب القضاء والقدر التي من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر، وهي أربع مراتب:

المرتبة الأولى: علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها.

المرتبة الثانية: كتابته لها قبل كونها.

المرتبة الثالثة: مشيئته لها.

المرتبة الرابعة: خلقه لها.

المرتبة الأولى: العلم:

وهي العلم السابق فقد اتفق عليه الرسل من أولهم إلى خاتمهم، واتفق عليه جميع الصحابة ومن تبعهم من الأمة، وخالفهم مجوس الأمة.

وكتابته السابقة تدل على علمه بها قبل كونها، وقد قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾ (البقرة/٣٠)، قال مجاهد: علم من إبليس المعصية وخلقه لها.

=

=

وقال قتادة: كان في علمه أنه سيكون من تلك الخليقة أنبياء ورسل وقوم صالحون وساكنو الجنة.

وقال ابن مسعود: أعلم ما لا تعلمون من إبليس.

وقال مجاهد أيضا: علم من إبليس أنه لا يسجد لآدم، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ (لقمان/٣٤).

وللعلم الإلهي مراتب ذكرها أهل السنة والجماعة وهي:

١- علمه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بالشيء قبل كونه، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ (لقمان/٣٤).

٢- علمه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بما لم يكن لو كان كيف كان يكون، قال تعالى: ﴿**بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾ (الأنعام/٢٨).

٣- علمه بما هو كائن، قال تعالى: ﴿**يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ**﴾ (سبأ/٢).

٤- علمه بالشيء بعد كونه، قال تعالى: ﴿**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾ (الأنعام/٥٩).

المرتبة الثانية: الكتابة:

=

=

وهي أن الله عز وجل كتب كل شيء في اللوح المحفوظ، كتب الخلائق وأفعالها، كتب أهل الجنة والنار وأعمالهم، قال تعالى: ﴿**وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ**﴾ (يس/١٢)، وقال: ﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**﴾ (الحديد/٢٢)، وقال رسول الله ﷺ: "**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**"، وقال: "**كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ**".

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أجمع الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة والحديث أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب، وقد دل القرآن على أن الرب تعالى كتب في أم الكتاب ما يفعله وما يقوله، فكتب في اللوح أفعاله وكلامه، فتبت يدا أبي لهب في اللوح المحفوظ قبل وجود أبي لهب. اهـ (شفاء العليل/١٠١).

قال الشيخ محمد حسان: المرتبة الثانية: الكتابة ويدخل فيها خمسة مقادير:

التقدير الأول: هو التقدير الأزلي قبل خلق السموات والأرض، فالله رازق قبل أن يخلق المرزوقين، وعالم قبل أن يخلق الخلق الذي يعلم أحوالهم أجمعين.

قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿**قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا**﴾ (التوبة/٥١)، وقال تعالى: ﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ (الحديد/٢٢:٢٣)، وقال تعالى: ﴿**وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾

=



=

(النمل/٧٥).

وقال المصطفى ﷺ: "كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ"

التقدير الثاني: تقدير يوم الميثاق.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف/١٧٢)

وعن أبي بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال في الآية السابقة: جمعهم فجعلهم أرواحاً، ثم صورهم فاستنطقهم فتكلموا، ثم أخذ عليهم الميثاق وأشهدهم على أنفسهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾، قال: إني أشهد عليكم السموات والأرضيين السبع، وأشهد عليكم أباكم آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن تقولوا يوم القيامة: لم نعلم بهذا.

واعلموا أن لا إله غيري، ولا رب غيري فلا تشركوا بي شيئا، إني سأرسل لكم رسلي يذكرونكم عهدي وميثاقي، وأنزل عليكم كتبي، قالوا: شهدنا بأنك ربنا وإلهنا ولا رب غيرك، وأقروا بذلك.

التقدير الثالث: التقدير العمري.

عند خلق النطفة في الأرحام، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مَنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً

=



=

فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (الحج/٥)، وقال سبحانه: **﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾** (النجم/٣٢).

وقال تعالى: **﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾** (فاطر/١١).

وقال النبي ﷺ كما في الصحيحين من حديث ابن مسعود قال: حدثنا رسول الله ﷺ، وهو الصادق المصدوق، قال: "**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**".

التقدير الرابع: التقدير الحولي.

في ليلة القدر، قال تعالى: **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾** (الدخان/٣:٥).

قال مجاهد: ليلة القدر: ليلة الحكم.

وقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: يُكتب في أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من

=

=

موت وحياة ورزق ومطر حتى الحجاج يقول: يحج فلان وفلان.

وقال مقاتل: يقدر الله تعالى في ليلة القدر من أمر السنة في أرضه وفي عباده إلى السنة القابلة.

التقدير الخامس: التقدير اليومي.

والآثار في ذلك عن الصحابة والأئمة كثيرة جداً، قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (الرحمن/٢٩)، فالتقدير اليومي: هو سوق المقادير إلى المواقيت التي قدرت لها فيما سبق. اهـ (القضاء والقدر/٦٤:٨١) بتصرف.

المرتبة الثالثة: المشيئة:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذه المرتبة قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وجميع الكتب المنزلة من عند الله، والفطرة التي فطر الله عليها خلقه، وأدلة العقول والعيان، وليس في الوجود موجب ومقتض إلا مشيئة الله وحده، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. اهـ (شفاء العليل/١٠٥).

قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾ (الأنعام/١١١)، وقال تعالى: ﴿مَنْ يَشَأْ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الأنعام/٣٩).

وقال رسول الله ﷺ: "إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعَ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفه حَيْثُ يَشَاءُ". (مسلم/٢٦٥٤).

=



=

المرتبة الرابعة: الخلق.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المرتبة الرابعة من مراتب القضاء والقدر وهي مرتبة خلق الله سبحانه الأعمال وتكوينه وإيجاده لها، وهذا أمر متفق عليه بين الرسل صلى الله تعالى عليهم وسلم، وعليه اتفقت الكتب الإلهية والفطر والعقول والاعتبار. اهـ (شفاء العليل/١٢٣).

قال الله تعالى: ﴿**اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**﴾ (الزمر/٦٢)، وقال تعالى: ﴿**هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**﴾ (فاطر/٣)، وقال تعالى: ﴿**هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ**﴾ (لقمان/١١)، وغير ذلك من الآيات.

وللبخاري في خلق أفعال العباد عن حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعا: إن الله يصنع كل صانع وصنعته.

وقال النبي ﷺ: "**اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، إِنَّكَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا**"، وغير ذلك من الأحاديث.

المخالفون لأهل السنة في القدر:

القدرية: هم الذين ينفون قدر المولى عز وجل؛ وهو علم الله الأزلي الأبدي بكل شيء، وما العباد عاملون صائرون، وكتابة الله في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة، ومشيئة الله الشاملة، وقدرته التامة، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وخلق الله لكل المخلوقات ولأعمال العباد.

=

=

قال النووي: وسميت هذه الفرقة قدرية لإنكارهم القدر. اهـ (شرح مسلم:١/٢١١).

وهؤلاء القدرية الذين ينفون علم الله السابق لكل شيء، قد انقرضوا ولم يبق منهم أحدا، وهؤلاء هم غلاة القدرية، وقيض الله عز وجل لهم الصحابة الكرام.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال أصحاب المقالات من المتكلمين: قد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل، ولم يبق أحدا من أهل القبلة عليه. اهـ (شرح مسلم:١/٢١١:٢١٢).

والكلام في القضاء والقدر طالته كل فرقة من الفرق، فلننظر مقالاتهم في القدر، وهل وافقوا صريح الكتاب والسنة، أم خالفوه:

أ- موقف الخوارج من القدر:

تباينت فرق الخوارج فيما بينهم، فمنهم من يثبت القدر على منهج أهل السنة والجماعة، ومنهم من ينفيه، ومنهم من يفصل:

١- من ينفي القدر منهم هم: الميمونية، والحمزية، والأطرافية من العجاردة، والحارثية من الإباضية، والشبيبية من البهيسية.

قال أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الميمونية: والفرقة الثانية من العجاردة الميمونية، والذي تفردوا به القول بالقدر على مذهب المعتزلة، وذلك أنهم يزعمون أن الله سبحانه فوض الأعمال إلى العباد، وجعل لهم الاستطاعة إلى كل ما كلفوا، فهم يستطيعون الكفر والإيمان جميعا، وليس لله سبحانه في أعمال العباد مشيئة، وليس أعمال العباد مخلوقة لله. اهـ (مقالات الإسلاميين/٦٢).

=

=

٢- من يثبت القدر على وفق أهل السنة والجماعة: الخازمية، والشعيبية، والخليفة، والمجهولية من العجاردة، وجمهور الإباضية.

٣- من يفصل منهم: المعلومية من الخازمية.

ب- موقف الشيعة من القدر:

إن من أصول العقيدة عند الشيعة، عقيدة البداءه، وهذه العقيدة تقضي على القضاء والقدر، فإن مراتب القضاء والقدر الأربعة، بعقيدة البداءه صارت لا قيمة لها، لأن الله عز وجل عندهم قد يأمر بأمر، ثم يرى بعد ذلك أن هذا الأمر غير صالح فيبدله!، أي بدا له أن يبدله!، وهم بذلك قد وصفوا الله عز وجل بالجهل، تعالى الله عن قولهم علواً كبيرا.

ج- موقف القدرية (المعتزلة) من القدر:

قال الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أجمعت المعتزلة على أن الله سبحانه لم يخلق الكفر والمعاصي ولا شيئا من أفعال غيره، إلا رجلا منهم؛ فإنه زعم أن الله خلقها بأن خلق أسماءها وأحكامها حكى ذلك عن صالح قبة، وأجمعت المعتزلة إلا عبادا أن الله جعل الإيمان حسنا والكفر قبيحا، ومعنى ذلك أنه جعل التسمية للإيمان والحكم بأنه حسن والتسمية للكفر والحكم بأنه قبيح، وأن الله خلق الكافر لا كافرا، ثم إنه كفر وكذلك المؤمن.

واختلفت المعتزلة هل يقال إن الإنسان يخلق فعله أم لا على ثلاث مقالات:

١- فزعم بعضهم أن معنى فاعل وخالق واحد، وأنَّ لا نطلق ذلك في الإنسان لأن منعنا منه.

=



=

٢- وقال بعضهم: هو الفعل لا بآلة ولا بجارحة وهذا يستحيل منه.

٣- وقال بعضهم: معنى خالق أنه وقع منه الفعل مقدرا، فكل من وقع فعله مقدرا فهو خالق له قديما كان أو محدثا. اهـ (مقالات الإسلاميين/١٣٥).

وبهذه الأقوال وقعت المعتزلة في خلل كبير في باب الإيمان بالقضاء والقدر، فالقدرية من المعتزلة غالوا في الحكمة، وفرطوا في القدرة.

د- موقف المرجئة من القدر:

ومن أشهرهم الأشاعرة قالوا: إن الله تعالى خلق المخلوقات، وأمر المأمورات لا لعلة ولا لحكمة، بل إنه تعالى فعل ذلك لمحض المشيئة والإرادة، وبقولهم هذا جعلوا العبد مسلوب الإرادة، ومالوا إلى القول بالجبر، فهم في الظاهر يثبتون للعبد فعل ومشيئة وقدرة محدثة وكسباً، ولكن قدرة هذا العبد ليست مؤثرة، وهذا ما يُسمى بالكسب عند الأشاعرة، وهو من عجائب مقالات الفرق، ولذلك قال ابن القيم في شفاء العليل: ولهذا يقال محالات الكلام ثلاثة: كسب الأشعري، وأحوال أبي هاشم، وطفرة النظام.

هـ- موقف الجهمية من القدر:

الجهمية والصوفية غالوا في القدرة، وفرطوا في الحكمة، فهم يرون العبد كالريشة تتحرك وليس لها إرادة، ولا كسب، ويقولون بالجبر، وهؤلاء هم أتباع إبليس اللعين الذي قال، كما أخبرنا الله عز وجل: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الأعراف/١٦).



=

=

فوائد ونكت في القضاء والقدر.

قال الشيخ الأشقر:

١- معنى المحو والإثبات في الصحف، وزيادة الأجل ونقصانه:

قد يشكل على بعض الناس مواضع في كتاب الله وأحاديث رسول الله ﷺ، فيقول بعضهم: إذا كان الله علم ما هو كائن، وكتب ذلك كله عنده في كتاب فما معنى قوله: ﴿**يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾ (الرعد/٣٩).

وإذا كانت الأرزاق والأعمال والآجال مكتوبة لا تزيد ولا تنقص فما توجيهكم لقوله ﷺ: "**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**".

وكيف تفسرون قول نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿**أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٣) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ (نوح/٣:٤).

وما قولكم في الحديث الذي فيه أن الله جعل عمر داود عَلَيْهِ السَّلَامُ مائة سنة بعد أن كان أربعين سنة.

والجواب أن الأرزاق والأعمار نوعان:

نوع جرى به القدر وكتب في أم الكتاب، فهذا لا يتغير ولا يتبدل، ونوع أعلم الله به ملائكته فهذا هو الذي يزيد وينقص، ولذلك قال الله تعالى: ﴿**يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾، وأم الكتاب هو اللوح المحفوظ الذي قدر الله فيه الأمور على ما =



=

هي عليه.

ففي كتب الملائكة يزيد العمر وينقص، وكذلك الرزق بحسب الأسباب، فإن الملائكة يكتبون له رزقاً وأجلاً، فإذا وصل رحمه زيد له في الرزق والأجل، وإلا فإنه ينقص له منهما

والأجل أجلان: أجل مطلق يعلمه الله، وأجل مقيد، فإن الله يأمر الملك أن يكتب لعبده أجلاً، فإن وصل رحمه، فيأمره بأن يزيد في أجله ورزقه، والملك لا يعلم أيزاد له في ذلك أم لا، لكن يعلم ما يستقر عليه الأمر، فإذا جاء الأجل لم يتقدم ولم يتأخر.

٢- التوفيق بين الأقدار وبين "كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ":

وقد يقول بعض الناس كيف يكون الله قدر كل شيء مع أنه صح عن رسولنا أن كل مولود يولد على الفطرة؟

فالجواب أنه لا تناقض ولا تعارض بين النصوص المبينة أن كل شيء بقدر، والنصوص المخبرة بأن مولود يولد على الفطرة.

فالله فطر عباده على السلامة من الاعتقادات الباطلة كما فطرهم على قبول العقائد الصحيحة، ثم إذا ولدا أحاطت بهم شياطين الإنس والجن، فأفسدت فطرهم وغيرتها، وثبت الله من شاء الله هدايته على الحق.

والله يعلم من يثبت على الفطرة السوية السليمة، ومن تتغير فطرته، علم ذلك في الأزل وكتبه، فلا منافاة بين هذه النصوص ولا تعارض بينهما، ففي الحديث الذي يرويه مسلم في صحيحه عن عياض بن حمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن الله:

=



=

"**إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ فَاجْتَالَتْهُم الشَّيَاطِينُ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِم مَا أَحْلَلْتُ لَهُم، وَأَمَرَتْهُم أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَالَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَاناً**"، والله يعلم من الذي تجتاله الشياطين وتغرر به، ويعلم من يثبت على الحق، ويهدى للصواب.

وإذا عرفت هذا الذي بيناه علمت كيف توجه قوله ﷺ: "**خَلَقَ اللهُ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا فِي بَطْنِ أُمِّهِ مُؤْمِناً، وَخَلَقَ فِرْعَوْنَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ كَافِراً**".

٣- إذا كانت الأمور مقدرة معنى قوله: ﴿**وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ**﴾ (النساء/٧٩)؟

وقد يحتج بعض الناس للقدرية النفاة بقوله تعالى: ﴿**مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ**﴾ (النساء/٧٩)، ويظنون أن المراد بالحسنات والسيئات في هذه الآية الطاعات والمعاصي.

وهؤلاء أخطئوا الفهم، فالمراد بالحسنات هنا النعم، والمراد بالسيئات المصائب، يدلنا على صحة هذا الفهم سياق النص، قال تعالى: ﴿**أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً (٧٨) مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ**﴾ (النساء/٧٨:٧٩).

فالله يحكى عن المنافقين: أنهم كانوا إذا أصابتهم حسنة مثل الرزق والنصر والعافية، قالوا: هذه من عند الله، وإذا أصابتهم سيئة مثل ضرب ومرض وخوف من عدو قالوا: هذه من عندك يا محمد، أنت الذي جئت بهذا الدين الذي عادانا الناس لأجله، وابتلينا

=

=

لأجله بهذه المصائب.

فالحسنات هنا النعم، والسيئات المصائب، وهذه كقوله تعالى: ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (آل عمران/١٢٠)، وقوله: ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الأعراف/١٦٨)، ثم قرر الحق أن المصائب والنعم لا تخرج هم قدر الله ومشيئته: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً﴾ (النساء/٧٨)، ثم بين الحق تبارك وتعالى أن السيئات التي هي المصائب ليس لها سبب إذا أذنب العبد إلا ممن نفسه، وأما ما يصيب العبد من الخير فلا تنحصر أسبابه، لأنه من فضل الله، يحصل بعمل العبد وبغير عمله من إنعام الله عليه، فالواجب على العباد أن يشكروا ربهم ويحمدوه على ما أنعم الله عليهم، كما يجب أن يكثروا من التوبة والأوبة والاستغفار مما اقترفوه من ذنوب سببت لهم المصائب والبلايا.

وإذا أنت تأملت في قوله: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ﴾ و ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ﴾ علمت أن الحسنة والسيئة هي من فعل الله بالعباد التي هي المصائب والنعم، وأما قوله: ﴿فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ أي بسبب ذنوب العبد وخطاياه، وهذا وإن كان مقدراً إلا أن الله قدر تكون المصيبة بسبب الذنب.

أما الحسنات والسيئات التي هي أفعال العباد فلا يقال فيها: ﴿مَا أَصَابَكَ﴾ وإنما يقول: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (القصص/٨٤)، وإنما قال هنا: ﴿جَاءَ﴾ لأن الحسنة فعل الجائي،

=



=

ولذلك صرح بهذا في جانب الذنوب والمعاصي: ﴿**فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾.

٤- كيف يخلق الله الشر ويقدره؟

وقد يشغِّب بعض القدرية فيقولون: إن الله مقدس عن فعل الشر، وإن الواجب على العباد أن ينزهوا ربهم عن الشر وفعله، وهؤلاء خلطوا حقاً بباطل فالتبست عليهم الأمور.

وجواب هذه الشبهة: أن الله تعالى لا يخلق الشر الذي لا خير فيه، ولا منفعة فيه لأحد، وليس فيه حكمة ولا رحمة، ولا يعذب الناس بلا ذنب، وقد بين العلماء أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وغيرهما ما في خلق إبليس والحشرات والكواسر من الحكمة والرحمة.

فالشيء الواحد خلقه باعتبار خيراً، وباعتبار آخر شراً، فالله خلق إبليس يبتلي به عباده، فمنهم من يمقته، ويحاربه ويحارب منهجه، ويعاديه ويعادي أولياءه، ويوالي الرحمن ويخضع له، ومنهم من يواليه ويتبع خطواته. اهـ (القضاء والقدر/٦٦:٧١).

٥- الاحتجاج بالقدر.

يقولون: إن قول آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في حديث المحاجة: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: "**الْتَقَى آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ مُوسَى لآدَمَ: آنْتَ الَّذِي أَشْقَيْتَ النَّاسَ وَأَخْرَجْتَهُمْ مِنْ الْجَنَّةِ؟، قَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَاصْطَفَاكَ لِنَفْسِهِ وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ التَّوْرَاةَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ فَوَجَدْتَهَا كُتِبَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي؟ قَالَ: نَعَمْ**

=



=

فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى"

قالوا فإن آدم احتج بالقدر السابق على فعل الذنب، فلما تردون مقالتنا؟

والجواب: إن آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إنما احتج بالقدر على المصيبة، وهي إخراجه من الجنة، لا المعصية وهي أكله من الشجرة، ثم إن الاحتجاج بالقدر على المعاصي يجوز مع التوبة، فلو أن إنساناً فعل ذنباً ما، ثم تاب منه، ثم ذكره إنسان آخر به، فله أن يقول هذا قدر الله وقد رأيناه، ويكون قد تاب من ذلك الذنب وعزم على عدم العودة فيه، والله أعلم.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإن القدر يجب الإيمان به ولا يجوز الاحتجاج به على مخالفة أمر الله ونهيه ووعده ووعيده. اهـ (مجموع الفتاوي:٢/٦٠٨).

وقال: وليس في القدر حجة لابن آدم ولا عذر، بل القدر يؤمن به ولا يحتج به، والمحتج بالقدر فاسد العقل والدين متناقض، فإن القدر إن كان حجة وعذرا؛ لزم أن لا يلام أحد، ولا يعاقب ولا يقتص منه وحينئذ فهذا المحتج بالقدر يلزمه إذا ظلم في نفسه وماله وعرضه وحرمته أن لا ينتصر من الظالم ولا يغضب عليه ولا يذمه؛ وهذا أمر ممتنع في الطبيعة لا يمكن أحد أن يفعله فهو ممتنع طبعا محرم شرعا.

ولو كان القدر حجة وعذرا، لم يكن إبليس ملوما ولا معاقبا ولا فرعون وقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الكفار ولا كان جهاد الكفار جائزا ولا إقامة الحدود جائزا ولا قطع السارق ولا جلد الزاني ولا رجمه ولا قتل القاتل ولا عقوبة معتد بوجه من الوجوه، ولما كان الاحتجاج بالقدر باطلا في فطر الخلق وعقولهم، لم تذهب إليه أمة من الأمم ولا هو مذهب أحد من العقلاء الذين يطردون قولهم، فإنه لا يستقيم عليه مصلحة أحد لا في

=



=

دنياه ولا آخرته ولا يمكن اثنان أن يتعاشرا ساعة واحدة؛ إن لم يكن أحدهما ملتزما مع الآخر نوعا من الشرع، فالشرع نور الله في أرضه وعدله بين عباده. اهـ (مجموع الفتاوي:٢/٦٢٢).

الفرق بين المشيئة والمحبة:

قال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قد دل على الفرق بين المشيئة والمحبة: الكتاب والسنة والفطرة الصحيحة.

أما نصوص المشيئة والإرادة من الكتاب، فقد تقدم ذكر بعضها.

وأما نصوص المحبة والرضا، فقال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ**﴾ (البقرة/٢٠٥)، ﴿**وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ**﴾ (الزمر/٧)، وقال تعالى عقيب ما نهى عنه من الشرك والظلم والفواحش والكبر: ﴿**كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً**﴾ (الإسراء/٣٨).

وفي الصحيح عن النبي ﷺ: "**إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلاثًا قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ**".

وفي المسند: "**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يُؤْخَذَ بِرُخَصِهِ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَى مَعْصِيَتُهُ**"، وكان من دعائه ﷺ: "**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَأَعُوذُ بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ**".

فتأمل ذكر استعاذته بصفة الرضا من صفة السخط، وبفعل المعافاة من فعل العقوبة، فالأول الصفة، والثاني لأثرها المرتب عليها ثم ربط ذلك كله بذاته سبحانه، وأن ذلك كله راجع إليه وحده، لا إلى غيره، فما أعوذ منه واقع بمشيئتك وإرادتك، وما أعوذ به من رضاك ومعافاتك هو بمشيئتك وإرادتك، إن شئت أن ترضى عن عبدك وتعافيه، وإن

=

=

شئت أن تغضب عليه وتعاقبه، فأعاذني مما أكره ومنعه أن يحل بي، هي بمشيئتك أيضا، فالمحبوب والمكروه كله بقضائك ومشيئتك، فعياذي بك منك، وعياذي بحولك وقوتك ورحمتك مما يكون بحولك وقوتك وعدلك وحكمتك، فلا أستعيذ بغيرك من غيرك، ولا أستعيذ بك من شيء صادر عن غير مشيئتك، بل هو منك، فلا يعلم ما في هذه الكلمات من التوحيد والمعارف والعبودية، إلا الراسخون في العلم بالله ومعرفته ومعرفة عبوديته.

فإن قيل: كيف يريد الله أمرا ولا يرضاه ولا يحبه؟ وكيف يشاؤه ويكونه؟ وكيف تجتمع إرادته له وبغضه وكراهته؟

قيل: هذا السؤال هو الذي افترق الناس لأجله فرقا، وتباينت طرقهم وأقوالهم.

فاعلم أن المراد نوعان: مراد لنفسه، ومراد لغيره.

فالمراد لنفسه: مطلوب محبوب لذاته وما فيه من الخير، فهو مراد إرادة الغايات والمقاصد.

والمراد لغيره: قد لا يكون مقصودا لما يريد، ولا فيه مصلحة له بالنظر إلى ذاته، وإن كان وسيلة إلى مقصوده ومراده، فهو مكروه له من حيث نفسه وذاته، مراد له من حيث قضاؤه وإيصاله إلى مراده، فيجتمع فيه الأمران: بغضه وإرادته، ولا يتنافيان، لاختلاف متعلقهما.

وهذا كالدواء الكريه، إذا علم المتناول له أن فيه شفاءه، وقطع العضو المتآكل، إذا علم أن في قطعه بقاء جسده، وكقطع المسافة الشاقة، إذا علم أنها توصل إلى مراده ومحبوبه، بل العاقل يكتفي في إيثار هذا المكروه وإرادته بالظن الغالب، وإن خفيت عنه عاقبته، فكيف

=

=
بمن لا يخفى عليه خافية، فهو سبحانه يكره الشيء، ولا ينافي ذلك إرادته لأجل غيره، وكونه سببا إلى أمر هو أحب إليه من فوته، من ذلك: أنه خلق إبليس الذي هو مادة لفساد الأديان والأعمال والاعتقادات والإرادات، وهو سبب لشقاوة كثير من العباد، وعملهم بما يغضب الرب سبحانه، تبارك وتعالى، وهو الساعي في وقوع خلاف ما يحبه الله ويرضاه، ومع هذا فهو وسيلة إلى محاب كثيرة للرب تعالى ترتبت على خلقه، ووجودها أحب إليه من عدمها.

منها: أنه تظهر للعباد قدرة الرب تعالى على خلق المتضادات المتقابلات، فخلق هذه الذات، التي هي أخبث الذوات وشرها، وهي سبب كل شر، في مقابلة ذات جبرائيل، التي هي من أشرف الذوات وأطهرها وأزكاها، وهي مادة كل خير، فتبارك خالق هذا وهذا، كما ظهرت قدرته في خلق الليل والنهار، والدواء والداء، والحياة والموت، والحسن والقبيح، والخير والشر، وذلك من أدل دليل على كمال قدرته وعزته وملكه وسلطانه، فإنه خلق هذه المتضادات، وقابل بعضها ببعض، وجعلها مجال تصرفه وتدبيره، فخلو الوجود عن بعضها بالكلية تعطيل لحكمته وكمال تصرفه وتدبير مملكته.

ومنها: ظهور آثار أسمائه القهرية، مثل: القهار، والمنتقم، والعدل، والضار، والشديد العقاب، والسريع العقاب، وذي البطش الشديد، والخافض، والمذل، فإن هذه الأسماء والأفعال كمال، لا بد من وجود متعلقها، ولو كان الجن والإنس على طبيعة الملائكة لم يظهر أثر هذه الأسماء.

ومنها: ظهور آثار أسمائه المتضمنة لحلمه وعفوه ومغفرته وستره وتجاوزه عن حقه
=

=

وعتقه لمن شاء من عبيده، فلولا خلق ما يكرهه من الأسباب المفضية إلى ظهور آثار هذه الأسماء لتعطلت هذه الحكم والفوائد، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا بقوله: **"لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ وَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ وَيَسْتَغْفِرُونَ فَيَغْفِرَ لَهُمْ"**.

ومنها: ظهور آثار أسماء الحكمة والخبرة، فإنه الحكيم الخبير، الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها، فلا يضع الشيء في غير موضعه، ولا ينزله في غير منزلته التي يقتضيها كمال علمه وحكمته وخبرته، فهو أعلم حيث يجعل رسالاته، وأعلم بمن يصلح لقبولها ويشكره على انتهائها إليه، وأعلم بمن لا يصلح لذلك، فلو قدر عدم الأسباب المكروهة له لتعطلت حكم كثيرة، ولفاتت مصالح عديدة، ولو عطلت تلك الأسباب لما فيها من الشر، لتعطل الخير الذي هو أعظم من الشر الذي في تلك الأسباب، وهذا كالشمس والمطر والرياح، التي فيها من المصالح ما هو أضعاف أضعاف ما يحصل بها من الشر.

ومنها: حصول العبودية المتنوعة التي لولا خلق إبليس لما حصلت، فإن عبودية الجهاد من أحب أنواع العبودية إليه سبحانه، ولو كان الناس كلهم مؤمنين لتعطلت هذه العبودية وتوابعها من الموالاة لله سبحانه وتعالى والمعاداة فيه، وعبودية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعبودية الصبر ومخالفة الهوى، وإيثار محاب الله تعالى، وعبودية التوبة والاستغفار، وعبودية الاستعاذة بالله أن يجيره من عدوه ويعصمه من كيده وأذاه إلى غير ذلك من الحكم التي تعجز العقول عن إدراكها.

فإن قيل: فهل كان يمكن وجود تلك الحكم بدون هذه الأسباب؟ فهذا سؤال فاسد!

=



٤٣- أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ المَجْلَدِيُّ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الْسَرَّاجُ، ثَنَا يُوسُفُ بْنُ مُوسَى، أَخْبَرَنَا جَرِيرُ، عَنْ الأَعْمَشِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الْصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: "**إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ**

=

وهو فرض وجود الملزوم بدون لازمه، كفرض وجود الابن بدون الأب، والحركة بدون المتحرك، والتوبة بدون التائب. اهـ (شرح العقيدة الطحاوية/٢٥١:٢٥٥).

فالمشيئة تكون أبداً كونية، وتكون فيما يحبه الله عز وجل وما لا يحبه، كخلق إبليس كما سبق، أما المحبة فلا تكون أبداً إلا فيما يريده الله عز وجل ويحبه، والمشيئة لابد من حصول وقوعها، أما المحبة قد تقع وقد لا تقع، فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يحب عباده أن يعبدوه، لكنهم عصوه، وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم وتنقسم إلى هذين القسمين، وذكر منها: القضاء، والحكم، والإرادة، والكتابة، والبعث، والإرسال، والتحريم، والإنشاء. والله وأعلم.

وقول الإمام الصابوني رَحِمَهُٱللَّهُ: (اكتساب العباد أنها مخلوقة لله تعالى)، وذلك لأن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ خلق العبد وعمله، فخلق فيه الإرادة والقدرة اللتين تقودان أي عمل، والعبد هو الذي باشر فعله، فالذي قتل بالسكين هو العبد وليس الله عز وجل، والذي قال كلمة الكفر هو البد وليس الله، ولكن كل ذلك في علم الله وتقديره سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، والكسب أثبته الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في كتابه للمخلوق فقال: ﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ**﴾ (البقرة/١٣٤)،وقال: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ**﴾ (المدثر/٣٨).

يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ الْمَلَكَ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، رِزْقِهِ وَعَمَلِهِ وَأَجَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٍ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَةِ حَتَى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاع، ثُمَّ يُدْرِكَهُ مَا سَبَقَ لَهُ فَيَ الْكِتَابِ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلَهَا".[1]

وَيَشْهَدُ أَهْلُ الْسُنَّةِ وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْخَيْرَ وَالْشَّرَ وَالْنَّفْعَ وَالْضُّرَ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ، لاَ مَرَدَّ لَهُمَا، وَلاَ مَحِيصَ وَلاَ مَحِيدَ عَنْهُمَاَ، وَلاَ يُصِيبُ الْمَرءُ إِلَّاَ مَا كَتَبَهُ لَهُ رَبُّهُ، وَلَو جَهَدَ الْخَلْقُ أَنْ يَنْفَعُوْا الْمَرْءَ بِمَا لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ لَهُ؛ لَمْ يَقْدِرُوْا عَلَيْهِ، وَلَوْ جَهَدُوْا أَنْ يَضُرُّوهُ بِمَاَ لَمْ يَقْضِهِ اللهُ؛ لَمْ يَقْدِرُوْا، عَلَى مَاَ وَرَدَ بِهِ خَبَرُ عَبْدِ اللهِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ الْنَّبِي ﷺ، قَاَلَ اللهُ عز وجل: ﴿**وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ**﴾ الآية (يونس/١٠٧).

وَمِنْ مَذْهَبِ أَهْلِ الْسُنَّةِ وَطَرِيقَتِهِمْ مَعَ قَوْلِهِمْ بِأَنَّ الْخَيْرَ وَالْشَرَّ مِنْ اللهِ وَبِقَضَائِهِ، أَنَّهُ لاَ يُضَافُ إِلَى اللهِ تَعَالَى مَاَ يُتَوَهَّمُ مِنْهُ نَقْصٌ عَلَى الإِنْفِرَادِ، فَيُقَاَلُ: يَاَ خَالِقَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ وَالْخَنَافِسِ وَالْجُعْلاَنِ، وَإِنْ كَاَنَ لاَ مَخْلُوق إِلَّاَ وَالْرَّبُ خَالِقُهُ، وَفِي ذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ فِي دُعَاءِ الاسْتِفْتَاحِ: "**تَبَارَكْتَ**

---

(١) صحيح: البخاري (٣٢٠٨)، مسلم (٢٦٤٣)

وَتَعَالَيْتَ، وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ ".[1]

وَمَعْنَاهُ واللهُ أَعْلَمُ: وَالْشَرُّ لَيسَ مِمَّا يُضَافُ إِلَيْكَ إِفْرَادَاً وَقَصْدَاً، حَتَّى يُقَالَ لَكَ فِي الْمُنَادَاةِ: يَاَ خَالِقَ الْشَرِّ أَوْ يَاَ مُقَدِّرِ الْشَرِّ، وَإِنْ كَانَ هُوَ الْخَالِقُ وَالْمُقَدِّرُ لَهُمَا جَمِيعَاً، لِذَلِكَ أَضَاَفَ الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِرَادَةَ الْعَيْبِ إِلَى نَفْسِهِ، فَقَاَلَ: فِيمَاَ أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿**أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا**﴾ (الكهف/٧٩)، وَلَمَّاَ ذَكَرَ الْخَيْرَ وَالْبِرَّ وَالْرَّحْمَةَ أَضَاف إِرَادَتِهَا إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَاَلَ: ﴿**فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ**﴾ (الكهف/٨٢)، وَلِذَلِكَ قَاَلَ مُخْبِرَاً عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَاَلَ: ﴿**وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**﴾ (الشعراء/٨٠)، فَأَضَاَفَ الْمَرَضَ إِلَى نَفْسِهِ، وَالْشِّفَاءَ إِلَى رَبِّهِ، وَإِنْ كَاَنَ الْجَمِيعُ مِنْهُ.[2]

---

(١) مسلم (٧٧١).

(٢) فالخير ينسب إلى الله فعلاً منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والشر من مفعولاته، أي من مخلوقات الرب عز وجل، قدّره لحكمة، قال تعالى: ﴿**إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً**﴾ (الشرح/٦)، فهذا العسر الذي هو شر قدره الرب عز وجل لما فيه من اليسر والبشر للعبد، ولتتم حكمة الله في ابتلاء عباده، فيشكروه على ما أصابهم في السراء، والضراء، ليعلم الله الذي صدقوا وليعلم الكاذبين، ومن كرم الله البالغ في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً**﴾ أنه قال ﴿**مَعَ**﴾ ولم يقل: بعد، فلله الحمد أولاً وآخراً..



وَمِنْ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ أَنْ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مُرِيدٌ لِجَمِيعِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ خَيْرِهَا وَشَرِّهَا، لَمْ يُؤْمِنْ أَحَدٌ إِلَّاَ بِمَشِيئَتِهِ، وَلَمْ يَكْفُرْ أَحَدٌ إِلَّاَ بِمَشِيئَتِهِ، وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً، وَلَوْ شَاءَ أَنْ لاَ يُعْصَى مَاَ خَلَقَ إِبْلِيسَ، فَكُفْرُ الْكَافِرِينَ وَإِيمَانُ الْمُؤْمِنِينَ بِقَضَائِه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَقُدْرَتِهِ، وَإِرَادَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ، أَرَادَ كُلَّ ذَلِكَ وَشَاءَهُ وَقَضَاهُ، وَيَرْضَى الإِيمَانَ وَالطَّاعَةَ، وَيَسْخَطُ الْكُفْرَ وَالْمَعْصِيَةَ، قَاَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ**﴾ (الزمر/٧).[١]

وَيَعْتَقِدُ وَيَشْهَدُ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ أَنَّ عَوَاقِبَ الْعِبَادِ مُبْهَمَةٌ، لاَ يَدْرِي أَحَدٌ بِمَا يُخْتَمُ لَهُ، وَلاَ يَحْكُمُونَ لِوَاحِدٍ بِعَيْنِهِ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَلاَ يَحْكُمُونَ عَلَى أَحَدٍ بِعَيْنِهِ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، لأَنَّ ذَلِكَ مُغَيَّبٌ عَنْهُمُ، لاَ يَعْرِفُونَ عَلَى مَاَ يَمُوتُ عَلَيْهِ

(١) فهذا الفرق بين المشيئة والمحبة، فالإرادة الكونية التي لا تتبدل، ولا يشترط فيها أن يكون الله عز وجل يحبها؛ هي بمعنى مشيئته سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، والإرادة التي يريدها الله عز وجل ويحبها، وقد تقع وقد لا تقع، هي المحبة، فالله عز وجل أراد وأحب أن لا يُعصى، وهو سبحانه يُعصى من بعض خلقه، فلا يقال إن إرادة العبد غلبت إرادة الرب عز وجل، بل طاعة المطيع، ومعصية العاصي كل ذلك بإرادته الكونية، أما الشرعية فهي التي يجوز أن يخالف فيها ما يرضاه الله عز وجل ويحبه.



الإِنْسَانُ، وَلِذَلِكَ يَقُولُونَ: إِنَّا مُؤْمِنُونَ إِنْ شَاءَ اللهُ.[١]

وَيَشْهَدُونَ لِمَنْ مَاتَ عَلَى الإِسْلاَمِ أَنَّ عَاقِبَتَهُ الجَنَّةَ فَإِنَّ الَّذِينَ سَبَقَ الْقَضَاءُ عَلَيْهِمْ مِنْ اللهِ يُعَذَّبُونَ بِالْنَّارِ مُدَّةً لِذُنُوبِهِم الَّتِي اكْتَسَبُوهَا وَلَمْ يَتُوبُوْا مِنْهَا، فَإِنَّهُمْ يَرِدُونَ أَخِيرَاً إِلَى الجَنَّةِ وَلاَ يَبْقَى أَحَدٌ فِي الْنَّارِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَضْلاً مِن اللهِ وَمِنَّهَ، وَمَنْ مَاتَ وَالْعِيَاذُ بِاللهِ عَلَى الْكُفْرِ فَمَرَدَهُ إِلَى الْنَّارِ لاَ يَنْجُو مِنْهَا، وَلاَ يَكُونُ لِمَقَامِهِ فِيهَا مُنْتَهَى.

فَأَمَّا الَّذِينَ شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ أَصْحَابِهِ بِأَعْيَانِهِمْ، فَإِنَّ أَصْحَابَ الحَدِيثِ يَشْهَدُونَ لَهُمْ بِذَلِكَ، تَصْدِيقاً مِنْهُمْ لِلْرَسُولِ ﷺ فِيمَا ذَكَرَهُ وَوَعَدَهُ لَهُمْ، فَإِنَّهُ ﷺ لَمْ يَشْهَدْ لَهُمْ بِهَا إِلَّا بَعْدَ أَنْ عَرَفَ ذَلِكَ، وَاللهُ تَعَالَى أَطْلَعَ رَسُولَهُ ﷺ عَلَى مَا شَاءَ مِنْ غَيْبِهِ، وَبَيَانُ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ**﴾ (الجن/٢٦:٢٧).

وَقَدْ بَشَّرَ ﷺ عَشَرَةً مِنْ أَصْحَابِهِ بِالجَنَّةِ، وَهُمْ أَبُو بَكْرٍ، وعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالْزُّبَيْرُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَسَعْدُ، وَسَعِيدُ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ، وَكَذَلِكَ قَالَ لِثَابِتِ بِنْ قَيسٍ بْنِ شَمَّاسٍ: أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، قَالَ أَنَسُ

---

(١) وهذه المسألة تسمى بالقطع، أي القطع والجزم بأن فلان المعين في الجنة أو في النار، وسيأتي الكلام عنها إن شاء الله.



بْنُ مَالِكٍ: فَلَقَدْ كَانَ يَمْشِي بِيْنَ أَظْهُرِنَا وَنَحْنُ نَقُولُ: إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ.[1]

---

(١) من عقيدة أهل السنة والجماعة: أنهم لا يقطعون لأحد بالجنة أو بالنار، إلا من شهد له نص من كتاب أو من سنة.

وقد نص القرآن الكريم على أناس أنهم من أهل الجنة، وآخرون من أهل النار، فقد قال الله تعالى عن أبي لهب وامرأته: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ**﴾ (المسد/١:٥)، وقال تعالى عن الوليد بن المغيرة الوحيد: ﴿**سَأُصْلِيهِ سَقَرَ**﴾.

ومن أهل الجنة قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١) وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ**﴾ (التحريم/١١:١٢).

ومن السنة، فقد ذكر رسول الله ﷺ أن أباه وأمه وعمه في النار، فهؤلاء نقطع أنهم في النار.

وقد ذكر العشرة المبشرين وقيس بن ثابت، وغيرهم أنهم في الجنة، كما ذكر عبد الله بن حرام، وأنه كلم ربه كفاحاً، إلى غير ذلك مما ذكره ﷺ، فأهل الحديث يقطعون بمن ذكرهم رسول الله ﷺ أنهم في الجنة، أنهم في الجنة، ومن في النار أنهم في النار.

عن عبد الرحمن بن حميد، عن أبيه، أن سعيد بن زيد، حدثه في نفر، أن رسول الله ﷺ قال: "**عَشَرَةٌ فِي الجَنَّةِ: أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَالزُّبَيْرُ، وَطَلْحَةُ،**



=

وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ" قَالَ: فَعَدَّ هَؤُلَاءِ التِّسْعَةَ وَسَكَتَ عَنِ العَاشِرِ، فَقَالَ القَوْمُ: نَنْشُدُكَ اللَّهَ يَا أَبَا الأَعْوَرِ مَنِ العَاشِرُ؟ قَالَ: نَشَدْتُمُونِي بِاللَّهِ، أَبُو الأَعْوَرِ فِي الجَنَّةِ". (الترمذي/٣٧٤٨).

أقوال بعض العلماء في القطع بالجنة أو بالنار:

قال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن كان من أهل الإسلام فلا تشهد له بعمل خير ولا شر، فإنك لا تدري بما يختم له عند الموت، ترجو له رحمة الله، وتخاف عليه ذنوبه لا تدري ما سبق له عند الموت إلى الله من الندم، وما أحدث الله في ذلك الوقت إذا مات على الإسلام، ترجو له الرحمة، وتخاف عليه ذنوبه، وما من ذنب إلا وللعبد منه توبة. اهـ (شرح السنة/٣٤).

وقال في موضع آخر: والسنة أن تشهد للعشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة أنهم من أهل الجنة لا شك فيه. اهـ.

وقال في موضع آخر: ومن لم يشهد لمن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة؛ فهو صاحب بدعة وضلالة، شاك فيما قال رسول الله ﷺ.

وقال المزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والمؤمنون في الإيمان يتفاضلون، وبصالح الأعمال هم متزايدون، ولا نخرج بالذنوب من الإيمان، ولا يكفرون بركوب معصية ولا عصيان، ولا نوجب لمحسنهم الجنان بعد من أوجب له النبي ﷺ وآله وسلم، ولا نشهد على مسيئهم بالنار. اهـ (شرح السنة/٨١).

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولا نشهد على أحدٍ من أهل القبلة بعمل يعمله بجنة ولا

=



[الصَّحَابَةُ]

وَيَشْهَدُونَ وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ أَفْضَلَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ ثُمَّ عَلِيٌّ، وَأَنَّهُمْ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الَّذِينَ ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ خِلاَفَتَهُمْ بِقَوْلِهِ فِيمَا رَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ نَبْهَانِ، عَنْ سَفِينَةَ: "**الْخِلاَفَةُ بَعْدِي ثَلاَثُونَ سَنَةً**"(١)، وَبَعْدَ انْقَضَاءِ أَيَّامِهِمْ عَادَ الأَمْرُ إِلَى الْمُلْكِ الْعَضُوضِ عَلَى مَا أَخْبَرَ عَنْهُ الرَّسُولُ

=

نار، نرجو للصالح، ونخاف عليه، ونخاف على المسيء المذنب، ونرجو له رحمه الله. اهـ (أصول السنة/١٠٦).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد سئل عن البراءة والولاية والشهادة فقال: البراءة أن تبرأ من أحد من أصحاب رسول الله، والولاية أن تتولى بعضاً وتترك بعضاً، والشهادة أن تشهد على أحد أنه في النار. اهـ (السنة للخلال:١/٣٧٩).

قال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والشهادة بدعة، والبراءة بدعة، والولاية بدعة. اهـ (الإبانة الصغرى:٢/٩٣٤).

وقال أبو عبيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن سلمة بن كُهيل قال: اجتمع الضحاك وميسرة وأبو البختري، فاجتمعوا على أن الشهادة بدعة، والإرجاء بدعة، والبراءة بدعة. اهـ (الإيمان ضمن مجموع رسائل الإيمان/٨٠).

قلت: إلا بنص كما ذكرت.

(١) صحيح: أبو داود (٤٦٤٨)، وقال الألباني: حسن صحيح.



ﷺ.(١)

وَيُثْبِتُ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ خِلافَةَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بِاخْتِيَارِ الصَّحَابَةِ وَاتِّفَاقِهِمْ عَلَيْهِ، وَقَوْلِهِمْ قَاطِبَةً: رَضِيَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِدِينِنَا، فَرَضِينَاهُ لِدُنْيَانَا، وَقَوْلِهِمْ: قَدَّمَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَمَنْ يُؤَخِّرَكَ! وَأَرَادُوا أَنَّهُ ﷺ قَدَّمَكَ فِي الْصَلاَةِ بِنَا أَيَّامَ مَرَضِهِ، فَصَلَّيْنَا وَرَاءَكَ بِأَمْرِهِ، فَمَنْ ذَا الَّذِي يُؤَخِّرَكَ بَعْدَ تَقْدِيمِهِ إِيَّاكَ؟

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَكَلَّمُ فِي شَأْنِ أَبِي بَكْرٍ فِي حَالِ حَيَاتِهِ بِمَا يُبَيِّنُ لِلْصَحَابَةِ أَنَّهُ أَحَقُّ الْنَّاسِ بِالْخِلاَفَةِ بَعْدَهُ، فَلِذَلِكَ اتْفَقُوا عَلَيْهِ وَاجْتَمَعُوا، فَانْتَفَعُوا بِمَكَانِهِ واللهِ، وَارْتَفَعُوا بِهِ وَارْتَفَقُوْا حَتَّى قَاَلَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: وَاللهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلَّاَ هُوَ لَوْلاَ أَنَّ أَبَاَ بَكْرٍ اسْتُخْلِفَ لَمَاَ عُبْدَ اللهُ، وَلَمَّاَ قِيلَ لَهُ: مَهْ يَاَ أَبَاَ هُرَيْرَةَ! قَامَ بِحُجَّةِ صِحَّةِ قَوْلِهِ، فَصَدَّقُوهُ فِيهِ وَأَقَرُّوْا بِهِ.

ثُمَّ خِلاَفَةَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّاَبَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وَأَرْضَاهُ بِاسْتِخْلاَفِ أَبِي بَكَرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ

---

(١) الخلفاء الأربعة كما جاء في حديث سفينة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ هم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، والملك بدأ من تملك معاوية بن أبي سفيان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

فعن سفينة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مولى رسول الله ﷺ: "**الخِلاَفَةُ فِي أُمَّتِي ثَلاَثُونَ سَنَةً، ثمُ مِنْ بَعْدِ ذَلِك مُلْكٌ**" فقال سفينة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: امسك خلافة أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ سنتان، وخلافة عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عشر، وخلافة عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ اثنتا عشر، وخلافة علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ست.



إِيَّاهُ، وَاتْفَاقِ الْصَّحَابَةُ عَلَيْهِ بَعْدَهُ، وَإِنْجَازِ اللهُ سُبْحَانَهُ بِمَكَانِهِ فِي إِعْلاَءِ الإِسْلاَمَ، وَإِعْظَامِ شَأْنَّهُ وَعْدَهُ.

ثُمَّ خِلاَفَةَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْشُّوْرَى، وَإِجْمَاعِ الأَصْحَابِ كَافَّةً، وَرِضَاهُمْ بِهِ حَتَّى جُعِلَ الأَمْرُ إِلَيْهِ.

ثُمَّ خِلاَفَةَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِبَيْعَةِ الْصَّحَابَةِ إِيَّاهُ، عَرَفَهُ وَرَآهُ كُلٌّ مِنْهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَحَقَّ الْخَلْقِ وَأَوْلاَهُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ بِالْخِلاَفَةِ، وَلَمْ يَسْتَجِيزُوْا عِصْيَانَهُ وَخِلاَفَهُ.(١)

---

(١) قال الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ: فقد والله أنجز الله عز وجل الكريم للمهاجرين والأنصار ما وعدهم به، جعلهم الخلفاء من بعد الرسول، ومكنهم في البلاد، ففتحوا الفتوح، وغنموا الأموال، وسبوا ذراري الكفار، وأسلم على أيديهم من الكفار خلق كثير، وأعزوا دين الله عز وجل، وأذلوا أعداء الله عز وجل، وظهر أمر الله ولو كره المشركون، وسنوا للمسلمين السنن الشريفة، وكانوا بركة على جميع الأمة، أبو بكر وعمر، وعثمان، وعلي **﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** (المجادلة/٢٢).

يقال: من أحب أبا بكر فقد أقام الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله عز وجل، ومن أحب علي بن أبي طالب، فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن قال الحسنى في أصحاب محمد ﷺ فقد برئ من النفاق، ولكل =



=

واحد منهم من الفضائل ما لا يحصى كثرة، نفعنا الله بحبهم إنه سميع قريب. اهـ

(الشريعة/٤١٤).

وقال في بيان خلافة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اعلموا رحمنا الله وإياكم، أنه لم يختلف من شمله الإسلام وأذاقه الله الكريم طعم الإيمان؛ أنه لم يكن خليفة بعد رسول الله ﷺ، إلا أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لا يجوز لمسلم أن يقول غير هذا، وذلك لدلائل خصه الله الكريم بها، وخصه بها النبي ﷺ في حياته، وأمر بها بعد وفاته.

منها: أنه أول من أسلم من الرجال، وأول من صدق الرسول ﷺ، وصحبه وأحسن الصحبة، وأنفق عليه ماله، وصاحبه في الغار، والمنزل عليه السكينة، وعاتب الله عز وجل الخلق كلهم في النبي ﷺ إلا أبا بكر، فإنه أخرجه من المعاتبة، وهو قوله عز وجل: ﴿**إِلاّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ**﴾ (التوبة/٤٠)، والصابر معه بمكة في كل شدة، ورفيقه في الهجرة، ومرض النبي ﷺ، فلم يمكنه الخروج إلى الصلاة فأمر أن يتقدم أبو بكر، فيصلي بالناس، ولا يتقدم غيره، وصلى ﷺ خلفه، وخرج النبي ﷺ يصلح بين بني عمرو بن عوف، وقال لبلال: "**إِنْ أَبْطَأْتُ فَقَدِّمْ أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**"، وقال ﷺ: "**إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ**"، وقال النبي ﷺ لأبي بكر وهما في الغار وقد علم ﷺ أن أبا بكر إنما حزنه على النبي ﷺ وإشفاقه عليه، فقال له النبي ﷺ: "**يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟**"، فكل هذه الخصال الشريفة الكريمة دلت على أنه الخليفة بعده، لا يشك في هذا مؤمن وأما ما كان بعد وفاته، فإنه رواه جُبير بن مطعم أن امرأة أتت النبي ﷺ، فكلمته في شيء، فأمرها أن

=

=

ترجع إليه فقالت: يا رسول الله، أرأيت إن لم أجدك تعرض بالموت فقال لها: "**إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ**"، ثم بايعه المهاجرون والأنصار معرفة منهم بحق أبي بكر وفضله، وبايعه علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لهو أول من بايعه من بني هاشم، وروى الشعبي عن شقيق بن سلمة قال: قيل لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقت ما قتل: استخلف علينا؟ فقال: ما أستخلف، ولكن إن يرد الله عز وجل بهذه الأمة خيرا يجمعهم على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم ﷺ، على خيرهم وروي أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قام بعدما بويع له وبايع له علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأصحابه قام ثلاثا يقول: أيها الناس قد أقلتكم بيعتكم، هل من كاره؟ قال: فيقوم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أوائل الناس فيقول: لا والله لا نقيلك ولا نستقيلك، قدمك رسول الله ﷺ، فمن ذا الذي يؤخرك؟ اهـ (الشريعة/٤٤١:٤٤٢).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان خلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وكان أحق الناس بالخلافة بعد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لما جعل الله الكريم فيه من الأحوال الشريفة الكريمة، والدليل على ذلك أنه لما علم أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موضع عمر من الإسلام، وأن الله عز وجل أعز به الإسلام، وعلم موضعه من رسول الله ﷺ، علم قدر ما خصه الله الكريم به من الفضائل، فناصح أبو بكر ربه عز وجل في أمة محمد ﷺ، فاستخلف عليهم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعلم أن الله مسائله عن ذلك، فما آلي جهدا في النصيحة للمسلمين، ولقد عارض رجل من المهاجرين لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال له: أذكرك الله عز وجل واليوم الآخر فإنك قد استخلفت على الناس رجلا فظا غليظا، وإن الله عز وجل سائلك، فقال أبو بكر: أجلسوني، فأجلسوه فقال: أتفرقوني إلا

=

=

بالله؟ فإني أقول له تبارك وتعالى إذا لقيته: استخلفت عليهم خير أهلك. اهـ (الشريعة/٤٥١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بين خلافة عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لما طعن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وتيقن أنه الموت كان من حسن توفيق الله الكريم له، ونصيحته لله عز وجل في رعيته، وحسن النظر لهم حيا وميتا، أنه جعل الأمر بعده شورى بين جماعة من الصحابة الذين قبض النبي ﷺ وهو عنهم راض، وقد شهد لهم بالجنة، وأخرج ولده من الخلافة ومن المشورة، وقال لهم: من اخترتم منكم أن يكون خليفة فهو خليفة، وهم ستة عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمن بن عوف، وجزاهم عن الأمة خيرا، فما قصروا في الاجتهاد، فرضي القوم بعثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فبايعه علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وسائر الصحابة، لم يختلف عليه واحد منهم لعلمهم بفضله، وقديم إسلامه، ومحبته لله ولرسوله، وبذله لماله لله ولرسوله، ولفضل علمه ولعظيم قدره عند رسول الله ﷺ، وإكرام النبي ﷺ، لا يشك في ذلك مؤمن عاقل، وإنما يشك في ذلك جاهل شقي قد خطئ به عن سبيل الرشاد، ولعب به الشيطان، وحرم التوفيق. اهـ (الشريعة/٤٥٥).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان خلافة علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: اعلموا رحمنا الله وإياكم أنه لم يكن بعد عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أحد أحق بالخلافة من علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، لما أكرمه الله عز وجل به من الفضائل التي خصه الله الكريم بها، وما شرفه الله عز وجل به من السوابق الشريفة، وعظيم القدر عند الله عز وجل وعند رسوله ﷺ، وعند صحابته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وعند جميع المؤمنين، قد جمع له الشرف من كل جهة، ليس من خصلة شريفة إلا وقد خصه الله عز وجل بها: ابن عم الرسول، وأخو النبي ﷺ، وزوج فاطمة الزهراء، وأبو الحسن

=

فَكَانَ هَؤُلاَءِ الأَرْبَعَةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الَّذِينَ نَصَرَ اللهُ بِهِم الْدِّينَ، وَقَهَرَ وَقَسَرَ بِمَكَانِهِمْ الْمُلْحِدِينَ، وَقَوَّى بِمَكَانِهِمْ الإِسْلاَمَ، وَرَفَعَ فِي أَيَّامِهِمْ لِلْحَقِّ الأَعْلاَمَ، وَنَوَّرَ بِضِيَائِهِمْ وَنُورِهِمْ وَبَهَائِهِمْ الْظَّلاَمَ، وَحَقَّقَ بِخِلاَفَتِهِمْ وَعْدَهُ الْسَّابِقُ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾ الآية (النور/٥٥)، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿**أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ**﴾ (الفتح/٢٩) فَمَنْ أَحَبهُمْ وَتَوَلاَهُمْ، وَدَعَا لَهُمْ، وَرَعَى حَقَّهُمْ، وَعَرَفَ فَضْلَهُمْ؛ فَازَ فِي الْفَائِزِينَ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ وَسَبَّهُمْ، وَنَسَبَهُمْ إِلَى مَا تَنْسِبَهُمْ الْرَّوَافِضُ وَالْخَوَارِجُ[١] لَعَنَهُمْ اللهُ؛ فَقَدْ هَلَكَ فِي الْهَالِكِينَ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَمَنْ سَبَّهُمْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ**"[٢]،

=

والحسين ريحانتي النبي ﷺ، ومن كان النبي ﷺ له محبا ، وفارس العرب ومفرج الكرب عن رسول الله ﷺ. اهـ (الشريعة/٤٥٩).

(١) في (ج) [الخوارج والروافض]، والخوارج هم الذي خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، والروافض هم الذي رفضوا زين العابدين لأنه لم يتبرأ من الشيخين أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) ضعيف بهذا اللفظ: وقد صح عند البخاري (٣٦٧٣): "**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**". عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.



وَقَالَ: "**مَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ سَبَّهُمْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ**".[١]

---

(١) ضعيف: الترمذي (٣٨٦٢)، وضعفه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

اعلم رحمك الله أنه لم يكن الكلام في الصحابة من حيث الحب أو البغض بهذه الطريقة من مباحث العقيدة؛ حتى خرجت علينا نابتة سوء، تكلموا في الصحابة بالكفر والفسق والزندقة والتكذيب.

ولما صار بغض الصحابة علمٌ على فرقٍ ماجنةٍ وليس من هدي أهل التقى والإيمان، صار حب الصحابة من أصول العقيدة، إذ لو كانوا غير ما وصفهم الله عز وجل لكانوا صحابة سوء، ولكُنَّا قد اتهمنا نبينا ﷺ بعدم قدرته على اختيار صحبته، بل إن القدح في الصحابة قدحٌ في النبي ﷺ.

قال الله عز وجل فيهم: ﴿**فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا**﴾ (الفتح/٢٦)، وقال تعالى عن المهاجرين والأنصار: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ (التوبة/١٠٠)، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾ (الأنفال/٧٢)، وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٧٤) وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ**
=



=

وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الأنفال/٧٤:٧٥)، وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالأِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر/٨:٩)، وقال تعالى: ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (التوبة/٨٨)، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾ (الفتح/١٨)، وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ (الفتح/٢٩).

عن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: "الْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ". (صحيح ابن حبان/٧٢٦٠).

وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ ذكر حوضه، فقالوا: يا رسول الله من أول الناس ورودا له؟ فقال: "فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ الشَّعْثَةُ رُؤُسُهُم، الدَّنِسَةُ ثِيَابُهُمْ، الَّذِينَ لا تُفْتَحُ لَهُمُ السُّدَدُ، وَلاَ يَنْكِحُونَ الْمُتَنَعِمَاتِ". (مسند الشاميين للطبراني:٢/٥١).

=



=

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: علم رسول الله ﷺ أن الشعب أحرز من الوادي، فقال : "**لَو سَلَكَ الأَنْصَارُ شِعْبَاً، وَسَلَكَ النَّاسُ وَادِيَاً، لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ، وَلَوْلاَ الْهِجْرَة لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ الأَنْصَارِ، اقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ، الأَنْصَارُ عَيْبَتِي وكَرِشِي -أي خاصتي وموضع سري-، أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالْشَاءِ وَالْبَكَرَاتِ وَتَذْهَبُوا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ؟**" ثم قال: "**أَمَا لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ: جِئْتَنَا طَرِيدَاً فَآوَيْنَاكَ، وَخَذَلَكَ النَّاسُ فَنَصَرْنَاكَ**" فبكوا، وقالوا: لله ولرسوله المنة علينا. (الشريعة للآجري/٤١٦).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ: "**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلأَنْصَارِ، وَلأَبْنَاءِ الأَنْصَارِ، وِلأَبْنَاءِ أَبْنَاءِ الأَنْصَارِ**"، (مسلم/٥٠٦)، وغير ذلك كثير أيضاً في السنة.

مسألة سب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

سب الصحابة حرام شرعاً، لنهي النبي ﷺ عن ذلك عموماً وخصوصاً.

أما العموم، فقوله ﷺ: "**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ**".

وأما الخصوص، فقوله ﷺ: "**لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلُو أَنْ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبَاً مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَه**". (البخاري/٣٦٧٣).

وقد يكون سبُّ بعضهم كفر أكبر، يخرج صاحبه من الملة، كمن سب أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، واتهمها بالفاحشة، فهو بهذا القول كذَّب صريح القرآن، ورد براءتها، والله عز وجل قد برئها من فوق سبع سموات.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا رأيت أحداً يذكر أصحاب رسول الله ﷺ بسوء فاتهمه على الإسلام. اهـ (شرح أصول الاعتقاد:٧/٧٠).

=

=

قال اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن ابن عبد الرحمن بن أبزى سأل أباه عبد الرحمن فيمن سب أبا بكر ما كنت تصنع به؟ قال: كنت أضرب عنقه، قلت: فعمر؟ قال: أضرب عنقه.

وضرب عمر بن عبد العزيز من سب معاوية أسواطاً.

وعن أحمد بن حنبل: يُضرب، وما أراه على الإسلام.

وعن إبراهيم النخعي كان يقال: شتم أبي بكر وعمر من الكبائر.

وعن أبي إسحاق السبيعي قال: شتم أبي بكر وعمر من الكبائر التي قال الله عز وجل: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ (النساء/٣١)

وعن طلحة بن مصرف قال: كان يقال: بغض بني هاشم نفاق، وبغض أبي بكر وعمر نفاق، والشاك في أبي بكر كالشاك في السنة.

ومن الفقهاء عن مالك بن أنس أن من سب الصحابة فلا سهم له مع المسلمين في الفيء.

وسئل إسماعيل بن إسحاق عمن سب عائشة فأفتى بقتله.

وقتل الحسن ومحمد ابنا زيد الداعي الطبرستاني اللذان وليا ديار طبرستان رجلين مما قذفا عائشة. اهـ (شرح أصول الاعتقاد:٧/٨١:٩٢).

قال الشيخ العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سب الصحابة على ثلاثة أقسام:

الأول: أن يسبهم بما يقتضي كفر أكثرهم، أو أن عامتهم فسقوا، فهذا كفر، لأنه تكذيب لله ورسوله بالثناء عليهم والترضي عنهم، بل من شك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين، لأن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب أو السنة كفار، أو فساق.

=

[مَسَائِل مُتَفَرِّقَة]

وَيَرَى أَصْحَابُ الْحَدِيثِ الْجُمُعَةَ وَالْعِيدَيْنِ وَغِيْرَهُمَا مِنْ الصَّلَوَاتِ خَلْفَ كُلِّ إِمَامٍ مُسْلِمٍ بَرّاً كَانَ أَوْ فَاجِراً، وَيَرَوْنَ جِهَادَ الْكَفَرَةِ مَعَهُمْ وَإِنْ كَانُوا جَوَرَةً فَجَرَةً، وَيَرَوْنَ الدُّعَاءَ لَهُمْ بِالإِصْلاحِ وَالتَّوْفِيقِ وَالصَّلاحِ، وَلاَ يَرَوْنَ الْخُرُوجَ عَلَيْهِم بِالسَّيْفِ، وَإِنْ رَأَوْا مِنْهُمْ الْعُدُولَ عَنْ الْعَدْلِ إِلَى الْجَوْرِ والْحَيْفِ، وَيَرَوْنَ قِتَالَ الْفِئَةَ الْبَاغِيَةَ حَتَّى تَرْجِعَ إِلَى طَاعَةِ الإِمَامِ الْعَدْلِ.(١)

=

الثاني: أن يسبهم باللعن والتقبيح، ففي كفره قولان لأهل العلم وعلى القول بأنه لا يكفر يجب أن يجلد ويحبس حتى يموت أو يرجع عما قال.

الثالث: أن يسبهم بما لا يقدح في دينهم كالجبن والبخل فلا يكفر ولكن يعزر بما يردعه عن ذلك، ذكر معنى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب [الصارم المسلول]، ونقل عن أحمد قوله: لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم، ولا يطعن على أحد منهم بعيب أو نقص، فمن فعل ذلك أدب، فإن تاب وإلا جلد في الحبس حتى يموت أو يرجع. اهـ

(جامع شروح لمعة الاعتقاد/٣١٢:٣١٣).

(١) هذه جملة من المسائل تنظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم، الراعي والرعية، وهي مسألة في غاية الخطورة والأهمية، ولذلك نبه عليها النبي ﷺ أصحابه، وأمرهم بالصبر عليهم وعلى جورهم، وقد ابتدأ الخلال رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابه بهذه المسألة العظيمة، والتي بها تستقيم الحياة، وتأمن النفوس على أنفسها وأعراضها وأموالها.

=

=

قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء/٥٩)، فولاة الأمور لهم حق الطاعة ما لم يخالفوا شرع الله عز وجل.

فإن رسول الله ﷺ الذي قال للأمة: "**إِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ، فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ**" قالوا: يا رسول الله، ألا نقاتلهم؟ قال: "**لا، مَا صَلَّوْا**". (مسلم/١٨٥٤)، هو الذي قال أيضاً: "**لا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**". (مسلم/١٨٤٠)، فطاعة الإمام متوقفة على أمره بطاعة الله عز وجل ورسوله ﷺ.

وقد حث النبي ﷺ أمته على السمع والطاعة، وإن ظلموا وضربوا وآذوا، وفعلوا ما يستبشع من الأمور ما لم يكن كفراً، أو فسقاً على قول من قال يخلع الحاكم إن فسق.

فعن وائل الحضرمي، قال: سأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله ﷺ، فقال: يا نبي الله، أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا، فما تأمرنا؟ فأعرض عنه، ثم سأله، فأعرض عنه، ثم سأله في الثانية أو في الثالثة، فجذبه الأشعث بن قيس، وقال: "**اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا، وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ**". (مسلم/١٨٤٦).

وعن عوف بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: "**خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ**"، قِيلَ: يا رسول الله، أفلا ننابذهم بالسيفِ؟ فقال: "**لا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاةَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ، فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ، وَلا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ**". (مسلم/١٨٥٥).

=



=

وقد ذكر أئمة السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، نقولات كثيرة عن الصحابة والأئمة في السمع والطاعة، والصلاة خلف الأئمة العادل منهم والفاجر، واعتنوا بهذا الباب كثيراً جداً، منهم البربهاري، والخلال، وابن بطة، والآجري، وأحمد، وابنه، والسجزي، والاسماعيلي، والمصنف...الخ من العلماء والأئمة.

قال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: باب في السمع والطاعة لمن ولي أمر المسلمين، والصبر عليهم وإن جاروا، وترك الخروج عليهم ما أقاموا الصلاة. اهـ (الشريعة/٣٢).

فهذه المسألة من أصول أهل السنة كما ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد نقل الإجماع عليها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما ذكره في الواسطية، فقال: ويرون إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء، أبرارا كانوا أو فجارا. اهـ

وقال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه؛ لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء. اهـ (فتح الباري:١٣/٨).

وممن سبق قول المزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والطاعة لأولي الأمر فيما كان عند الله عز وجل مرضيا، واجتناب ما كان عند الله مسخطاً...ولا نترك حضور الجمعة، وصلاتها مع برِّ هذه الأمة وفاجرها لازمٌ...والجهاد مع كل إمامٍ عدل أو جائر والحج. اهـ (شرح السنة/٨٥:٨٧).

وقال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد أجمعت العلماء من أهل الفقه والعلم والنساك، والعباد، والزهاد من أول هذه الأمة إلى وقتنا هذا: أن صلاة الجمعة والعيدين، ومنى وعرفات، والغزو والجهاد، والهدي مع كل أمير بر وفاجر، وإعطاءهم الخراج والصدقات =

وَيَرَوْنَ الْكَفَّ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ أَصحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَتَطْهِيرَ الأَلْسِنَةِ عَنْ ذِكْرِ مَا يَتَضَمَّنُ عَيْبَاً لَهُمْ وَنَقْصَاً فِيهِمْ، وَيَرَوْنَ التَّرَحُمَ عَلَى جَمِيعِهِمْ، وَالْمُوَالاَةَ لِكَافَتِهِمْ، وَكَذَلِكَ يَرَوْنَ تَعْظِيمَ قَدْرَ أَزْوَاجِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ، وَالْدُّعَاءَ لَهُنَّ وَمَعْرِفَةَ فَضْلَهُنَّ وَالإِقْرَارَ بِأَنَهُنَّ أُمْهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ.(١)

=

والأعشار جائز. اهـ (الإبانة الصغرى/٧٢٧)، والله أعلم.

(١) قال سفيان بن عيينة: من نطق في أصحاب رسول الله ﷺ بكلمة فهو صاحب هوى. اهـ (شرح السنة للبربهاري/٣٢).

وقال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والكف عن حرب علي ومعاوية وعائشة وطلحة والزبير رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ أجمعين ومن كان معهم، لا تخاصم فيهم، وكل أمرهم إلى الله تعالى. اهـ (شرح السنة/٥٦:٥٧).

وقال أيضاً: وإذا رأيت الرجل يطعن على أصحاب النبي ﷺ؛ فاعلم أنه صاحب قول سوء وهوى...ولا تحدث بشيء من زللهم ولا حربهم ولا ما غاب عنك علمه، ولا تسمعه من أحد يحدث به، فإنه لا يسلم لك قلبك إن سمعته. اهـ (شرح السنة/٥٩).

وقال: واعلم أنه من تناول أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ، فاعلم أنه إنما أراد محمدا ﷺ، وقد آذاه في قبره. اهـ (شرح السنة/٦٣).

قال أبو بكر المروذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت هارون بن عبد الله يقول لأبي عبد الله: جاءني كتاب من الرقة؛ أن قوما قالوا: لا نقول معاوية خال المؤمنين فغضب وقال: ما

=

=

اعتراضهم في هذا الموضع! يُجْفَوْنَ حتى يتوبوا. اهـ (السنة للخلال:١/٣٣٩).

عن أبي بكر المروذي قال: قلت لأبي عبد الله: أيما أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز؟ فقال: معاوية أفضل، لسنا نقيس بأصحاب رسول الله ﷺ أحدا، قال النبي ﷺ: "**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي الَّذِي بُعِثْتُ فِيهِمْ**". اهـ (السنة للخلال:١/٣٤٠).

قال الفضيل: أوثق عملي في نفسي؛ حب أبي بكر وعمر وأبي عبيدة بن الجراح، وحبي أصحاب محمد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ جميعا، وكان يترحم على معاوية، ويقول: كان من العلماء من أصحاب محمد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. اهـ (السنة للخلال:١/٣٤٣).

عن سعيد بن المسيب قال: شهدت عليا وعثمان، وكان بينهما نزغ من الشيطان، فما ترك واحد منهما لصاحبه شيئا إلا قاله، فلو شئت أن أقص عليكم ما قالا لفعلت، ثم لم يبرحا حتى اصطلحا، واستغفر كل واحد منهما لصاحبه. اهـ (السنة للخلال:١/٣٦٢).

قال المزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ويقال بفضلهم، ويذكرون بمحاسن أفعالهم، ونمسك عن الخوض فيما شجر بينهم، فهم خيار أهل الأرض بعد نبيهم، ارتضاهم الله عز وجل لنبيه، وخلقهم أنصاراً لدينه، فهم أئمة الدين، وأعلام المسلمين رضي الله عنهم أجمعين. اهـ (شرح السنة/٨٧).

وقال أحمد: ومن انتقص أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ، أو أبغضه بحدث كان منه، أو ذكر مساوئه؛ كان مبتدعا حتى يترحم عليهم جميعا، ويكون قلبه لهم سليما. اهـ (أصول السنة/١١٨).

ولو أردت أن أنقل أقوال العلماء في هذا الباب لاحتجنا إلى قراطيس عديدة، وقد جمعت

=



وَيَعْتَقِدُونَ وَيَشْهَدُونَ أَنَّ أَحَدَاً لاَ تَجِبُ لَهُ الجَنَّةَ وَإِنْ كَانَ عَمَلُهُ حَسَنَاً، وَطَرِيقُهُ مُرْتَضىً إِلَّا أَنَ يَتَفَضَّلَ اللهُ عَلَيْهِ، فَيُوجِبُهَا لَهُ بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ، إِذْ عَمَلُ الخَيْرِ الَّذِي عَمَلَهُ لَمْ يَتَيَسَّرْ لَهُ إِلَّا بَتَيْسِيرِ اللهِ عَزَّ اسْمُهُ، فَلَو لَمْ يُيَسِّرْهُ لَمْ يَتَيَسَّرْ لَهُ، وَلَو لَمْ يَهْدِهِ لَمْ يَهْتَدْ لَهُ أَبَدَاً، قَاَلَ اللهُ عز وجل: ﴿**وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ**﴾ (النور/٢١) فِي آثَارٍ سِوَاهَا.

وَيَعْتَقِدُونَ وَيَشْهَدُونَ أَنَّ اللهَ عز وجل أَجَّلَ لِكُلِّ مَخْلُوقٍ أَجَلاً، وَأَنَّ نَفْسَاً لَنْ تَمُوتَ إِلَّاَ بِإِذْنِ اللهِ كِتَاَبَاً مُؤَجلاً، وَإِذَاَ انْقَضَى أَجَلُ المَرْءِ فَلَيْسَ إِلَّاَ المَوْتُ، وَلَيْسَ لَهُ مِنْهُ فَوْتٌ، قَاَلَ اللهُ عز وجل: ﴿**وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾ (الأعراف/٣٤)، وَقَاَلَ: ﴿**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً**﴾ (آل عمران/١٤٥).

وَيَشْهَدُونَ أَنَّ مَنْ مَاَتَ أَوْ قُتِلَ فَقَدْ انْقَضَى أَجَلُهُ، قَاَلَ اللهُ عز وجل: ﴿**قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ**﴾ (آل عمران/١٥٤). (١)

=

أقول العلماء في مسائل الاعتقاد في جزء سميته (جمهرة مقالات السلف) وقد أعانني الله عز وجل من الانتهاء من الجزء الأول منه، وأسأل الله عز وجل أن يعينني على إتمامه وأن يتقبله منا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

(١) هذه المسألة تسمى بمسألة الآجال، قال الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اختلفت المعتزلة في =



=

ذلك على قولين:

فقال أكثر المعتزلة: الأجل هو الوقت الذي في معلوم الله سبحانه أن الإنسان يموت فيه أو يقتل، فإذا قتل، قتل بأجله، وإذا مات، مات بأجله.

وشذ قوم من جهالهم فزعموا أن الوقت الذي في معلوم الله سبحانه أن الإنسان لو لم يقتل لبقى إليه، هو أجله دون الوقت الذي قتل فيه.

واختلف الذين زعموا أن الأجل هو الوقت الذي في معلوم الله سبحانه أن الإنسان يموت فيه، أو يقتل في المقتول، الذي لو لم يقتل هل كان يموت أم لا؟ على ثلاثة أقاويل:

١- قال بعضهم: إن الرجل لو لم يقتل، مات في ذلك الوقت، وهذا قول أبى الهذيل.

١- وقال بعضهم: يجوز لو لم يقتله القاتل أن يموت، ويجوز أن يعيش، وأحال منهم محيلون هذا القول. اهـ (مقالات الإسلاميين/١٥١).

قال شيخ الإسلام وقد سئل عن المقتول: هل مات بأجله؟ أم قطع القاتل أجله؟

فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المقتول كغيره من الموتى لا يموت أحد قبل أجله ولا يتأخر أحد عن أجله، بل سائر الحيوان والأشجار لها آجال لا تتقدم ولا تتأخر، فإن أجل الشيء هو نهاية عمره، وعمره مدة بقائه فالعمر مدة البقاء، والأجل نهاية العمر بالانقضاء، وقد ثبت في صحيح مسلم وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: "**قَدَّرَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفِ سَنَةٍ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**".

وثبت في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: "**كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ**"، وفي لفظ: "**ثُمَّ خَلَقَ**

=

=

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ"، والله يعلم ما كان قبل أن يكون؛ وقد كتب ذلك، فهو يعلم أن هذا يموت بالبطن، أو ذات الجنب، أو الهدم، أو الغرق، أو غير ذلك من الأسباب، وهذا يموت مقتولا؛ إما بالسم، وإما بالسيف، وإما بالحجر، وإما بغير ذلك من أسباب القتل.

وعلم الله بذلك وكتابته له بل مشيئته لكل شيء وخلقه لكل شيء لا يمنع المدح والذم والثواب والعقاب؛ بل القاتل إن قتل قتيلا أمر الله به ورسوله كالمجاهد في سبيل الله؛ أثابه الله على ذلك، وإن قتل قتيلا حرمه الله ورسوله كقتل القطاع والمعتدين؛ عاقبه الله على ذلك، وإن قتل قتيلا مباحا كقتيل المقتص؛ لم يثب ولم يعاقب، إلا أن يكون له نية حسنة أو سيئة في أحدهما.

والأجل أجلان:

١- أجل مطلق يعلمه الله. ٢- وأجل مقيد.

وبهذا يتبين معنى قوله ﷺ: "**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**"، فإن الله أمر الملك أن يكتب له أجلا وقال: إن وصل رحمه زدته كذا وكذا، والملك لا يعلم أيزداد أم لا؛ لكن الله يعلم ما يستقر عليه الأمر، فإذا جاء ذلك لا يتقدم ولا يتأخر.

ولو لم يقتل المقتول، فقد قال بعض القدرية: إنه كان يعيش وقال بعض نفاة الأسباب: إنه يموت وكلاهما خطأ؛ فإن الله علم أنه يموت بالقتل، فإذا قدر خلاف معلومه كان تقديرا لما لا يكون لو كان كيف كان يكون، وهذا قد يعلمه بعض الناس، وقد لا يعلمه، فلو فرضنا أن الله علم أنه لا يقتل، أمكن أن يكون قدر موته في هذا الوقت، وأمكن أن

=

[الجن والشَّيَاطِين]

وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ خلقَ الْشَّيَاطِينَ يُوَسْوِسُونَ لِلآَدَمِيينَ، وَيَقْصِدُونَ اسْتِزْلاَلَهُمْ وَيَتَرَصَّدُونَ لَهُمْ، قَاَلَ اللهُ عز وجل: ﴿**وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ**﴾ (الأنعام/١٢١)، وَإِنَّ اللهَ يُسَلِطُهُمْ عَلَى مَنْ يَشَاَءُ، وَيَعْصِمُ مِنْ كَيْدِهِمْ وَمَكْرِهِمْ مَنْ يَشَاَءُ، قَاَلَ اللهُ عز وجل: ﴿**وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً (٦٤) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً**﴾ (الإسراء/٦٤:٦٥)، وَقَاَلَ: ﴿**إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ**﴾ الآية (النحل/٩٩:١٠٠).[(١)]

=

يكون قدر حياته إلى وقت آخر، فالجزم بأحد هذين على التقدير الذي لا يكون جهل.

وهذا كمن قال: لو لم يأكل هذا ما قدر له من الرزق، كأن يموت أو يرزق شيئا آخر، وبمنزلة من قال: لو لم يحبل هذا الرجل هذه المرأة هل تكون عقيما أو يحبلها رجل آخر، ولو لم تزرع هذه الأرض هل كان يزرعها غيره أم كانت تكون مواتا لا يزرع فيها، وهذا الذي تعلم القرآن من هذا لو لم يعلمه هل كان يتعلم من غيره؟ أم لم يكن يتعلم القرآن ألبته، ومثل هذا كثير. اهـ (الفتاوى:جـ٨/٧٦٨:٧٦٩).

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود

=

=

الجن، ولا في أن الله أرسل محمدا ﷺ إليهم، وجمهور طوائف الكفار على إثبات الجن، أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى فهم مقرون بهم كإقرار المسلمين، وإن وجد فيهم من ينكر ذلك، وكما يوجد في المسلمين من ينكر ذلك، كما يوجد في طوائف المسلمين الغالطون والمعتزلة من ينكر ذلك، وإن كان جمهور الطائفة وأئمتها مقرين بذلك، وهذا لأن وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء تواترا معلوما بالاضطرار، ومعلوم بالاضطرار أنهم أحياء عقلاء فاعلون بالإرادة بل مأمورون منهيون ليسوا صفات وأعراضا قائمة بالإنسان أو غيره كما يزعمه بعض الملاحدة فلما كان أمر الجن متواترا عن الأنبياء تواترا ظاهرا تعرفه العامة والخاصة لم يمكن طائفة كبيرة من الطوائف المؤمنين بالرسل أن تنكرهم. اهـ (مجموع الفتاوى:جـ١٩/٧).

وللمزيد من معرفة أصناف الجن، وأحوالهم من حيث المأكل والمشرب، وعلاقتهم بالإنس، فيراجع كتابي: [البداية والنهاية] لابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: باب ذكر خلق الجان وقصة الشيطان، وكتاب الشبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ [غرائب الجن وعجائبة، آكام المرجان في أحكام الجان] فهو كتاب نافع في بابه.

ولكن هنا مسألة في غاية الأهمية، وهي: إن الله عز وجل خاطب الملائكة بالسجود لآدم فقال في غير ما موضع: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾ (البقرة/٣٤)، وقال تعالى: ﴿**فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ**﴾ (الحجر/٣٠:٣١) فالخطاب هنا إلى الملائكة، وإبليس منهم في ظاهر الخطاب، إذاً من الملائكة؟!

=



=

وفي خطاب آخر يقول سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ (الكهف/٥٠)، ففي هذه الآية يصرح الرب عز وجل أن إبليس من جنس آخر غير جنس الملائكة، وأنه من الجن، وهنا يكون ظاهر الآيتين فيهما تعارض.

ولو صححنا أنه من الملائكة كما في الآية الأولى، كيف يفعل معصية والله تعالى يقول: ﴿لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم/٦).

والجواب بحول الله على هذه الشبهة:

أولاً: اعلم أن التعارض بين نصين قطعيين لا يمكن أبداً أن يكون، وهنا نصيين قطعيين، فكيف ورد هذا التعارض؟

إن التعارض لا يكون إلا لسببين:

الأول: ضعف الدليل المستدل به.

ثانياً: عدم فهم العقل لمراد الأدلة الظاهر التعارض بينهما.

والتعارض هنا هو من الجنس الثاني، وهو عدم فهم الأدلة والمراد منها.

ثانياً: أقوال العلماء في الجمع بين الآيات:

القول الأول: أن إبليس كان من الجن الذين منهم المؤمن والكافر؛ ولم يكن من الملائكة قط، وقد روى هذا القول عن: الحسن البصري، وشهر بن حوشب، وسعد بن مسعود، وابن زيد، وسعيد بن منصور، وابن شهاب الزهري، كما نصره ابن حزم، ورجحه الشنقيطي، وذهب إليه جمع من أهل العلم؛ كالحليمي، والبغدادي، وشيخ الإسلام ابن

=

=

تيمية، وابن كثير، والشوكاني، والألوسي، وابن عثيمين، وهو ظاهر كلام ابن القيم رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

فقد ورد عن الحسن أنه قال: ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجن، كما أن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أصل الإنس.

وقال ابن كثير عند تفسير قوله: ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾: أي: خانه أصله؛ فإنه خلق من مارج من نار، واصل خلق الملائكة من نور... ونبه تعالى ها هنا أنه من الجن، أي على أنه خلق من نار.

وأما الآيات التي جاء فيها استثناء إبليس من جنس الملائكة، فقد ذهب أصحاب هذا القول إلى استثناء منقطع؛ كقوله تعالى: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ (النساء/١٥٧)، وقوله تعالى: ﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلَّا قِيلاً سَلامًا سَلامًا﴾ (الواقعة/٢٥:٢٦)، وغيرها من الآيات التي جاء فيها الاستثناء منقطع.

واستدل من قال بأن إبليس كان من الجن بقوله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ (الكهف/٥٠)، وهذا نص منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بأنه من الجن.

القول الثاني: أنه كان ملكاً من الملائكة؛ لذلك استثناه الله تعالى منهم في قوله: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾، فلما عصى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مسخه شيطاناً.

وهذا القول روى عن ابن عباس وابن مسعود، وابن المسيب، وسعيد بن جبير، وقتادة.

والصواب أنه ما كان قط من الملائكة، والآيات تصرح بذلك، وأنه من الجن ولكن خوطب بخطاب التغليب لأنه كان فرداً في جماعة، والله أعلم.



[السِّحرُ]

وَيَشْهَدُونَ أَنَّ فِي الْدُّنْيَا سِحْرَاً وَسَحَرَةً، إِلَّاَ أَنَّهُمْ لاَ يَضُرُونَ أَحَدَاً إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ عز وجل ﴿**وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ (البقرة/١٠٢)، وَمَنْ سَحَرَ مِنْهُمْ وَاسْتَعَمَلَ الْسِّحْرَ، وَاعْتَقَدَ أَنَّهُ يَضُرُّ أَوْ يَنْفَعُ بِغَيْرِ إِذْنِ اللهِ تَعَالَى فَقَدْ كَفَرَ، وَإِذَاَ وَصَفَ مَاَ يَكْفُرُ بِهِ اسْتُتِيبَ، فَإِنْ تَابَ وَإِلَّاَ ضُرِبَتْ عُنُقُهُ، وَإِنْ وَصَفَ مَاَ لَيْسَ بِكُفْرٍ، أَوْ تَكَلَّمَ بِمَا لاَ يُفْهَمْ نُهِيَ عَنْهُ فَإِنْ عَادَ عُزِّرَ، وَإِنْ قَاَلَ: الْسِّحْرُ لَيْسَ بِحَرَاَمٍ وَأَنَاَ أَعْتَقِدُ إِبَاَحَتَهُ؛ وَجَبَ قَتْلَهُ، لأَنَّهُ اسْتَبَاَحَ مَاَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى تَحْرِيمِهِ.(١)

---

(١) السحر في اللغة: صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره.

واصطلاحاً: عبارة عن عُقَد ورُقى وأدوية تؤثر في المسحور: في بدنه، أو عقله، أو غير ذلك مما يصل به.

والسحر ينقسم إلى قسمين:

قسم يخرج من الملة: وهو ما كان بواسطة الشياطين، فإن هذا يخرج من الملة؟

وقسم لا يخرج من الملة، لكن يُقتل فاعله حداً، وهو الذي لا يكون فيه شرك بالله عز وجل، ولكن يقتل فاعله حداً لعظم مضاره. (شرح صحيح البخاري للعثيمين:٥/٤٣٠).

والسحر جاءت النصوص بثبوته، قال الله تعالى على بني إسرائيل لما ردوا رسولهم: ﴿**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا**
=

=
﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ (البقرة/١٠٢)، وقال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ (طه/٦٦)، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ (الفلق/٤)، وهذا نوع من أنواع السحر.

وقد سُحِر النبيَ ﷺ، سحره اليهودي لبيدُ بن الأعصم، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سحر رسولَ الله ﷺ رجلٌ من بني زُريق يقال له لبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي، لكنه دعا ودعا، ثم قال: "**يَا عَائِشَةُ أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ، أَتَانِي رَجُلانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ فَقَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ، قَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجُفِّ طَلْعِ نَخْلَةٍ ذَكَرٍ، قَالَ: وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ**"، فَأَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَجَاءَ، فَقَالَ: "**يَا عَائِشَةُ كَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ، أَوْ كَأَنَّ رُءُوسَ نَخْلِهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ**". (البخاري/٥٧٦٣).

وهذا السحر كان في غير أمور الوحي، فإن الله عز وجل عصم نبيه من الزلل خاصة في أمر الوحي، فقال فيه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (النجم/٣:٤).

ومسألة قتل الساحر، فإن الجمهور على أن الساحر يقتل، إلا الشافعي فقد قال: لا يقتل إلا إذا قتل بسحره. والله أعلم

[مَسَائِلُ فِقهِيَّة]

وَيُحَرِّمُ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ الْمُسْكِرَ مِنْ الأَشْرِبَةِ الْمُتَخَذَ مِنْ الْعِنَبِ، أَوْ الزَّبِيبِ، أَوْ التَّمْرِ، أَوْ الْعَسَلِ، أَوْ الذُّرَةِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُسْكِرُ، يُحَرِّمُونَ قَلِيلَهُ وَكَثِيرَهُ، وَيُنَجِسُونَهُ وَيُوجِبُونَ بِهِ الْحَدَّ.

وَيَرَوْنَ الْمُسَارَعَةَ إِلَى أَدَاءِ الصَّلَوَاتِ وَإِقَامَتَهَا فِي أَوَائِلِ الأَوْقَاتِ أَفْضَلُ مِنْ تَأْخِيرِهَا إِلَى آَخِرِ الأَوْقَاتِ، وَيُوجِبُونَ قِرَاءَةَ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ خَلْفَ الإِمَامِ، وَيَأْمُرُونَ بِإِتْمَامِ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ حَتْماً وَاجِباً، وَيَعُدُّونَ إِتْمَامَ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ بِالْطَمَأْنِينَةِ فِيهِمَا، وَالارْتِفَاعَ مِنْ الرُّكُوعِ وَالانْتِصَابَ مِنْهُ وَالطَمَأْنِينَةَ فِيهِ، وَكَذَلِكَ الارْتِفَاعَ مِنْ السُّجُودِ، وَالجُلُوسَ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ مُطْمَئِنِينَ فِيهِ مِنْ أَرْكَانِ الصَّلاَةِ الَّتِي لاَ تَصِحُّ إِلَّاَ بِهَاَ.

وَيَتَوَاصَونَ بِقِيَامِ اللَيلِ لِلْصَلاَةِ بَعْدَ الْمَنَامِ، وَبِصِلَةِ الأَرْحَامِ وَإِفْشَاءِ السَّلاَمِ، وَإِطْعَامِ الطَّعَامِ، وَالرَّحْمَةِ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينَ وَالأَيْتَامِ، وَالاهْتِمَامِ بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ، وَالتَّعَفُفِ فِي الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ وَالْمَلْبَسِ وَالْمَنْكَحِ، وَالسَّعَي فِي الْخَيْرَاتِ، وَالأَمْرِ بْالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ، وَالْبِدَارِ إِلَى فِعْلِ الْخَيْرَاتِ أَجْمَعُ.(١)

---

(١) هذه جملة من الأحكام الفقهية، وهذا صنيع كثيرٌ من أهل العلم في كتبهم التي =



وَيَتْحَابُونَ فِي الْدِّينِ وَيَتبَاغَضُونَ فِيهِ، وَيَتَّقُونَ الْجِدَالَ فِي اللهِ وَالْخُصُومَاتِ فِيه، وَيُجَانِبُونَ أَهْلَ الْبِدَعِ وَالْضَّلالاَتِ، وَيُعَادُونَ أَصْحَابَ الأَهْوَاءِ وَالْجَهَالاَتِ، وَيقْتَدُونَ بِالْسَّلَفِ الْصَّالِحِينَ مِنْ أَئِمَّةِ الْدِّينِ وَعُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَيَتَمَسَّكُونَ بِمَا كَانُوا بِهِ مُتَمُسِّكِينَ مِنْ الْدِّينِ الْمَتِينِ وَالْحَقِّ الْمُبِينِ.

وَيُبْغِضُونَ أَهْلَ الْبِّدَعِ الَّذِينَ أَحْدَثُوا فِي الْدِّينِ مَا لَيْس مِنْهُ، وَلاَ يُحِبُونَهُمْ وَلاَ يَصْحَبُونَهُمْ، وَلاَ يَسْمَعُونَ كَلاَمَهُمْ، وَلاَ يُجَالِسُونَهُمْ وَلاَ يُجَادِلُونَهُمْ فِي الْدِّينِ، وَلاَ يُنَاظِرُونَهُمْ، وَيَرَوْنَ صَوْنَ آذَانِهِمْ عَنْ سَمَاعِ أَبَاطِيلِهِمْ الَّتِي إِذَا مَرَّتْ بِالآذَانِ وَقَرَّتْ فِي الْقُلُوبِ؛ ضَرَّتْ وَجَرَّتْ إِلَيْهَا الْوَسَاوِسَ وَالْخَطَرَاتِ الْفَاسِدَةِ مَا جَرَّتْ، وَفِيهِ أَنْزَلَ اللهُ عز وجل قَوْلَهُ: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ**﴾ (الأنعام/٦٨).[١]

=

صنفوها في مسائل الاعتقاد، وما أحوجهم لهذه الفرعيات بالنسبة لأصول الاعتقاد، إلا أنه ظهر في أزمنتهم، وفي كل زمان من ينكر هذه العبادات، فالشيعة مثلاً ينكرون المسح على الخفين وأكل بعض أنواع السمك، كما قال ابن بطة في [الإبانة الصغرى]، وكذلك صلاة الجماعة فإن الخوارج والشيعة يتجنبوها مع باقي المسلمين ظناً منهم بأنهم كفار.

وفي زماننا هذا لو صنف أحدٌ مصنفاً في الاعتقاد، لوجب عليه أن يورد مسألة اللحية، والنقاب، فإن الأمة الإسلامية عانت كثيراً من محاربة إظهار السنة، وما تونس عنا ببعيد.

(١) هذا أصل عظيم من أصول ديننا، بل قد يكون من أهم الأصول في ديننا، وهو =



=

الولاء والبراء، وعقيدة الولاء والبراء هي الصلة التي وصلت أهل الدين الواحد في كل مكان بعضهم ببعض.

فأهل الملة في كل بقاع الأرض تربطهم عقيدة الولاء والبراء، فنحب من أحب الله ورسله، ونبغض من يبغض الله ورسوله، ولو كانوا آبائنا، أو إخواننا، أو أهلونا، قال تعالى: ﴿**لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الأِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (المجادلة/٢٢).

فإن الأمة لما تفرقت وتشرذمت، وصار كل فريق بما لديه فرحٌ، وجب على أهل الحق أن يتميزوا ويتباينوا عن غيرهم من أهل الضلال، فمن كان منهم أحبوه، ومن خالفهم أبغضوه على قدر مخالفته وبعده لهم وعنهم.

فأصحاب الحديث يحبون الصالحين، والمتمسكين بالكتاب والسنة، فالسني في الصين أحب إليّهم من المبتدع من أهليهم.

ومن تمام حبنا لأهل الحق، التمسك بمنهجهم، والدعوة إليه، والدعاء لهم، والغض عن عيوبهم، وإبداء النصيحة لهم حياً أو ميتاً، فالحي بالنصيحة وجها لوجه، والميت بالاعتذار له، قال الله عز وجل في المؤمنين: ﴿**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالأِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ (الحشر/١٠).

[علامات أهل البِّدَعِ]

وَعَلامَاتُ الْبِدَعِ عَلَى أَهْلِهَا ظَاهِرَةٌ بَادِيَةٌ، وَأَظْهَرُ آيَاتِهِمْ وَعلامَاتِهِمْ شِدَّةُ مُعَادَاتِهِمْ لِحَمَلَةِ أَخْبَارِ النَّبِيِّ ﷺ، وَاحْتِقَارُهُمْ لَهُمْ، وَتَسْمِيَتُهُمْ إِيَّاهُمْ حَشَوِيَّةً وَجَهَلَةً وَظَاهِرِيَّةً وَمُشَبِّهَةً[1]، اعْتِقَادَاً مِنْهُمْ فِي أَخْبَارِ الرَّسُولِ ﷺ أَنَّهَا بِمَعْزَلٍ

---

(١) هذه ألفاظهم، فكل إناء بما فيه ينضح، وقولهم عن أهل الحق حشوية: أي لا قيمة لهم ولا وزن، وهم حشو، زيادة على الخلق، وهذه لفظة فيها تجرؤ على الله عز وجل، وما هذا عنهم ببعيد.

وقولهم جهلة، وهذا لأنهم يجهلون ما عندهم من عقليات وهواجس وخرافات، ووالله الجهل بما عندهم غاية العلم، والعلم بما عندهم غاية الجهل، بل قد يكون الكفر ذاته، فهؤلاء أدعياء الفهم، كالأنعام بل هم أضل، أدخلوا الأمة في محارات العقول، فهم أولى الناس بالجهل، وبهذا نكون رفقنا بهم، بل بالجهل المركب.

وقولهم ظاهرية ومشبهة، وذلك لأن أهل السنة أصحاب الحديث، وقَّافُون على الكتاب والسنة، فكل خبر جاءهم صدقوه، وكل أمر أطاعوه، ولكن هؤلاء الجهلاء كل خبر جاءهم من عند الله فوضوه أو أولوه، كما يقوله صاحبهم:

وكل نص أوهم ... فوضه أو أول ورم تنزيها

أي كل نص جاء عن الله عز وجل ظاهره التشبيه، ففوضه، أو أوله واقصد أنك تنزه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

عَنْ الْعِلْمِ، وَأَنَّ الْعِلْمَ مَا يُلْقِيهِ الشَّيْطَانُ إِلَيْهِمْ مِنْ نَتَائِجِ عُقُولِهِم الْفَاسِدَةِ، وَوَسَاوِسِ صُدُورِهِمْ الْمُظْلِمَةِ، وَهَوَاجِسِ قُلُوبِهِمْ الْخَالِيَةِ عَنْ الْخَيْرِ الْعَاطِلَةِ، وَحُجَجِهِمْ بَلْ شُبَهِهِمْ الدَّاحِضَةِ الْبَاطِلَةِ ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ**﴾ (محمد/٢٣)، ﴿**وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ**﴾ (الحج/١٨).[١]

---

(١) والناظر بإنصاف إلى هؤلاء المبتدعة، يرى بعضهم يود لو لم ينزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هذا الكتاب، ولم يرسل هذا الرسول، ووالله إني لأعجب، ما قيمة الكتاب والسنة عندهم!

فترى الجهمي يردهما ويقول القرآن كله مجاز، والسنة يردها بعقله، وترى المعتزلي كذلك، بل من ظاهره العبادة والتقوى والورع، يفسر القرآن بإشاراته وبباطنٍ ما أنزل الله به من سلطان، وينظرون إلى النبي ﷺ نظرة دونية مع ادعائهم بمحبته، فيدعون أن الولي أعلى من النبي.

ومنهم من ألَّهَهُ، فجعله صاحب اللوح والقلم، ومن عجيب زماننا أن مفتينا، آتانا في يوم مولد الرسول ﷺ على (شاشات التلفاز) ينشد البردة.

ومنهم جفري صفوي ادعى أنه ﷺ حي لا يموت، فزعم أن الله عز وجل أرسل إليه جبريل يقول: من الحي الذي لا يموت إلى الحي الذي لا يموت! تعالى الله عن قولهم علواً كبيرا، فما قيمة القرآن والسنة إذا.

=

٤٤- سَمِعْتُ الحَاكِمَ أبَاَ عَبدِ اللهِ الحَافِظَ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَاَ عَلِيٍّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ الْحَافِظَ يَقُولُ: سَمِعْتُ جَعْفَرَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ سِنَانٍ الْوَاسِطِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ سِنَانِ الْقَطَّانَ يَقُولُ: لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مُبْتَدِعٌ إِلَّا وَهُوَ يُبْغِضُ أَهْلَ الْحَدِيثِ، فَإِذَا ابْتَدَعَ الرَّجُلُ نُزِعَتْ حَلاَوَةُ الْحَدِيثِ مِنْ قَلْبِهِ.

٤٥- وَسَمِعْتُ الْحَاَكِمَ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَاَ الْحُسَيْنَ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ الْحَنْظَلِيَّ بِبَغْدَادَ يَقُولُ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاَعِيلَ التِّرْمِذِيَّ يَقُولُ: كُنْتُ أَنَاَ وَأَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ التِّرْمِذِيُّ عِنْدَ إِمَامِ الدِّينِ أَبِي عَبْدِ اللهِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، فَقَاَلَ لَهُ أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ: يَاَ أَبَاَ عَبْدِ اللهِ ذَكَرُوْا لابْنِ أَبِي قُتَيلَةَ بِمَكَّةَ أَصْحَاَبَ الْحَدِيثِ، فَقَاَلَ: أَصْحَاَبُ الْحَدِيثِ قَوْمٌ سُوءٌ، فَقَامَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَهُوَ يَنْفُضُ ثَوْبَهُ وَيَقُولُ: زِنْدِيقٌ زِنْدِيقٌ زِنْدِيقٌ، حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ.

=

وترى آخر يدعي أن أهل السنة والجماعة محصورة في فرقتين شاعرية وماتريدية، وهم كالمخنثين بين الذكور والإناث، لا إلى أهل السنة انضموا، ولا للمعتزلة ردوا، فتراهم يؤمنون كأهل الحديث بالغيبيات، ويشترطون أن لا يكن في العقل ما يستحيل ذلك، فيا أرباب العقل، ويا أصحاب الفطر السوية، إذا جاء نص والعقل أحاله، أفلا يكون هذا رد له.

فبالله عليكم ما قيمة الكتاب والسنة إذاً؟

٤٦- وَسَمِعْتُ الْحَاكِمَ أَبَا عَبْدِ اللهِ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا نَصْرٍ أَحْمَدَ بْنَ سَهْلٍ الْفَقِيهَ بِبُخَارَى يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا نَصْرِ بْنَ سَلامٍ الْفَقِيهَ يَقُولُ: لَيْسَ شَيْءٌ أَثْقَلَ عَلَى أَهْلِ الإِلْحَادِ وَلاَ أَبْغَضَ إِلَيْهِم مِنْ سَمَاعِ الْحَدِيثِ وَرِوَايَتِهِ بِإِسْنَادِهِ.

٤٧- وَسَمِعْتُ الْحَاكِمَ يَقُولُ: سَمِعْتُ الشَّيْخَ أَبَا بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنَ إِسْحَاقَ بْنِ أَيُّوبَ الْفَقِيهَ وَهُوَ يُنَاظِرُ رَجُلاً، فَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ: حَدَّثَنَا فُلاَنٌ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: دَعْنَا مِنْ حَدَّثَنَا إِلَى مَتَى حَدَّثَنَا، فَقَالَ الشَّيْخُ لَهُ: قُمْ يَا كَافِرُ، فَلاَ يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ دَارِي بَعْدَ هَذَا أَبَداً، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْنَا وَقَالَ: مَا قُلْتُ لأَحَدٍ مَا تَدْخُلُ دَارِي إِلَّا هَذَا.

٤٨- سَمِعْتُ الأُسْتَاذَ أَبَا مَنْصُورٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَمْشَادَ الْعَالِمَ الزَّاهِدَ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمَ جَعْفَرَ بْنَ أَحْمَدَ الْمُقْرِيَّ الرَّازِيَّ يَقُولُ: قُرِئَ عَلَي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي حَاتِمَ الرَّازِي وَأَنَا أَسْمَعُ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: -عَنَي بِهِ الإِمَامَ فِي بَلَدِهِ- أَبَاهُ أَبَا حَاتِمَ مُحَمَّدَ بْنَ إِدْرِيسَ الْحَنْظَلِيَّ الرَّازِيَّ يَقُولُ: عَلاَمَةُ أَهْلِ الْبِدَعِ الْوَقِيعَةُ فِي أَهْلِ الأَثَرِ.

وَعَلاَمَةُ الزَّنَادِقَةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ الأَثَرِ حَشَوِيَّةً، يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِبْطَالَ الأَثَرِ.

وَعَلاَمَةُ الْقَدَرِيَّةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ الْسُنَّةِ مُجَبِّرَةً.

وَعَلاَمَةُ الْجَهْمِيَّةِ تَسْمِيهِمْ أَهْلَ الْسُنَّةِ مُشَبِّهَةً.

وَعَلاَمَةُ الرَّافِضَةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ الأَثَرِ نَابِتَةً وَنَاصِبَةً.



قُلْتُ: وَكُلُّ ذَلِكَ عَصَبِيَّةٌ، وَلاَ يَلْحَقُ أَهْلَ الْسُنَّةِ إِلَّاَ اسْمٌ وَاَحِدٌ وَهُوَ أَصْحَاَبُ الْحَدِيثِ.(١)

قُلْتُ أَنَاَ: رَأَيْتُ أَهْلَ الْبِدَعِ فِي هَذِهِ الأَسْمَاَءِ الَّتِي لَقَّبُوا بِهَا أَهْلَ الْسُنَّةِ سَلَكُوْا

---

(١) وهكذا كل فرقة ترمي مخالفيها بما ليس فيها، للتشنيع والتبشيع، فالقدرية الذين ينفون القدر، يسمون مخالفيهم جبرية، وأهل السنة لا قدرية يقولون: بخلق العبد فعل نفسه، ولا جبرية، يقولون: بعدم وجود كسب وفعل للعبد، بل يقولون الله خالق كل شيء والعبد له كسب مسئول عنه.

والمعطلة يقولون عن مخالفيهم مشبهة ممثلة، وأهل الحق لا معطلة ينفون عن الله عز وجل ما أثبته، ولا ممثلة يشبهون الله عز وجل بخلقه، ولكن يقولون: لله أسماء حسنى وصفات عُلى، على ما يليق بذاته، وليس كمثله أحد من خلقه.

والشيعة يقولون لمن خالفهم نواصب، وأهل الحق ليسوا شيعة يغالون في أهل البيت ويسبون ويكفرون باقي الصحابة، وليسوا نواصب يغالون في الصحابة ومعاوية ويسبون أهل البيت ويكفرونهم، ولكن أهل السنة يحبون كل من صحب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وآمن به ولو ساعة من نهار.

وقد عاب الإمام أبو نصر السجزي على من ينسب كل من خالفه إلى السب فقال: ومنها ما ارتكبه أهل الوقت منهم خصوصاً من كان منهم من المغاربة؛ وهو أن كل من يخالفهم نسبوه إلى سب العلماء لينفروا قلوب العوام عنه، وقرفوه بأقاويل لا يقول بها ولا يعتقدها بهتاً منهم وكذباً. اهـ (رسالة إلى أهل زبيد/الفصل التاسع).



مَعَهُمْ مَسْلَكَ الْمُشْرِكِينَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِنَّهُمْ اقْتَسَمُوْا الْقَوْلَ فِيهِ، فَسَمَّاهُ بَعْضُهُمْ سَاحِراً، وَبَعْضُهُمْ كَاهِناً، وَبَعْضُهُمْ شَاعِراً، وَبَعْضُهُمْ مَجْنُوناً، وَبَعْضُهُمْ مَفْتُوناً، وَبَعْضُهُمْ مُفْتَرِياً مُخْتَلِقاً كَذَّاباً، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ تِلْكَ الْمَعَائِب بَعِيداً بَرِيئاً، وَلَمْ يَكُنْ إِلاَ رَسُولاً مُصْطَفَىً نَبِياً، قَالَ اللهُ عز وجل: ﴿**انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً**﴾ (الإسراء/٤٨).

كَذَلِكَ الْمُبْتَدِعَةُ خَذَلَهُمْ اللهُ اقْتَسَمُوْا الْقَوْلَ فِي حَمَلَةِ أَخْبارِهِ، وَنَقَلَةِ آثَارِهِ وَرُوَاةِ أَحَادِيثِهِ الْمُقْتَدِينَ الْمُهْتَدِينَ بِسُنَّتِهِ فَسَمَّاهُمْ بَعْضُهُمْ حَشَوِيَّةً، وَبَعْضُهُمْ مُشَبِّهَةً، وَبَعْضُهُمْ نَابِتَةً، وَبَعْضُهُمْ نَاصِبَةً، وَبَعْضُهُمْ جَبْرِيَّةً.

وَأَصْحَابُ الْحَدِيثِ عِصَامَةٌ مِنْ هَذِهِ الْمَعَايِبِ بَرِيئَةٌ نَقِيَّةٌ زَكِيَّةٌ تَقِيَّةٌ، وَلَيْسُوا إِلَّاَ أَهْلَ الْسُنَّةِ الْمَضِيَّةِ، وَالسِيرَةِ الْمَرْضِيَّةِ، وَالْسُّبُلِ الْسَّوِيَّةِ، والْحُجَجِ الْبَالِغَةِ الْقَوِيَّةِ، قَدْ وَفَّقَهُمْ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ لاتْبَاعِ كِتَابِهِ وَوَحْيِهِ وَخِطَابِهِ، وَالاقْتِدَاءِ بِرَسُولِهِ ﷺ فِي أَخْبَارِهِ الَّتِي أَمَرَ فِيهَا أُمَّتَهُ بِالْمَعْرُوفِ مِنْ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَزَجَرَهُمْ فِيهَا عَنْ الْمُنْكَرِ مِنْهَا، وَأَعَانَهُمْ عَلَى الْتَّمَسُّكِ بِسِيرَتِهِ، وَالاهْتِدَاءِ بِمُلازَمَةِ سُنَّتِهِ، وَشَرَحَ صُدُورَهُمْ لِمَحَبَّتِهِ وَمَحَبَّةِ أَئِمَّةِ شَرِيعَتِهِ وَعُلَمَاءِ أُمَّتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ قَوْمَاً فَهُوَ مِنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحُكْمِ قَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: "**الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**".

وَإِحْدَى عَلامَاتِ أَهْلِ الْسُنَّةِ حُبُّهُمْ لأَئِمَّةِ الْسُنَّةِ وَعُلَمَائِهَا وَأَنْصَارِهَا وَأَوْلِيَائِهَا، وَبُغْضُهُمْ لأَئِمَّةِ الْبِدَعِ، الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْنَّارِ، وَيَدُلُّونَ أَصْحَابَهُمْ



عَلَى دَارِ الْبَوَارِ.

وَقَدْ زَيَّنَ اللهُ سُبْحَانَهُ قُلُوبَ أَهْلِ الْسُنَّةِ وَنُوَّرَهَا بِحُبِّ عُلَمَاءِ الْسُنَّةِ فَضْلاً مِنْهُ ﷻ وَمِنَّةً.

٤٩- أَخْبَرَنَا الحَاكِمُ أَبُو عَبْدُ اللَّهِ الحَافِظُ أَسْكَنَهُ اللهُ وَإِيَّانَا الجَنَّةَ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنُ الْفَضْلِ الْمُزَكِّي، ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَلَمَةَ، قَرَأَ عَلَيْنَا أَبُو رَجَاءَ قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدِ كِتَابَ الإِيمَانِ لَهُ، فَكَانَ فِي آَخِرِهِ: فَإِذَا رَأَيْتَ الْرَّجُلَ يُحِبُّ سُفْيَانَ الْثَّورِيَّ، وَمَالِكَ بْنَ أَنسٍ، وَالأَوْزَاعِيَّ، وَشُعْبَةَ، وَابْنَ الْمُبَارَكِ، وَأَبَا الأَحْوَصِ، وَشَرِيكاً، وَوَكِيعاً، وَيَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ، وَعَبْدَ الْرَّحْمَنِ بْنَ مَهْدِّيٍ؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سَنَّةٍ.

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ سَلَمَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَأَلْحقْتُ بِخَطِّي تَحْتَهُ: وَيَحْيَى بْنَ يَحْيِي، وَأَحْمَدَ بْنَ حَنْبَل، وَاسْحَقَ بْنَ رَاهَوَيِّه، فَلَمَّا انْتَهي إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ نَظَرَ إِلَيْنَا أَهْلُ نَيْسَابُور، وَقَالَ: هَؤُلاَءِ الْقَوْمُ يُبْغِضُونَ يَحْيَى بْنَ يَحْيَى، فَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا رَجَاء مَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى؟ قَالَ: رَجُلٌ صَالِحٌ إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ إِمَامٌ، وَأَحْمَدُ بِنُ حَنْبَل أَكْبَرُ مِمَّنْ سَمَيْتُهُمْ كُلّهُمْ.

وَأَنَا أَلْحقْتُ بِهَؤُلاَءِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ قُتَيْبَة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أَنَّ مَنْ أَحَبَّهُمْ فَهُوَ صَاحِبُ سُنَّةٍ مِنْ أَئِّمَةِ أَهْلِ الْحَدِيثِ الَّذِينَ بِهِمْ يُقْتَدُونَ وَبِهَدْيِهِمْ يُهْتَدُونَ وَمِنْ جُمْلَتِهِمْ وَمُتَّبِعِيهِمْ وَشِيعَتِهِمْ أَنْفُسُهُمْ يَعُدُّونَ وَفِي اتْبَاعِهِمْ آثَارِهِمْ يَجِدُّونَ؛ جَمَاعَةً آخَرِينَ، مِنْهُمْ مُحَمَّدَ بنَ إِدْرِيسٍ الْشَّافِعِيَّ الْمُطَّلِبِيَّ الإِمَامَ الْمُقَدَّمَ وَالْسَّيدَ الْمُعظَّمَ الْعَظِيمَ



الْمِنَّةِ عَلَى أَهْلِ الإِسْلاَمِ وَالْسُنَّةِ، الْمُوَفقَ الْمُلَقَّنَ الْمُلْهَمَ الْمُسَدَّدَ، الَّذِي عَمِلَ فِي دِينِ اللهِ وِسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ مِنْ الْنَّصْرِ لَهُمَا وَالْذَّبِ عَنْهُمَا مَاَ لَمْ يَعْمَلْهُ أَحَدٌ مِنْ عُلَمَاَءِ عَصْرِهِ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ، وَمِنْهُمْ الَّذِينَ كَاَنُوْا قَبْلَ الْشَّاَفِعِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَالْزُّهْرِّيِّ، وَالْشَّعْبِيِّ، وَالْتَيْمِيِّ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ، كَاللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، وَالأَوْزَاعِيِّ، وَالْثَّوْرِيِّ، وّسُفْيَاَنَ بْنِ عُيَيِّنَةِ الْهِلاَلِيِّ، وَحَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، وَحَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، وَيُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ، وَأَيْوبَ، وَابْنِ عَوْنٍ، وَنُظَرَائِهِمْ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِثْلُ يَزِيدِ بْنِ هَاَرُونَ، وَعَبْدِ الْرَّزَاقِ، وَجَرِيرَ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِثْلُ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الْذُّهْلِيِّ، وَمُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيِّ، وَمُسْلِمِ بْنِ الْحَجَّاجِ الْقُشَيْرِيِّ، وَأَبِي دَاوُدَ الْسِّجِسْتَانِيِّ، وَأَبِي زُرْعَةَ الْرَّاَزِيِّ، وَأَبِي حَاَتِمِ وَابْنِهِ، وَمُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمِ بْنِ وَارَه، وَمُحَمَّدِ بْنِ أَسْلَمَ الْطُّوسِيِّ، وَعُثْمَاَنَ بْنِ سَعِيدٍ الْدَّارِمِيِّ، وَمُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ الَّذِي كَاَنَ يُدعَى إِمَاَمُ الأَئِمَّةِ، وَلَعَمْرِي كَاَنَ إِمَاَمَ الأَئِمَّةِ فِي عَصْرِهِ وَوَقْتِهِ، وَأَبِي يَعْقُوبَ إِسْحَاَقَ بْنِ إِسْمَاَعِيلَ الَبُسْتِيِّ، وَجَدِّي مِنْ قِبَلِ أَبَوَيَّ أَبِي سَعِيدٍ يَحْيَى بْنِ مَنْصُورِ الْزَّاهِدِ الْهَرَوِيِّ، وَعَدِي بْنِ حَمْدَوَيْهِ الْصَّابُونِيِّ، وَوَلَدَيِّهِ سَيْفَيِّ الْسُنَّةِ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْصَّاَبُونِيِّ وَأَبِي عَبْدِ الْرَّحْمَنِ الْصَّابُونِيِّ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَئِمَّةِ الْسُنَّةِ الَّذِينَ مُتَمَسِّكِينَ بِهَا، نَاَصِرِينَ لَهَا، دَاعِينَ إِلَيْهَا، دَالِّينَ عَلَيْهَا.[1]

(١) وأنا أقول، وإذا رأيت الرجل يحب الألباني، وابن باز، وابن العثيمين رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ؛ =

وَهَذِهِ الجُمَلُ الَّتِي أَثْبَتُّهَا فِي هَذَا الجُزْءِ كَانَتْ مُعْتَقَدَ جَمِيعِهِمْ، لَمْ يُخَالِفْ فِيهَا بَعْضُهُمْ بَعْضاً، بَلْ أَجْمَعُوا عَلَيْهَا كُلِّهَا، وَاتَّفَقُوا مَعَ ذَلِكَ عَلَى القَوْلِ بِقَهْرِ أَهْلِ البِدَعِ، وَإِذْلَالِهِمْ وَإِخْزَائِهِمْ، وَإِبْعَادِهِمْ وَإِقْصَائِهِمْ، وَالتَّبَاعُدِ مِنْهُمْ وَمِنْ مُصَاحَبَتِهِمْ وَمُعَاشَرَتِهِمْ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَى اللهِ عز وجل بِمُجَانَبَتِهِمْ وَمُهَاجَرَتِهِمْ.

قَالَ الأُسْتَاذُ الإِمَامُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَأَنَا بِفَضْلِ اللهِ عز وجل مُتَّبِعٌ لِآثَارِهِمْ مُسْتَضِيءٌ بِأَنْوَارِهِمْ، نَاصِحٌ إِخْوَانِي وَأَصْحَابِي أَنْ لَا يَزِيغُوا عَنْ مَنَارِهِمْ، وَلَا يَتَّبِعُوا غَيْرَ أَقْوَالِهِمْ، وَلَا يَشْتَغِلُوا بِهَذِهِ المُحْدَثَاتِ مِنَ البِدَعِ الَّتِي اشْتَهَرَتْ فِيمَا بَيْنَ المُسْلِمِينَ وَظَهَرَتْ وَانْتَشَرَتْ، وَلَوْ جَرَتْ وَاحِدَةٌ مِنْهَا عَلَى لِسَانِ وَاحِدٍ فِي عَصْرِ أُولَئِكَ الأَئِمَّةِ لَهَجَرُوهُ وَبَدَّعُوهُ، وَلَكَذَّبُوهُ وَأَصَابُوهُ بِكُلِّ سُوءٍ وَمَكْرُوهٍ.

وَلَا يَغُرَّنَّ إِخْوَانِي حَفِظَهُمُ اللهُ كَثْرَةُ أَهْلِ البِدَعِ، وَوُفُورُ عَدَدِهِمْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَمَارَاتِ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ، إِذِ الرَّسُولُ المُصْطَفَى ﷺ قَالَ: "**إِنَّ مِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ وَاقْتِرَابِهَا أَنْ يَقِلَّ العِلْمُ وَيَكْثُرُ الجَهْلُ**".

وَالعِلْمُ هُوَ السُّنَّةُ، وَالجَهْلُ هُوَ البِدْعَةُ، وَمَنْ يُمَسِّكُ القَدَمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَمِلَ بِهَا وَاسْتَقَامَ عَلَيْهَا، وَدَعَا إِلَيْهَا كَانَ أَجْرُهُ أَوْفَرَ وَأَكْثَرَ مِنْ أَجْرِ مَنْ

=

فاعلم أنه صاحب سنة، ولولا أن الحي لا تؤمن عليه الفتن، لذكرت من أئمة عصرنا من هم علامات لأهل السنة، وأسال الله عز وجل أن يختم لنا ولمشايخنا ولإخواننا بخير.



جَرَى عَلَى هَذِهِ الْجُمْلَةِ فِي أَوَائِلِ الإِسْلاَمِ وَالْمِلَّةِ، إِذْ الرَّسُولُ الْمُصْطَفَى ﷺ قَالَ لَهُ: "**أَجْرُ خَمْسِينَ**" فَقِيلَ: خَمْسِينَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: "**بَلْ مِنْكُمْ**"، وَإِنَّمَا قَالَ ﷺ ذَلِكَ لِمَنْ يَعْمَلُ بِسُنَّتِهِ عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِهِ.

٥٠- وَجَدْتُ فِي كِتَابِ الشَّيْخِ الإِمَامِ جَدِّي أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَدِي بْنِ حَمْدَوَيْهِ الصَّابُونِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الْحَسَنُ بْنُ سُفْيَانَ النَّسَوِيُّ؛ أَنَّ الْعَبَّاسَ بْنَ صُبَيْحٍ حَدَّثَهُمْ، ثَنَا عَبْدُ الْجَبَّارِ بْنُ مُظَاهِرٍ، حَدَّثَنِي مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ، سَمِعْتُ ابْنَ شِهَابٍ الزُّهْرِيَّ يَقُولُ: تَعْلِيمُ سُنَّةٍ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ مَائَتَي سَنَةٍ.

٥١- أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ زَكَرِيَّا الشَّيْبَانِيُّ، أَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بِنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّغُولِيُّ، سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ حَاتِمَ الْمُظْفِرِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ عَمْرُو بْنَ مُحَمَّدَ يَقُولُ: كَانَ أَبُو مُعَاوِيَةَ الضَّرِيرُ يُحَدِّثَ هَارُونَ الرَّشِيدَ، فَحَدَّثَهُ بِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: "**احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى**"، فَقَالَ عِيسَى بْنُ جَعْفَرٍ: كَيْفَ هَذَا وَبَيْنَ آدَمُ وَمُوسَى مَا بَيْنَهُمَا؟ قَالَ فَوَثَبَ بِهِ هَارُونُ وَقَالَ: يُحَدِّثُكَ عَنْ الرَّسُولِ ﷺ وَتُعَارِضَهُ بِكَيْفَ؟ قَالَ: فَمَا زَالَ يَقُول حَتَّى سَكَنَ عَنْهُ.

هَكَذَا يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ يُعَظِّمَ أَخْبَارَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَيُقَابِلَهَا بِالْقَبُولِ وَالْتَّسْلِيمِ وَالتَّصْدِيقِ، وَيُنْكِرَ أَشَدَّ الإِنْكَارِ عَلَى مَنْ يَسْلُكَ فِيهَا غَيْرَ هَذَا الطَّرِيقِ الَّذِي سَلَكَهُ هَارُونُ الرَّشِيدُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مَعَ مَنْ اعْتَرَضَ عَلَى الْخَبَرِ الصَّحِيحِ، الَّذِي سَمِعَهُ بِكَيْفَ؟ عَلَى طَرِيقِ الإِنْكَارِ وَالاسْتِبْعَادِ لَهُ، وَلَمْ يَتَلَقَّهُ بِالْقَبُولِ كَمَا يَجِبُ أَنْ

يُتَلَقَّى جَمِيعَ مَا يَرِدُ مِنْ الْرَّسُولِ ﷺ.

جَعَلَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ مِنْ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَبِعُونَ أَحْسَنَهُ، وَيَتَمَسَّكُونَ فِي دُنْيَاهُمْ مُدَّةَ مَحْيَاهُمْ بِالْكِتَابِ وَالْسُنَّةِ، وَجَنَّبَنَا الأَهْوَاءَ الْمُضِلَّةِ وَالآرَاءَ الْمُضْمَحِلَّةِ، وَالأَسْوَاءَ الْمُذِلَّةِ، فَضْلاً مِنْهُ وَمِنَّةً، آمِينْ.

آخِرَهُ وَالْحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمْ آمِينْ.

شرحه

أبو سفيان محمود بن أحمد الشَّاملي

Mahmoudashamly@gmail.com

002 010 6008 6562

